تيسير رب البريات

الجامع لشروح كشف الشبهات

تحقيق وشرح لرسالة «كشف الشبهات»

للإمام المصلح المجدد الشيخ
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

وقد تضمن هذا الشرح الرجوع لما يزيد
عن ثلاثين شرحاً من شروح الكتاب

تأليف
د. فهد بن بادي المرشدي

سطور النحل العلمي
للنشر والتوزيع

تَيْسِيرُ رَبِّ البَرِيَّاتِ

الجَامِعُ لِشُرُوحِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ لِرِسَالَةِ «كَشْفِ الشُّبُهَاتِ»

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع
طباعة - نشر - توزيع
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
شارع الفيصلية - خلف الجامعة الإسلامية
00966532627111
00966590960002
daremslm@gmail.com
daremslm

ح دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العتيبي، فهد بن بادي المرشدي
شرح تيسير رب البريات الجامع لشروح كشف الشبهات./ فهد بن بادي المرشدي العتيبي -المدينة المنورة، ١٤٤٣هـ
٤٠٨ ص ؛ ١٧-٢٤ سم
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٣٦٢-١٧-٤
١- العقيدة الإسلامية. أ. العنوان.
ديوي ٢٤٠ ١٤٤٣/٧٤٩٥

رقم الإيداع:١٤٤٣/٧٤٩٥
ردمك:٩٧٨-٦٠٣-٨٣٦٢-١٧-٤

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مركز سطور للبحث العلمي
Sutor.center@gmail.com
بحث علمي - صف - تنسيق - تصميم

تيسير رب البريات

الجامع لشروح كشف الشبهات

تحقيق وشرح لرسالة «كشف الشبهات»

للإمام المصلح المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

وقد تضمن هذا الشرح الرجوع لما يزيد
عن ثلاثين شرحا من شروح الكتاب

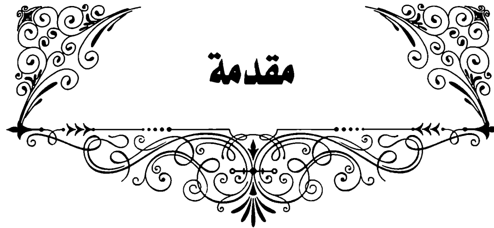
تأليف

د. فهد بن بادي المرشدي

مركز سطور للبحث العلمي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، **أما بعد:**

فإن أئمة الدعوة النجدية قد ابتلوا في زمانهم بأعداء ألدَّاء يشككون الناس في التوحيد الصحيح، ويوهمون عوام الناس جواز ما يُفْعَلُ بينهم من أنواع الشرك بالله من دعاءٍ للأموات وتعلقٍ على المخلوقين، وصرف خالص حق الله تعالى لغيره، ويسمون ذلك تبركًا وتوسلًا وتقربًا، وقد جهَدوا في جمع الشبهات التي يُلبسون بها على العامة، ولكنَّ الله بفضله وكرمه قد قيض لتلك الشبه مَن تصدَّى لردها ودحضها بالحجج الواضحة والبراهين الساطعة كما فعل الشيخ المجدد محمَّد بن عبد الوهاب في نبذته الصغيرة «كشف الشبهات»[(١)]؛ وهذا الكتاب أقعدُ وأمتنُ ما كُتب في ردِّ شبهات القبوريين، فهو

(١) مقدمة الشيخ عبد الله الجبرين لرسالة: «دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث»، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (٥)، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: دار العاصمة، ط. ١٤٠٧هـ.

من أَجَلِّ ما صُنِّف في باب الرد على الشبهات؛ لأن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تتبَّعَ في هذا الكتاب شُبَهَ القوم جملةً وتفصيلًا[١]؛ وردَّ على الشبهات التي يتعلق بها كثير من القبوريين وأهل البدع، وهؤلاء المشركون منتسبون للإسلام، ولكنهم لم يفهموا معنى: لا إله إلا الله، وما تقتضيه؛ فلهذا وقعوا فيما ينقضها ويناقضها تمامًا، فإنهم يقولون: لا إله إلا الله، ويأتون بالشرك، فينقضها[٢].

والمصنف لم يؤلف هذه الرسالة للمعاندين، وإنما ألفها للعامة وللمبتدئين، وهذا يتبين من الأسلوب الذي سار عليه المصنف في هذه الرسالة، وحقيقة الأمر أنَّ المصنف لما انتشرت دعوته وذاع صيته وكثر في الناس رسائله ومؤلفاته؛ شغب على دعوته وتقريراته العظيمة بعض أهل البدع والضلال، وأوردوا عليها بعض الشبه، فانتدب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى كتابة هذه الرسالة وبعثها إلى الناس لتقرأ على العامة[٣]، فهذه الرسالة «كشف الشبهات» فيها أصول الشبهات التي كانت رائجة في زمن دعوة المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ذكر طائفة من العلماء؛ منهم: ابن غنام في (تاريخ نجد) أنَّ المصنف أرسلها للناس في القرى؛ لأجل أن يكشف بعض الشبه التي شبَّه بها على التوحيد أعداء دعوة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهي مصنَّفة لأهل التوحيد الذين نُشرت فيهم بعض الشبه، والتي نَشرها بعض العلماء الذين ورثوا علوم المشركين، وحبذوا الشرك بالله

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وهو شرح صوتي مفرَّغ، جامع شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٧، ٨)، راجعه: عبد الرحمن بن صالح السديس.

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

وأيدوه، ودعوا الناس إليه، ودافعوا عنه، نعوذ بالله من الضلال؛ فهذه الرسالة مصنَّفة للمسلم الموحِّد؛ لهذا جاءت مختصرة، والمنهج الصحيح ألا تورد الشبهات، فإذا أُوردت الشبهة ثم أتى الرد بعدها فقد تعْلَقُ الشبهة ولا يُفهم الرد، خاصة أنَّ هذه الشبهات التي يوردها الخصوم تكون عاطفية، بينما ردُّ الشبهة علمي، والعلم لا يتأثر به إلا مَن كان متأهلًا للفهم والإدراك، فليس من المنهج الصحيح أن يُستفاض في ذكر الشبهات والرد عليها[١]؛ ومنهج السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما يتعلق بالشبه: أنهم ينهون الأمة عن تلقيها وتلقفها والبحث عنها، ولهم في هذا مقالات كثيرة، تجدها في «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي، وفي «الشريعة» للآجري، وفي الكتب التي صُنِّفت في السُّنَّة عمومًا، وفي الكتب التي صُنِّفت في ذم الكلام وأهله، فتجد السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ يحذرون الناس من تلقي الشبه، أو التنقيب عنها، أو البحث عنها؛ لأن هذه الشبه إذا دخل فيها مَن لا يحسن، فلا شك أنه يتضرر كما تضرر أناس كثيرون، لكن إذا وصلت الشبه إلى الناس فلا بد من الرد؛ لأن المحظور الذي كان يُخَاف، وهو أن يكون الرد سببًا في انتشارها قد تحقق، فصار لا بد من الرد، وألا تترك تشيع بين الناس دون رد، هذا هو المنهج الصحيح، وهذا الذي بنى عليه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ هذا الكتاب، فإنه رَدَّ على شُبَه واقعة موجودة في الناس، وتأثر بها مَن تأثر؛ فلأجل هذا تصدى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ وغفر له للرد عليها[٢].

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٢، ٢٥، ٣١)، تحقيق وعناية: عادل رفاعي، الناشر: مكتبة دار الحجاز، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ.

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وهو شرح صوتي مفرَّغ، جامع شيخ الإسلام ابن تيمية.

و«كشف الشبهات» هي رسالة صغيرة، لكن هي أصعب كتب المصنف؛ ولذلك فهي النهاية، والذي ينبغي أن تكون دراسة هذه الرسالة بعد أن يكون الطالب مؤصلًا في التوحيد، فإنَّ هذه الرسالة مؤلفة في مقام الرد، والرد لا بد أن يسبقه التأصيل(١)، فالأصل أنَّ كتاب «كشف الشبهات» يكون بعد كتاب التوحيد، فلا بد أولًا من دراسة «كتاب التوحيد» دراسة مفصلة حتى يُستفاد من هذه الرسالة، ومَن لم يدرس كتاب التوحيد دراسة مفصلة بدقة، فقد لا تتضح عنده الردود على بعض الشبهات التي ترد عليه(٢)؛ لأن هذا الكتاب مبني على كتاب التوحيد، فيجدر بطالب العلم أن يقرأه ويفهمه من خلال شروحه، ثم بعد ذلك يقرأ هذه الشبه التي يوردها المخالفون(٣)، فلا يفهم هذه الرسالة حقَّ الفهم إلا مَن أتم دراسة القواعد الأربع، وثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد، مع كمال العناية والفهم(٤).

ولأهمية تلك الرسالة: «كشف الشبهات»، وعظيم نفعها؛ أحببتُ أن أنتخب من مجموع الشروح المبسوطة عليها شرحًا يُفسر مسائلها، ويُقرب دلائلها، ويُتم مقاصدها، متوسطًا بين الإيجاز والإطناب، والإخلال والإسهاب؛ فاستخرتُ الله تعالى، وأجمعتُ ذلك راجيًا من الله سبحانه تحقيقَ محمود الأمل، وإخلاصَ صالح العمل، والإعانة على الإبانة، والهداية إلى الدراية،

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٢) ينظر: شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (١١).
(٤) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (١١).

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب[١]، وأسميتُ الشرح بـ «**تيسير رب البريات الجامع لشروح كشف الشبهات**».

وقد اطلعت ولله الحمد والفضل على عامة شروح هذه الرسالة، والتي تزيد على ثلاثين شرحًا[٢]، ثم جمعت من تلك الشروح ما يحصل به بيان المعنى للألفاظ الواردة في الرسالة، مع الانتقاء، والترتيب، والتهذيب، والتوثيق، وقد بذلت وسعي وجهدي في جَمْع ما تفرق في بطون هذه الشروح مما يحصل به بيان المعنى المراد وفهمه؛ راجيًا ومؤمِّلًا أن يكون هذا الشرح جامعًا لخلاصة وزبدة ما في هذه الشروح؛ رغبةً في تقريب مقاصد هذا الكتاب لطالبه، وجمع ما تفرق من كلام الشرَّاح عليه في موضع واحد؛ حتى يجد الراغب بغيته من دراسة الكتاب، والله الموفق والمسدد.

وقد قدمت بن يدي الشرح بدراسة مختصرة عن المصنف والكتاب: مع بيان الكتب المعتمدة في ضبط متن الكتاب، وبيان شروح كتاب كشف الشبهات المطبوعة والمنشورة التي تم الرجوع إليها.

ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه؛ فمَن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلَّ به العقل، فليبادر إلى النصيحة، ويعفو ويصفح عن عثرات

---

(١) مقدمة شرح العمدة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١/ ٣)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ.

(٢) سيأتي ذكرها، وهذه الشروح منها ما هو كتاب، ومنها ما هو مُفرَّغٌ من الدروس الصوتية.

الضعاف، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لحسن القصد وإصابة الحق، وأن يمنَّ عليَّ بالقبول وسائر المسلمين، والله أعلم.

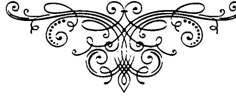
وجمعه

راجي عفو ربه الكريم

فهد بن بادي المرشدي

البريد الإلكتروني:

fahad-badi@hotmail.com



دراسة مختصرة عن المصنف والكتاب

أولًا: التعريف بالمصنّف:

هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، وُلد عام (١١١٥هـ) ببلدة العُيَينةِ من نجد في الجزيرة العربية، وتُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سنة (١٢٠٦هـ)، عن إحدى وتسعين سنة.

ثانيًا: اسم الكتاب:

ورد لهذا الكتاب عدة أسماء، **منها:**

الأول: «كشف الشبهات»، وهذا هو المشهور، وسمَّاه بذلك الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه: «تيسير العزيز الحميد» في (باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله)؛ وذكره ابن بشر في (عنوان المجد)؛ والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، كما في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

والثاني: «كشف شُبَه المرتاب»، وسمَّاه بذلك الشيخ محمد بن علي بن غريب في كتابه: «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق».

والثالث: «كشف الشُّبْهَة»، وسمَّاه بذلك الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب كما في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

والذي يترجَّح أنَّ العنوان الأول هو الصحيح؛ لأمور منها: أنَّ النُّسخ التي ذكرته بهذا العنوان نسخٌ متقدمة وقريبةُ العهد بالمصنف؛ ولأن تلاميذه وأقرب الناس إليه سمَّوه بهذا؛ والأسماء التي عداه حقيقتها اختصارٌ له، أو تعبيرٌ بما فيه[١].

ثالثًا: سبب تأليفه:

هذا الكتاب جوابٌ لشبهة، اعترض بها بعض المنتسبين للعلم في زمانه عليه، لما تصدَّى لبيان التوحيد والدعوة إليه، فاعترض عليه بعض الجهلة المتعلمين، فجمعوا شبهًا شبهوا بها على الناس، وزعموا أنَّ المصنِّف يكفر المسلمين وحاشاه ذلك؛ بل لا يكفر إلا مَن عمل مكفرًا، وقامت عليه الحجة، فأجابهم المصنف بهذا الكتاب وكشف شبههم بنصوص الكتاب والسنة[٢]؛ فهذا الكتاب يُعد من أهم مصنفات المصنف في الاعتقاد، وقد كتبه جوابًا عما أورده خصوم الدعوة من شبهات واعتراضات أثاروها حول دعوة التوحيد[٣]، وهذه الشبهات التي ردَّ عليها المصنف يقال: إن الذي أنشأها عالم الأحساء (عبد الوهاب بن محمد بن فيروز)؛ كما أفاده العلامة الشيخ عبد الله بن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤].

(١) كشف الشبهات، تحقيق: د. دغش بن شبيب العجمي (٢١)، الناشر: دار الخزانة، ط. الأولى: ١٤٤٠هـ.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٦)، جمعه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط. ١٤٢٨هـ؛ وشرح كشف الشبهات، محمد ابن صالح العثيمين (١٣)، إعداد: فهد السليمان، الناشر: دار الثريا، ط. الأولى: ١٤١٦هـ.

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣١).

(٤) الإكليل في وصف الرحلة والمقروءات على العلامة الشيخ عبد الله بن عقيل، د. وليد بن عبد الله المنيس (١٧٩).

رابعًا: تاريخ تأليف الكتاب:

لا يُعرف تاريخ معين لتأليف المصنِّف لهذا الكتاب، فالمصادر لا تُعطي تاريخًا معينًا لتأليف هذا الكتاب، لكن الملاحظ أنَّه ردٌّ على ما أثاره خصوم الدعوة السلفية من شُبه حول آراء مؤلفه في التوحيد وما يناقضه، وعلى هذا فإنه لم يؤلف إلا بعد ظهور ردود الفعل الأولى لما دعا إليه المصنف، وأقرب الاحتمالات أن تأليفه له حدَث أواخر إقامته في العيينة أو بعد انتقاله إلى الدرعية(١).

خامسًا: وصفٌ عام للكتاب:

هذا الكتاب مؤلفٌ لنقض أبرز الشبهات المتعلقة بتوحيد الألوهية(٢)، وأسلوب كشف الشبهات أسلوب جدلي، وجمَلُه طويلة نوعًا ما إذا قورنت بكتابات مؤلفه الأخرى، والكتاب قصير في محتواه، لكنه من أشهر ردود مؤلفه على معارضيه(٣)، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نهج في هذه الرسالة منهج المقدمة، ثم الجواب المجمل على هذه الشبه، ثم شرع بالجواب المفصل عن نحو ثلاث عشرة شبهة، ثم ذكر خاتمة جامعة جليلة في هذه المقام توضح وتختصر موقف المصنِّف من مسألة التكفير إجمالًا وتعيينًا(٤)، **فهذا الكتاب عبارة عن ثلاثة أقسام:**

---

(١) يُنظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، د. عبد الله الصالح العثيمين (٧٧)، الناشر: دار العلوم.

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره، د. عبد الله الصالح العثيمين (٧٨).

(٤) المقاصد الساميات في كشف الشبهات، علي بن عبد العزيز الشبل (٣)، الناشر: دار إيلاف، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ.

القسم الأول: المقدمة، وقد ذكر فيها المصنف عدة أمور منها: تعريف توحيد العبادة، وبيان أنه دين جميع المرسلين، وبيان حال المشركين في زمن الرسول ﷺ، واعتقادهم وطبيعة تدينهم[١]، فقدَّم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البسملة مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعَوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دينهم عند ورود الشبهات، ويعلم مَن هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، فإذا عرَف هذين الأمرين معرفة جيدة سلم من جُلِّ شبهات أهل الباطل.

القسم الثاني: وهو موضوع الكتاب، وذكر فيه شبهاتهم التي أوردوها عليه، وأجاب عنها بجوابين، أحدهما مجمل، والآخر تفصيلي[٢].

القسم الثالث: الخاتمة، وبيَّن فيها المصنف أهمية التوحيد، ووجوب العمل به ظاهرًا وباطنًا، وتحدَّث عن بعض الأعذار الواهية المانعة من العمل بالتوحيد[٣]، فهذه الخاتمة ذكر فيها المصنِّف أهمية التوحيد وخطر الشرك بالله جَلَّ وَعَلَا[٤].

سادسًا: عنوان الرسالة:

هذه الرسالة سُمِّيت: «كشف الشبهات»، والكشف هو: حسر الشيء عن

---

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٧)، نسخة ١٤٤١هـ.
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٣).
(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٧)، آخر نسخة ١٤٤١هـ.
(٤) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

الشيء[1]، فالكشف بمعنى: الإبانة والإزالة، والشبهات: جمع شبهة، والشبهة في اللغة هي: الالتباس والاختلاط، وفي الاصطلاح: التباس الحق بالباطل واختلاطه حتى لا يتبين[2]، فالشبهة هي: المسألة الباطلة التي صُورت للناس شبيهة بالحق لما أُورد عليها من الأدلة التي يظن المستدل بها والسامع لها من غير أهل الفقه في الدين أنها من العلم؛ لما قرن بها من الدليل والبرهان، فظنوها من الحق لشبهها به، فصار أمرها غير واضح لبعض الناس[3]، فهي المسألة التي جُعلت شبهًا بالحق؛ لأنَّ الحق عليه دليل بيّن واضح، والشبهة سُمِّيت شبهة؛ لأنها مسألة من مسائل العلم أورَدَ عليها أصحابها بعض الأدلة التي يظنون أنها علم، فالشبهة عبارة عن تشبيه الباطل بالحق، فإذا كانت المسألة شُبّه فيها الباطل بالحق -من جهة أنَّ الباطل له دليل وله برهان- وعُورض بها الحق؛ فإنها تكون شُبهةً، ولا شك أنَّ إزالة وكشف الشبهات من أصول هذا الدين؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا رد على المشركين في القرآن ودحض شبهاتِهم وأقوالَهم، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ﴾ [الشورى: ١٦]، فكل مَن يجادل بالباطل له حجة، وله علم، لكن حجته داحضة، وكون الحجة تُدحض هذا أصل في إزالة الشبهة في الدين، فإزالة الشبه التي شبَّه بها أعداء الملة وأعداء الدين فرضٌ من الفروض في هذه الشريعة، وواجب من الواجبات، ولا بد أن يوجد مَن يقوم به، وإلا التبس الباطل بالحق، وصار هذا يُشبه هذا، وضلَّ الناس[4].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٢)، منشور في موقع الشارح.

(٣) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (٥).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٢، ٣٣).

والمراد بالشبهة هنا: ما يجعله المبتدعة دليلًا لهم في تقرير مخالفاتهم المتعلقة بتوحيد العبادة[١].

وكشف الشُّبهة: هو رفع التباسها بالحق ببيان مضمونها وغايتها ووجوه بطلانها ومخالفتها للحق، وفساد الاستدلال بما أورد لها من الأدلة الصحيحة، وبطلان الأدلة الضعيفة[٢].

والمصنِّف كتب هذه الرسالة لإيضاح الشبهات وإبطالها[٣]، فكشف الشبهات؛ أي: إزالة الشبهات، وبيان بطلانها[٤].

سابعًا: الكتب المعتمدة في ضبط متن الكتاب:

قمت بضبط نص متن الكتاب بمقارنته بالكتب التي حققت المتن، وقد أَثْبَتُّ في الحاشية الفروقات بينها، **وهذه الكتب هي:**

١- كشف الشبهات، تحقيق: د. دغش بن شبيب العجمي[٥]، الناشر: دار الخزانة، ط. الأولى: ١٤٤٠هـ.

٢- كشف الشبهات، تحقيق: د. عبد المحسن بن محمد القاسم[٦]، ط. الأولى: ١٤٤١هـ.

---

(١) يُنظر: شبهات المبتدعة في توحيد العبادة، عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل (١/ ٣٩).

(٢) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (٥).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥)، الناشر: مدار الوطن، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ.

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٧).

(٥) وقد اعتمدَ في تحقيقه على سبع نسخ خطية، منها: نسخة بخط الشيخ محمد الكردي، وجعلَها الأصل المعتمد، وهي موجودة ضمن مقتنيات دارة الملك عبد العزيز بالرياض.

(٦) وقد اعتمدَ المحقق في تحقيقه الكتاب على ثلاث عشرة نسخة خطية.

٣- نسخة «كشف الشبهات»، المجموعة ضمن كتاب: «مقررات برنامج مهمات العلم»، للشيخ: صالح بن عبد الله العصيمي.

٤- كشف الشبهات، تحقيق وتعليق: عبد الله بن عايض القحطاني(١)، الناشر: دار الصميعي، ط. الأولى: ١٤١٨هـ.

٥- كشف الشبهات، اعتنى به: أبو العباس محمد بن جبريل الشَّحريُّ(٢)، الناشر: دار عمر بن الخطاب، ط. الأولى: ١٤٣٠هـ.

ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه؛ **فمَن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلَّ به العقل، فليبادر إلى النصيحة، ويعفو ويصفح عن عثرات الضعاف،** ويحضر بقلبه أن الإنسان محل الخطأ والنسيان والنقصان، والمنصف مَن اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، والكريم يعادل بالسيئات الحسنات، ويقضي على كلٍّ بحسبه من الأحوال والمقامات.

---

(١) وقد اعتمد في تحقيق الكتاب على تسع نسخ خطية، منها: نسخة موجودة في مركز الملك فيصل، وكان نسخها سنة ١٢١٣هـ، وقد جعلها الأصل، لِقِدمها، وقلة الأخطاء فيها.

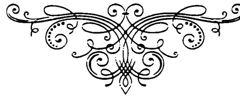
(٢) وقد اعتمدَ في تحقيقه على نسخة الشيخ محمد حامد الفقي، **وجعلها الأصل لأمرين:**

الأول: مقابلته لها على عدة أصول مقروءة على المشايخ من آل الشيخ.

والثاني: أنه راجعها العلامة الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين، كما قابل هذا الأصل على مخطوطتين جيدتين: النسخة الأولى: نسخة نجدية قديمة تم نسخها في محرم سنة (١٢١٣هـ)، أي: بعد وفاة المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بسبع سنين، وهذه أقدم النسخ الموجودة، والنسخة الثانية: نسخة جيدة، فرغ ناسخها من كتابتها سنة ١٣٢٧هـ، وقد ذكر المعتني أنه قابل النص المحقَّق على طبعات متعدِّدة وأفاد منها.

وأسأل الله تعالى بمنِّه وكرمه وتوفيقه وإحسانه أن يوفِّقني لحسن القصد وإصابة الحق، وأن يمنَّ عليَّ بالقبول وسائر المسلمين، والله أعلم، وبه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجمعه
راجي عفو ربه الكريم
فهد بن بادي المرشدي
البريد الإلكتروني:
fahad-badi@hotmail.com



شروح كتاب كشف الشبهات

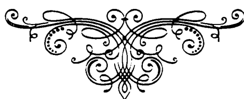
المطبوعة والمنشورة التي تم الرجوع إليها

م	اسم الكتاب	الشارح	المحقق/المعتني	الناشر
١	شرح كشف الشبهات	محمد بن إبراهيم آل الشيخ	محمد بن عبدالرحمن بن قاسم	بدون/ ١٤٢٨هـ
٢	شرح كشف الشبهات	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز	بدون	مدار الوطن / ١٤٣٦هـ
٣	شرح كشف الشبهات	عبدالله بن محمد بن حميد	محمد بن عبدالله الهبدان	كنوز أشبيليا/ ١٤٢٣هـ
٤	شرح كشف الشبهات	محمد بن صالح العثيمين	فهد السليمان	دار الثريا/ ١٤١٦هـ
٥	شرح كشف الشبهات	د. صالح بن فوزان الفوزان	عادل الفريدان	مؤسسة الرسالة/ ١٤٢٧هـ
٦	شرح كشف الشبهات	عبدالرحمن بن ناصر البراك	عبدالرحمن بن صالح السديس	شبكة نور الإسلام
٧	شرح كشف الشبهات	د. عبدالكريم بن عبدالله الخضير	المكتب العلمي (معالم السنن)	دار طيبة الخضراء/ ١٤٤٣هـ
٨	التعليقات على كشف الشبهات	عبدالله بن صالح القصير	بدون	دار الحلية/ ١٤٢٣هـ
٩	شرح كشف الشبهات	صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ	عادل رفاعي	دار الحجاز / ١٤٣٣هـ

م	اسم الكتاب	الشارح	المحقق / المعتني	الناشر
١٠	تعليقات على كتاب كشف الشبهات	عبدالله بن عبدالرحمن آل بسام	خالد بن محمد الحربي	بدون
١١	تعليقات ابن مانع على كشف الشبهات	محمد بن عبدالعزيز بن مانع	بدون	دار ابن خزيمة/ ١٤١٧هـ
١٢	شرح كتاب كشف الشبهات	عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي	مطبوع ضمن شروح رسائل الإمام / المجموعة الثانية	ط. الأولى: ١٤٣٨هـ
١٣	شرح كشف الشبهات	د. عبدالله بن عبدالعزيز العنقري	بدون	شرح صوتي مفرَّغ
١٤	شرح كشف الشبهات	صالح بن عبدالله العصيمي	بدون	شرح صوتي مفرَّغ
١٥	شرح كشف الشبهات	د. خالد بن عبدالله المصلح	بدون	منشور في موقع الشارح على الشبكة العنكبوتية
١٦	التنبيهات في شرح كشف الشبهات	عبدالله بن محمد الجهني	بدون	منشور في الشبكة العنكبوتية، نسخة ١٤٤١هـ.
١٧	الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات	د. عبدالعزيز بن علي القصير	بدون	دار ابن الجوزي/ ١٤٣٥هـ
١٨	المقاصد الساميات في كشف الشبهات	علي بن عبد العزيز الشبل	بدون	دار إيلاف الدولية/ ١٤٣٣هـ
١٩	تعليقات على كشف الشبهات	أحمد بن يحيى النجمي	حسن الدغريري	دار المنهاج/ ١٤٣٥هـ

م	اسم الكتاب	الشارح	المحقق/ المعتني	الناشر
٢٠	التعليقات المباركات على كشف الشبهات	زيد بن محمد بن هادي المدخلي	بدون	دار الميراث النبوي
٢١	شرح كشف الشبهات	عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر	منير الجزائري	دار الفرقان/ ١٤٤١هـ
٢٢	تعليقات على كشف الشبهات	د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف	بدون	دار الوطن/ ١٤١٨هـ
٢٣	تعليقات على كتاب كشف الشبهات	خالد بن عبدالله الأنصاري	بدون	النشر الرابع: ١٤٤٠هـ.
٢٤	شرح كشف الشبهات	حمد بن عبدالله الحمد	بدون	دار طيبة/ ١٤٤٤هـ
٢٥	أوجز العبارات على كشف الشبهات	خالد بن محمود الجهني	بدون	دار التقوى/ ١٤٣٧هـ
٢٦	شرح كشف الشبهات	حمد بن إبراهيم العثمان	بدون	١٤٣٩هـ
٢٧	المشكاة في شرح كشف الشبهات	د. خالد بن عبدالعزيز الباتلي	أكاديمية بناء العلمية	النشرة الثانية/ ١٤٣٩هـ
٢٨	التعليق على شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	د. عبدالمحسن بن محمد القاسم	بدون	منشور في الموقع الإلكتروني للشارح
٢٩	(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات	أ.د. صالح بن عبدالعزيز سندي	بدون	منشور في الموقع الإلكتروني للشارح

م	اسم الكتاب	الشارح	المحقق/ المعتني	الناشر
٣٠	(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات	د. ماهر بن عبدالرحيم خوجة	بدون	منشور في الشبكة العنكبوتية
٣١	ألطف العبارات في شرح كشف الشبهات	د. عبدالعزيز بن ريس الريس	بدون	منشور في الموقع الإلكتروني للشارح
٣٢	البينات في شرح كشف الشبهات	أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي	بدون	دار ابن الجوزي/ ١٤٤٣هـ
٣٣	حاشية الهلالي على كتاب كشف الشبهات	د. محمد تقي الدين الهلالي	مشهور بن حسن آل سلمان	دار الإمام مسلم/ ١٤٤٤هـ
٣٤	(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات	فيصل بن قزار الجاسم	بدون	منشور في الشبكة العنكبوتية





متن كشف الشبهات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[وبه نستعين](١)

اعلم -رحمك الله- أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه [وتعالى](٢) بالعبادة، وهو [دينُ الإسلام، وهو أيضًا](٣) دينُ الرسلِ، الذي أرسلَهم اللهُ به إلى عباده.

فأولهُم: نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أرسلَهُ اللهُ إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودٍّ، وسُواعٍ، ويغوثَ، ويعوقَ، ونسرٍ.

وآخرُ الرسل: محمدٌ ﷺ، وهو الذي كسَّرَ صورَ هؤلاءِ الصالحين، أرسله اللهُ إلى أُناسٍ(٤) يتعبَّدونَ، ويحجون، ويتصدَّقون، ويذكرون اللهَ [كثيرًا](٥)، ولكنَّهم يجعلون بعضَ المخلوقاتِ(٦) وسائطَ بينهم وبين الله عَزَّوَجَلَّ؛ يقولون:

(١) زيادة من نسخة دغش؛ والشَّحري.
(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٣) زيادة من نسخة دغش.
(٤) في نسخة الشَّحري: [إلى قومٍ].
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم.
(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [المخلوقين].

نريدُ منهم التقرُّب إلى الله [تعالى](١)، ونريدُ شفاعتهم عنده؛ مثلَ: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأُناسٍ غيرِهم من الصالحين.

فبعث الله تعالى [إليهم](٢) محمدًا ﷺ يُجدِّد(٣) لهم [دينهم](٤)؛ دينَ أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أنَّ هذا التقرُّبَ والاعتقادَ محضُ حقِّ اللهِ تعالى، لا يصلحُ منه شيءٌ [لغيره](٥)، لا لملَكٍ مُقرَّب ولا لنبي(٦) مُرسَلٍ؛ فضلًا عن غيرِهما. وإلا؛ فهؤلاء المشركون [الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ](٧) يشهدونَ أنَّ الله: هو الخالقُ [الرازقُ](٨) وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزقُ إلا هو، ولا يحيي [إلا هوَ](٩)، ولا يميتُ إلا هوَ، ولا يدبر الأمرَ إلا هو، وأنَّ جميع السماواتِ السبعِ ومَن فيهنَّ، [والأرضينَ السبعِ](١٠) ومَن فيهنَّ(١١)؛ كُلُّهم عبيدُهُ، وتحتَ تصرُّفهِ وقهرِهِ.

فإذا أردتَ الدليلَ على أنَّ هؤلاءِ المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري؛ ودغش.
(٣) في نسخة دغش: [ليُجدد].
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني. وفي نسخة الشَّحري: [لغير الله].
(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ولا نبي].
(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.
(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١٠) في نسخة دغش: [والأرض].
(١١) في نسخة الشَّحري؛ ودغش؛ والقحطاني: [ومن فيها].

يشهدون بهذا(١) فاقرأ [قولَهُ تعالى](٢): ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، وقولَهُ تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ [المؤمنون:٨٤]، إلى قَوْلِهِ: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، وغَيرَ ذلك من الآياتِ [العظيمةِ الدَّالَّةِ على ذلك](٣).

إذا تحقَّقتَ(٤) أنهم مُقرونَ بهذا، وأنه لم يُدخلهم(٥) في التوحيد، الذي [دعت إليه الرسلُ، و](٦) دعاهم إليه رسولُ الله ﷺ(٧).

وعرفتَ أنَّ التوحيد الذي جحدوهُ؛ هو: توحيدُ العبادةِ، الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقادَ».

كما كانوا(٨) يدعونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليلًا ونهارًا: ثم منهم مَن يدعو الملائكةَ؛ لأجلِ صلاحهم، وقُربهم من الله عَزَّوَجَلَّ(٩)؛ ليشفعوا له(١٠)، أو يدعو رجلًا صالحًا مثلَ: اللَّات، أو نبيًّا مثلَ: عيسى.

(١) في نسخة الشَّحري: [يشهدون لله هذه الشهادة].
(٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [عليه].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي.
(٤) في نسخة القاسم: [فإذا تحققت].
(٥) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ولم يدخلهم].
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٧) في نسخة دغش؛ والقاسم: [الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ].
(٨) في نسخة القحطاني: [وكانوا].
(٩) في نسخة الشَّحري: [وقربهم إلى الله].
(١٠) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ليشفعوا لهم].

وعرفتَ أنَّ رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادةِ لله [وحده][(١)] [لا شريك له][(٢)]، كما قال تعالى[(٣)]: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

وتحقَّقت أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ [إنما][(٤)] قاتلَهم ليكونَ [الدينُ كُلُّهُ لله، و][(٥)] الدعاءُ كُلُّهُ لله، والذبحُ كُلُّهُ لله، والنذرُ كُلُّهُ لله، والاستغاثةُ كُلُّها بالله، وجميعُ أنواعِ العبادة كُلُّها لله.

وعرفتَ أنَّ: إقرارهم بتوحيد الربوبيةِ، لم يُدخلهم في الإسلام، وأنَّ قصدَهُمُ الملائكةَ أو الأنبياءَ، أو الأولياءَ[(٦)]؛ يُريدونَ شفاعتَهم، والتقرُّبَ إلى الله بذلك، هو الذي أحلَّ دماءَهم وأموالَهُم: عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ، الذي دعت إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرار به المشركونَ.

وهذا التوحيدُ هو معنى قولِكَ: لا إله إلا الله؛ فإنَّ (الإله) عندهم هو: الذي يُقصَدُ لأجلِ هذه الأمورِ؛ سواءٌ كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جِنيًّا.

لم يُريدوا أنَّ (الإله) هو الخالقُ الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أنَّ ذلك لله

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) في نسخة الشَّحري: [كما قال الله تعالى].

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة العصيمي.

(٦) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [وأنَّ قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء].

وحدهُ، كما قدَّمتُ لك، وإنما يعنون بـ(الإله) ما يعني [به][(١)] المشركونَ في زماننا بلفظِ: (السيد).

فأتاهمُ النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله.

والمرادُ من هذه الكلمة: معناها؛ لا مجرَّدُ لفظِهَا.

والكفارُ الجهالُ يعلمون أن مرادَ النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفرادُ الله تعالى بالتعلُّقِ، والكُفرُ بما يُعبدُ من دونه والبراءةُ منه؛ فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فإذا[(٢)] عرفتَ أن جُهَّالَ الكفارِ يعرفون ذلك؛ فالعجبُ ممَّن يدعي الإسلامَ، وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمةِ ما عرفَ[(٣)] جُهَّالُ الكفارِ، بل يظنُّ أن ذلك هو التلفظُ بحروفها، من غير اعتقادِ القلب لشيءٍ من المعاني.

والحاذقُ منهم يظنُّ أن معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يدبرُ [الأمرَ][(٤)] إلا اللهُ [وحدَهُ][(٥)].

فلا خيرَ في رجُلٍ جهَّالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى[(٦)] لا إله إلا الله.

إذا عرفتَ ما قلتُ[(٧)] لك معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشركَ بالله، الذي قال الله

(١) زيادة من نسخة العصيمي.
(٢) في نسخة دغش: [إذا].
(٣) في نسخة الشَّحري: [ما عرفه].
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٦) في نسخة القحطاني: [بمعاني].
(٧) في نسخة الشَّحري: [ما ذكرتُ].

فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ(١) به الرسلَ من أولهِم إلى آخرِهم، الذي لا يقبلُ [الله](٢) من أحد [دينًا](٣) سواه.

وعرفتَ ما أصبحَ غالبُ الناس فيه(٤) من الجهل بهذا؛ **أفادك فائدتين:**

الأولى: الفرحُ بفضل الله ورحمته(٥)، كما قال تعالى(٦): ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وأفادك أيضًا(٧) الخوفَ العظيمَ؛ فإنك إذا عرفت أنَّ الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجها من لسانه [دون قلبه](٨)، وقد يقولها وهو جاهلٌ، فلا يُعذرُ بالجهل.

وقد يقولها وهو يظنُّ أنها تقربهُ إلى الله تعالى [زلفى](٩) كما ظنَّ(١٠) الكفار.

خصوصًا إنْ ألهمكَ اللهُ ما قصَّ عن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؛ فحينئذٍ

(١) في نسخة الشَّحري: [أرسلَ].
(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٤) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [عليه].
(٥) في نسخة القاسم: [وبرحمته].
(٦) في نسخة الشَّحري: [قال الله تعالى].
(٧) في نسخة دغش: [والثانية: أفادك أيضًا].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري. وفي نسخة دغش: [مازحًا].
(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(١٠) في نسخة الشَّحري: [كما كان ظَنَّ].

يعظُمُ خوفك وحرصكَ(١) على ما يخلصكَ(٢) من هذا وأمثالِه.

واعلم أنَّ الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد؛ إلا جعل له أعداءً؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقد يكونُ لأعداءِ التوحيدِ علومٌ كثيرةٌ، [وكتبٌ](٣)، وحُجَجٌ؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنَّ الطريق إلى الله، لا بدَّ له من أعداء قاعدين عليه، أهْلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحُجَجٍ؛ فالواجب عليك: أن تعلمَ من دينِ الله ما يصيرُ سلاحًا [لك](٤) تقاتلُ به هؤلاءِ الشياطينَ، الذين قال إمامُهم ومُقدَّمُهم لربك عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

ولكن إذا أقبلتَ على الله تعالى، وأصغيتَ إلى حُجَج الله(٥) وبيناتِه؛ فلا تخف ولا تحزن، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والعاميُّ من الموحدينَ، يغلِبُ ألفًا(٦) من علماء هؤلاءِ المشركين؛ كما

---

(١) في نسخة الشَّحري: [يعظم حرصُكَ، وخوفُكَ].
(٢) في نسخة القحطاني: [يعظم خوفه، وحرصه على ما يخلصه].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٤) زيادة من نسخة دغش؛ والقاسم. وفي نسخة الشَّحري: [ما يصير لك سلاحًا].
(٥) في نسخة الشَّحري: [وأصغيتَ إلى حُجَجه].
(٦) في نسخة القحطاني: [يغلبُ الألفَ].

قال تعالى(١): ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجُندُ اللهِ تعالى هم الغالبونَ بالحُجَّة واللسانِ، كما [أنهم](٢) [هم](٣) الغالبونَ بالسيف والسنانِ، وإنما الخوفُ على الموحد، الذي يسلُكُ الطريقَ، وليس معه سلاحٌ، وقد مَنَّ اللهُ علينا بكتابه، الذي جعلَهُ ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّةٍ؛ إلا وفي القرآن ما ينقُضُها ويُبينُ بطلانها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال بعض المفسرين: هذه الآيةُ عامةٌ في كل حجةٍ يأتي بها أهلُ الباطلِ إلى يوم القيامة.

وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ، مما ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زماننا علينا، فنقول: جوابُ أهلِ الباطل من طريقين: مجملٍ، ومفصلٍ.

أما المجمل: فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لمَن عقلَهَا، وذلك قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتمُ الذين يتبعون ما تشابه منه؛**

(١) في نسخة الشَّحري: [قال الله تعالى].
(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.
(٣) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

فأولئك الذين سمَّى الله؛ فاحذروهم»[١].

مثال ذلك: إذا قال لكَ بعضُ المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أو إنَّ الشفاعةَ حقٌّ، أو إنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله[٢]، أو ذكَر كلامًا للنبي ﷺ يستدلُّ به على شيءٍ من باطلِهِ، وأنتَ لا تفهمُ معنى الكلامِ الذي ذكره.

فجاوبهُ بقولك: إنَّ الله تعالى ذكَرَ [لنا في كتابه][٣] أن الذين في قلوبهم زيغٌ، يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ، وما ذكرتُهُ[٤] لكَ من أنَّ الله ذكرَ: أن المشركين يُقرون بالربوبية، وأنَّهُ كفَّرهم[٥] بتعلُّقِهم على الملائكة أو الأنبياءِ أو الأولياءِ[٦] مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

هذا[٧] أمرٌ محكمٌ [بينٌ][٨] لا يقدرُ أحدٌ أن يُغير معناهُ.

وما ذكَرتَ[٩] ....

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات، برقم (٤٥٤٧)؛ ومسلم في «صحيحه» كتاب: العلم، باب النهي عَن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، برقم (٢٦٦٥).

(٢) في نسخة الشَّحري: [وإنَّ الشفاعةَ حقٌّ، وإنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٤) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وما ذكرتُ].

(٥) في نسخة الشَّحري: [وأنَّ كُفْرَهُم].

(٦) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [والأنبياء والأولياء].

(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهذا].

(٨) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.

(٩) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وما ذكرتَهُ].

[لي][١] أيها المشركُ من القرآن أو كلامِ النبي ﷺ[٢]؛ لا أعرفُ معناه، ولكنْ أقطَعُ أنَّ كلامَ اللهِ لا يتناقضُ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالفُ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ، ولكنْ لا يفهمهُ، إلا مَن وفقهُ اللهُ تعالى، ولا تَسْتَهِونْهُ[٣]؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

وأما الجواب المفصَّلُ: فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دين الرسل، يصدُّون بها الناس عنه.

منها: قولهم: نحنُ لا نشركُ بالله [شيئًا][٤]، بل نشهدُ أنه لا يخلُقُ، ولا يرزق، [ولا يحيي، ولا يُميتُ، ولا يدبر الأمر][٥]، ولا ينفَعُ ولا يضُرُّ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيرِه، ولكن أنا مُذنبٌ، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجاوبه بما تقدَّم؛ وهو: أنَّ الذين قاتلَهم رسولُ الله ﷺ مُقرُّون بما ذكرتَ [لي أيها المُبطلُ][٦]، ومقرون أنَّ أوثانهم لا تُدبر شيئًا، وإنما أرادوا [ممَّن

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أو كلام رسولِ الله ﷺ].
(٣) وفي نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [فلا تستهن به]؛ وفي نسخة دغش: [ولا تستهون به].
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

قصدوا][1] الجاهَ والشفاعةَ، واقرأ عليه ما ذكرَ[2] اللهُ في كتابه، وَوَضَّحَهُ.

فإن قال: [إن][3] هؤلاءِ الآياتِ نزلت فيمَن يعبُدُ الأصنامَ، [ونحن لا نعبد الأصنام][4]، كيف[5] تجعلون الصالحين مثلَ الأصنامِ[6]؟ أم كيف تجعلون الأنبياءَ أصنامًا؟

فجاوبهُ بما تقدَّم؛ فإنه إذا أقرَّ أن الكفارَ يشهدون بالربوبية كُلّها لله، وأنهم ما أرادوا ممَّا[7] قصدوا إلا [القُربَ و][8] الشفاعةَ، ولكنْ أرادَ أن يُفرق بين فعلِهم وفعلِهِ بما ذكَرَ[9].

فاذكُر له: أن الكفار منهم مَن يدعو[10] الأصنام، ومنهم مَن يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعونَ عيسى ابنَ مريمَ، وأمَّهُ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥].

---

(١) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني.
(٢) في نسخة القاسم: [ما ذكره].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٤) زيادة من نسخة العصيمي.
(٥) في نسخة القاسم: [فكيف].
(٦) في نسخة الشَّحري: [كيف تجعلونَ الصالحين أصنامًا؟].
(٧) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [ممن].
(٨) زيادة من نسخة دغش.
(٩) في نسخة الشَّحري: [بين فعلِهم وفعله بما ذكرَهَ]. وفي نسخة العصيمي: [فعلِهِ وفعلِهم بما ذكَرَ].
(١٠) في نسخة الشَّحري؛ ودغش زيادة: [الصالحين، و].

واذكُر له قولَهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]. وقولَهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فقل له: عرفتَ(١) أنَّ اللهَ كفَّرَ من قصَدَ الأصنام، وكفَّر أيضًا من قصَدَ الصالحينَ، وقاتلَهُم رسولُ اللهِ ﷺ.

فإن قال: الكفار يريدونَ منهمُ [النفعَ والضُّرَّ](٢)، وأنا أشهدُ أنَّ اللهَ [هو](٣) النافعُ الضارُّ المدبرُ، لا أُريدُ إلا منهُ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيءٌ، ولكن أقصِدُهُم أرجو من الله شفاعتَهُم.

فالجوابُ: أنَّ هذا قولُ الكفارِ، سواءٌ بسواء.

فاقرأ عليه(٤) [قولَهُ تعالى](٥): ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقولَهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

واعلم: أنَّ هذه الشُّبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندهم؛ فإذا عرفتَ أنَّ الله وضَّحَها في كتابه، وفَهِمتَها فهمًا جيدًا؛ فما بعدَها أيسرُ منها.

فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ، وهذا الالتجاءُ إليهم(٦)، ودعاؤهُم ليس بعبادةٍ.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [أعرفتَ]؛ وفي نسخة دغش: [هل عرفت].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٤) في نسخة القاسم: [واقرأ عليه].

(٥) في نسخة دغش: [قولَهُم].

(٦) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [وهذا الالتجاء إلى الصالحين].

فقل له: أنت تقرُّ أن الله فرضَ(١) عليك إخلاصَ العبادة [لله](٢)، [وهو حقُّهُ عليك](٣)؟.

فإذا قال: نعم.

فقل له: بَيِّنْ لي هذا [الفرض](٤) الذي فرضَهُ(٥) اللهُ عليك، وهو إخلاصُ العبادة [لله](٦) [وحده](٧)، وهو حقُّهُ عليك.

فإنه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَهَا؛ فبينها [له](٨) بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

فإذا أعلمتَهُ بهذا(٩)، [فقل له](١٠): هل هو عبادةٌ لله تعالى؟

فلا بدَّ أن يقولَ: نعم، والدعاء مخُّ العبادة(١١).

فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادةٌ، ودعوتَ اللهَ ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثمّ دعوتَ في تلك الحاجَةِ نبيًّا أو غيرَهُ؛ هل أشركتَ في عبادة الله غيرَهُ؟

---

(١) في نسخة الشَّحري: [افترض].
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٤) زيادة من نسخة العصيمي.
(٥) في نسخة القاسم: [فرَض]
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٩) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إذا عَلِمتَ بهذا].
(١٠) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(١١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والدعاءُ مِنَ العبادةِ].

فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له[١]: قالَ اللهُ تعالى[٢]: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢]، [فإذا][٣] أطعتَ[٤] اللهَ ونحرت له؛ هل [هذه][٥] عبادةٌ؟

فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له: [إذا][٦] نحرتَ لمخلوقٍ: نبي، أو جني، أو غيرهما؛ هل أشركتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟

فلا بدَّ أن [يُقرَّ، و][٧] يقولَ: نعم.

وقل[٨] له أيضًا: المشركون الذين نزلَ فيهم القرآنُ؛ هل كانوا يعبدونَ الملائكةَ والصالحينَ واللاتَ وغيرَ ذلك؟

فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتُهم إياهم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحوِ ذلك؟ وإلا فهُم مقرُّون أنهم عبيدٌ[٩] تحتَ قهرِ اللهِ[١٠]، وأنَّ اللهَ هو الذي يُدبر

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٢) في نسخة دغش: [إذا قال الله:]. وفي نسخة الشَّحري: [فإذا قال الله].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.
(٤) في نسخة القاسم: [صَلَّيتَ].
(٥) في نسخة دغش؛ والقاسم: [هذا].
(٦) في نسخة دغش: [فإذا].
(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.
(٨) في نسخة دغش: [فقل].
(٩) في نسخة دغش؛ والقاسم؛ والقحطاني: [عبيده]. وفي نسخة الشَّحري: [عبيد الله].
(١٠) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [وتحت قهره]؛ وفي نسخة القحطاني: [وتحتَ قهرِ الله].

الأمرَ، ولكن دعَوْهُم والتجؤُوا إليهم للجاه والشفاعةِ، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

فإن قال: أتُنكرُ شفاعةَ رسُولِ الله ﷺ وتتبرأُ[1] منها؟

فقل: لا أُنكرها، ولا أتبرأُ منها، بل هو ﷺ: الشافعُ المُشفَّعُ [في المحشَرِ][2]، وأرجو شفاعتَهُ، ولكنَّ الشفاعةَ كُلَّها لله[3]، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ولا تكونُ إلا [مِن][4] بعدِ إذنِ الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولا يشفعُ في أحدٍ إلا [مِن][5] بعدِ أن يأذنَ اللهُ فيه، [ولا يأذَنُ إلا لأهل التوحيد والإخلاص][6]؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كُلُّها لله، ولا تكونُ إلا [مِن][7] بعدِ إذنهِ، ولا يشفعُ النبي ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذنَ اللهُ فيه، ولا يأذَنُ إلا لأهل التوحيد؛ تبين [لك][8]: أنَّ الشفاعة كُلَّها لله، و[أنا][9] أطلبها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعتَهُ، اللهمَّ شفعهُ فيَّ، وأمثَالَ هذا.

---

(١) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ والقحطاني: [وتبرأُ].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) في نسخة الشَّحري: [ولكن الشفاعةُ لله كُلُّها]؛ وفي نسخة دغش: [لكنِ الشفاعةُ كلها لله].

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي.

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

فإن قال: النبيُّ ﷺ أُعطيَ الشفاعةَ، وأنا أطلُبهُ[١] مما أعطاهُ الله؟

فالجوابُ: أنَّ الله أعطاهُ الشفاعةَ، ونهاكَ أن تدعوَ معهُ أحدًا[٢]، فقال[٣] تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، [وطلَبُكَ من الله شفاعةَ نبيه عبادةٌ، والله نهاك أن تُشركَ في هذه العبادةِ أحدًا][٤]، فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشفعهُ[٥] فيكَ؛ فأطعهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وأيضًا: فإنَّ الشفاعةَ أُعطيها غيرُ النبي ﷺ، فصحَّ أنَّ الملائكةَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعون، أتقولُ: إنَّ الله أعطاهُمُ الشفاعةَ فأطلُبُها[٦] منهم؟

فإن قلتَ هذا، [وجوزَّت دعاءَ هؤلاءِ][٧]؛ رجعتَ إلى عبادةِ الصالحينَ التي ذكرَ[٨] اللهُ في كتابه[٩].

وإن قلتَ: لا؛ بطلَ قولُكَ: (أعطاهُ اللهُ الشفاعةَ، وأنا أطلُبُهُ[١٠] مما أعطاهُ اللهُ).

---

(١) في نسخة الشَّحري: [وأنا أطلبُ منهُ].
(٢) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [ونهاك أن تدعو مع الله أحدًا]؛ وفي نسخة دغش؛ والقحطاني: [ونهاك عن هذا].
(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وقال].
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.
(٥) في نسخة الشَّحري: [أن يشفع نبيه].
(٦) في نسخة الشَّحري: [وأطلُبُها].
(٧) زيادة من نسخة العصيمي.
(٨) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ذكرَهَا].
(٩) في نسخة الشَّحري زيادة: [أنها الشرك الذي لا يغفره].
(١٠) في نسخة الشَّحري: [وأنا أطلب منه].

فإن قال: أنا لا أشركُ بالله شيئًا، حاشا وكلَّا، ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصَّالحينَ ليس بشركٍ.

فقل له: إذا كنت تُقرُّ أنَّ الله حرَّم الشرك أعظمَ من تحريم الزنا، وتُقرُّ أن الله لا يغفرهُ، فما هذا الأمر الذي عظَّمهُ اللهُ، وذكرَ أنه لا يغفرُهُ؟ فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تُبرئُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ [أم](١) كيفَ يُحرم اللهُ عليك هذا، ويذكُرُ أنه لا يغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفهُ؟ أتظنُّ أن الله عَزَّوَجَلَّ يحرمهُ ولا يُبينهُ لنا؟

فإن قال: [إنَّ](٢) الشركَ [بالله](٣) عبادةُ الأصنامِ، ونحن لا نعبدُ الأصنامَ.

فقل له: [و](٤) ما معنى عبادةِ الأصنامِ؟

أتظنُّ أنهم [كانوا](٥) يعتقدونَ أن تلك الأحجارَ والأخشابَ [والأشجارَ](٦) تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ مَن دعاها؟ فهذا يُكذبهُ القرآنُ؛ [كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:٣١]](٧).

[وإن قال: إنهم يقصدونَ خشبةً](٨)، أو حجرًا، أو بُنيَةً على قبرٍ............

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٢) زيادة من نسخة دغش.
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٨) في نسخة الشَّحري: [أو هو قصدُ أثرِ عبدٍ صالحٍ؛ خشبةً]؛ وفي نسخة القاسم: [وإن قال:=

أو غيرِه[١]، يدعون ذلك[٢] ويذبحونَ له؛ يقولون[٣]: إنه يُقربنا إلى الله زلفى، ويدفعُ عنَّا اللهُ ببركته[٤]، ويعطينا[٥] ببركتِهِ.

فقل[٦]: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجار [والبِنَا الذي][٧] على القبور وغيرِها.

فهذا [قد][٨] أقرَّ أنَّ فعلَهُم هذا هو عبادةُ الأصنام، وهو[٩] المطلوبُ.

و[يُقال له][١٠] أيضًا: قولُك: الشركُ: عبادةُ الأصنام؛ هل مُرادُكَ أنَّ الشرك مخصوصٌ بهذا، وأنَّ الاعتماد على الصالحين ودُعاءَهُم لا يَدْخُلُ في ذلك[١١]؟

فهذا يردُّه ما ذكرَ[١٢] اللهُ تعالى في كتابه مِنْ كُفرِ مَنْ تعلَّقَ على الملائكة أو عيسى أو الصالحين.

=هو قَصْدَ خَشَبةٍ]؛ وفي نسخة دغش: [وإن قال: هو من قصد خشبة]؛ وفي نسخة القحطاني: [فإن قال: إنهم يقصدون خشبةً].

(١) في نسخة الشَّحري: [أو غيرَهَا].

(٢) في نسخة الشَّحري زيادة: [الصالحَ عندها].

(٣) في نسخة الشَّحري: [ويقولون].

(٤) في نسخة الشَّحري: [ويدفع الله عنَّا ببركته]؛ وفي نسخة القاسم: [ويدفع عنَّا ببركته].

(٥) في نسخة القاسم: [أو يُعطينا].

(٦) في نسخة الشَّحري: [فقد].

(٧) في نسخة الشَّحري: [والأبنية التي]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [والبنايا التي].

(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٩) في نسخة الشَّحري: [فهو].

(١٠) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ وفي نسخة دغش: [ويقال].

(١١) في نسخة الشَّحري: [لا يدخل في هذا].

(١٢) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [ما ذكرَه]

فلا بُدَّ أن يُقرَّ لك: أنَّ مَن أشركَ في عبادةِ اللهِ أحدًا من الصالحين؛ فهو الشركُ المذكورُ في القرآن؛ وهذا هو المطلوبُ.

وسرُّ المسألةِ: أنه إذا قال: أنا لا أشركُ بالله [شيئًا][١]؛ فقل له: وما الشرك بالله؟ فسرهُ لي.

فإن قال: هو عبادةُ الأصنام.

فقل له: وما [معنى][٢] عبادةِ الأصنامِ؟ فسِّرها لي.

وإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ [وحده][٣].

فقل [له][٤]: ما معنى عبادةِ اللهِ [وحده][٥] [لا شريك له][٦]؟ فسرها لي.

فإن فسَّرَها بما بيَّنْتُهُ[٧] فهو المطلوب، وإن لم يعرفهُ، فكيفَ يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ؟

وإن فسَّر ذلك بغير معناه[٨]؛ بَيَّنْتَ له الآياتِ الواضحاتِ في معنى الشركِ

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي.
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم.
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٧) في نسخة الشَّحري: [فإن فسَّرها بما بينه الله في القرآن]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [فإن فسَّرها بما بينه القرآن].
(٨) في نسخة العصيمي: [وإن فسَّرها بغير معناها].

باللهِ، وعبادةِ الأوثانِ؛ [أنه][(١)] الذي يفعلونه[(٢)] في هذا الزمان بعينه، وأنَّ عبادَةَ اللهِ وحدهُ لا شريك له؛ هي التي[(٣)] يُنكرونَ علينا، ويَصيحُونَ [منه][(٤)]، كما صاحَ إخوانهم حيثُ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥][(٥)].

فإن قال: إنهم [لم][(٦)] يكفُروا بدعاء الملائكةِ والأنبياءِ، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، ونحن لم نقل: [إنَّ][(٧)] عبدَ القادرِ [ابنُ الله][(٨)]، ولا غيرَهُ ابنُ اللهِ[(٩)].

فالجواب: أنَّ نسبةَ الولدِ إلى الله كفرٌ مستقلٌّ؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١- ٢]، والأحدُ: الذي لا نظيرَ لهُ، والصَّمدُ: المقصُودُ في [جميع][(١٠)] الحوائج، فمَن جحَدَ هذا فقد كفَرَ، ولو لم يجحد آخِرَ السُّورةِ.

[ثم قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، فمَن جحدَ هذا فقد

(١) في نسخة الشَّحري: [وأنه].
(٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [يفعلون].
(٣) في نسخة دغش: [الذي].
(٤) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني. وفي نسخة الشَّحري: [علينا].
(٥) ما بعد هذا إلى قوله: [ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين]. غير موجود في نسخة القاسم.
(٦) في نسخة الشَّحري: [لا].
(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٩) في نسخة الشَّحري: [ابنٌ لله].
(١٠) زيادة من نسخة الشَّحري.

كفر، ولو لم يجحد أوَّلَ السورة][1].

وقال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ففَرَّقَ بين النوعين، وجعلَ كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا.

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، ففَرَّقَ بين الكفرين.

والدليل على هذا أيضًا: أنَّ الذين كفروا بدعاء اللات مع كونِهِ رجلًا صالحًا؛ لم يجعلوه ابنَ اللهِ، والذين كفروا بعبادة الجِنِّ، لم يجعلُوهُم كذلك.

وكذلك العلماءُ أيضًا في جميع المذاهب الأربعة[2]، يذكرونَ في باب حُكم المرتدِّ: أنَّ المسلمَ إذا زعمَ أنَّ لله ولدًا؛ فهو مرتدٌّ، وإنْ أشركَ بالله، فهو مرتدٌّ، فيُفرقون بين النوعينِ، وهذا [واضحٌ][3] في غاية الوضوحِ.

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

فقل: هذا هو الحقُّ، ولكنْ لا يُعْبَدُونَ، ونحن لا نُنكر إلا عبادَتَهُم معَ اللهِ، وإشراكَهُم معهُ، وإلا فالواجبُ [عليكَ][4] حُبُّهُم، واتباعهم، والإقرارُ بكراماتِهم، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ، ودينُ الله وسطٌ بين طرفين، وهدى بينَ ضلالتين، وحقٌّ بين باطلينِ.

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٢) في نسخة دغش؛ والقحطاني: [وكذلك العلماء أيضًا، وجميع المذاهب الأربعة].

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) في نسخة الشَّحري: [علينا].

فإذا عرفت أنَّ هذا الذي يسميه المشركون في [وقتنا][١]: «الاعتقادَ»؛ هو الشركُ الذي أُنزِلَ[٢] فيه القرآنُ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناسَ عليه؛ فاعلم: أنَّ شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتنا[٣] **بأمرين:**

أحدُهما: أنَّ الأوَّلينَ لا يُشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ، أو الأولياءَ، أو الأوثانَ[٤] مع الله؛ إلا في الرخاء، وأما في [الضُّر و][٥] الشدة فيُخلصون لله الدين[٦]، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠] إلى قوله: ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر: ٨] الآيةُ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾ [لقمان: ٣٢].

فمَن فهم هذه المسألَةَ، التي وضَّحَها اللهُ في كتابه؛ وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيرَهُ في الرخاء، وأمَّا في

---

(١) في نسخة الشَّحري: [وقتنا هذا كَبِيرَ]؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [زمننا].

(٢) في نسخة القاسم؛ ودغش: [نزلَ]؛ وفي نسخة الشَّحري: [أَنزَلَ الله].

(٣) في نسخة القاسم؛ ودغش: [أهلِ زماننا].

(٤) في نسخة الشَّحري: [والأولياء أَوثانًا]؛ وفي نسخة القاسم: [والأولياء والأوثان].

(٥) زيادة من نسخة دغش.

(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [فيُخلصون الدين لله].

[الضَّراء و][1] الشدة فلا يَدْعُون إلا اللهَ وحدَهُ، [لا شريكَ له][2]، وينسون ساداتِهم؛ تَبيَّن له الفرقُ بين شركِ أهلِ زماننا وشركِ الأوَّلينَ، ولكن أين مَن يفهَمُ قلبُهُ هذه المسألةَ فهمًا [جيدًا][3] راسخًا؟ والله المستعانُ، [وبه التوفيق][4].

والأمر الثاني: أنَّ الأوَّلينَ يدعونَ مع الله أُناسًا مُقرَّبين عند اللهِ؛ إما أنبياءَ وإما أولياءَ[5]، وإما ملائكةً، أو يدعونَ أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله، ليست عاصيةً[6]، وأهلُ زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونَهم: هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وتركِ الصلاةِ وغيرِ ذلك.

والذي يعتقدُ في الصالح والذي لا يعصي -مِثلَ الخشبِ والحجرِ-؛ أهونُ ممن يعتقدُ فيمَن يُشَاهِدُ [بنفسِهِ][7] فِسقَهُ وفسادَهُ ويشهدُ به.

إذا تحقَّقتَ أن الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء؛ فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبهةً يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبهِهِم، فأصغِ سمعكَ لجوابها. وهي أنهم يقولون: إنَّ الذين نزل فيهم القرآنُ لا يشهدون أَلَّا إله إلا الله [وأن محمدًا رسولُ اللهِ][8]، ويُكَذبونَ رسولَ الله

---

(١) زيادة من نسخة دغش؛ وفي نسخة الشَّحري: [وأما في الضُّر].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ ودغش؛ والقاسم.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) زيادة من نسخة دغش.

(٥) في نسخة العصيمي: [إما نبيًّا، وإما وليًّا].

(٦) في نسخة الشَّحري: [أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعةً لله، وليست عاصية]؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ليست بعاصيةٍ].

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) زيادة من نسخة العصيمي.

ﷺ(١)، ويُنكرونَ البعثَ، ويُكذبونَ القرآنَ ويجعلونهُ سحرًا، ونحن نشهدُ أَلَّا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ونُصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعث، ونصلي ونصومُ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلافَ بين العلماءِ كلهِم؛ أنَّ الرجلَ إذا صدَّقَ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ وكذَّبه في شيءٍ؛ أنه كافرٌ، لم يدخل في الإسلام.

وكذلك إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضَهُ، كمَن أقرَّ بالتوحيد وجحدَ وجوبَ الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاةِ وجحدَ وجوبَ الزكاةِ، أو أقرَّ بهذا كُلهِ وجحدَ [وجوبَ](٢) الصومِ، أو أقرَّ بهذا كله وجحدَ [وجوب](٣) الحج.

ولما لم يَنْقَد أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج، أنزلَ اللهُ تعالى في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومَن أقرَّ بهذا كله، وجحدَ(٤) البعثَ؛ كفرَ بالإجماع، وحلَّ دمُهُ ومالُهُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٠]، فإذا كان اللهُ تعالى قد صرَّح في كتابه: أنَّ مَن آمنَ ببعضٍ، وكفرَ ببعضٍ؛ فهو الكافرُ(٥) حقًّا، [وأنه يستحقُّ ما ذُكرَ](٦)؛ زالت هذه الشبهةُ.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [ويكذبون الرسول].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٤) في نسخة الشَّحري زيادة: [وجوب].

(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [فهو كافرٌ].

(٦) زيادة من نسخة الشَّحري.

وهذه هي التي ذكرها بعضُ أهلِ الأحساءِ في كتابه الذي أرسلَ(١) إلينا.

ويُقالُ [أيضًا](٢): إذا كنتَ تُقرُّ أنَّ مَن صدَّقَ الرسول ﷺ في كل شيءٍ، وجحَدَ وجوبَ الصلاةِ؛ [فهو](٣) كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيءٍ إلا البعثَ، وكذلك لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ، وصدَّق(٤) بذلك [كله](٥)، [لا يَجْحَدُ هذا](٦)، ولا تختلفُ المذاهبُ فيه، وقد نطق به القرآنُ كما قدمنا.

فمعلومٌ أنَّ التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظمُ من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحدَ الإنسانُ شيئًا من هذه الأمور: كفَرَ؛ ولو عملَ بكل ما جاء به الرسول ﷺ؛ وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دينَ الرسلِ كُلهِم: لا يكفُرُ؟ سبحان الله، ما أعجبَ هذا الجهلَ.

ويُقال أيضًا: هؤلاء(٧) أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أَلَّا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، ويصلُّون ويؤذنون(٨).

---

(١) في نسخة الشَّحري: [أرسلَهُ].
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم.
(٣) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [أنه].
(٤) في نسخة القاسم: [وأقرَّ]؛ وفي نسخة القحطاني: [وكذَّبَ].
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.
(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [لهؤلاء].
(٨) في نسخة دغش زيادة: [ويصومون].

فإن قال: إنهم [يقولون][(١)]: إنَّ مسيلمةَ نبيٌّ.

قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان مَن رفعَ رجُلًا في[(٢)] رتبةِ[(٣)] النبي ﷺ كفَرَ، وحلَّ مالُهُ ودمُهُ، ولم تنفعهُ الشهادتانِ ولا الصلاةُ، فكيف بمَن رفع شمسانَ أو يُوسُفَ أو صحابيًّا أو نبيًّا [أو غيرهُم][(٤)] في[(٥)] مرتبةِ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ؟

سبحان الله[(٦)]، ما أعظمَ شأنَهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويُقال أيضًا: الذين حرَّقهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالنار؛ كُلُّهم يَدَّعُون الإسلامَ، وهم من أصحاب عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وتعلَّمُوا العلمَ من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثلَ الاعتقادِ في يوسُفَ وشمسانَ وأمثالِهما، فكيف أجمعَ الصحابةُ على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أنَّ الصحابةَ يُكَفِّرونَ المسلمين؟ أم تظنون [أنَّ][(٧)] الاعتقادَ في[(٨)] تاجٍ وأمثالِهِ لا يضُرُّ، والاعتقادَ في علي بنِ أبي طالبٍ يُكَفِّرُ؟

ويُقال أيضًا: بنو عبيدٍ القدَّاح الذين مَلَكوا المغربَ ومصرَ في زمان بني

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [يشهدونَ].

(٢) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إلى].

(٣) في نسخة القاسم: [مرتبة]

(٤) زيادة من نسخة العصيمي.

(٥) في نسخة الشَّحري: [إلى].

(٦) في نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني: [سبحانه].

(٧) زيادة من نسخة دغش؛ والقاسم؛ والعصيمي؛ والشَّحري.

(٨) في نسخة دغش زيادة: [يوسف، وفي].

العباسِ: كُلُّهم يشهدون [بألسنتهم][(١)] أَلَّا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويَدَّعونَ الإسلامَ، ويُصلُّونَ الجمعةَ والجماعةَ، فلمَّا أظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحن فيه؛ أجمعَ [جميعُ][(٢)] العلماء على كفرهم وقتالِهم، وأنَّ بلادهم بلادُ حربٍ، وغزاهمُ المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمينَ.

ويُقال أيضًا: إذا كان [المشركونَ][(٣)] الأولون لم يكْفُرُوا إلا لأنهم جمعوا بين الشركِ وتكذيبِ الرسولِ والقرآنِ وإنكارِ البعثِ وغيرِ ذلك، فما معنى البابِ الذي ذكره العلماءُ في كل مذهبٍ: «بابُ حكمِ المرتد»، وهو: المسلم الذي يكفُرُ بعد إسلامه، ثم[(٤)] ذكروا أنواعًا[(٥)] كثيرةً، كُلُّ نوعٍ منها يُكفرُ، ويُحِلُّ دمَ الرجُلِ ومالَهُ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند مَن فعلها، مثلَ: كلمةٍ يذْكُرُها بلسانه دون قلبِهِ، أو كلمَةٍ يذْكُرُها على وجه المزحِ واللعبِ.

ويُقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعتَ اللهَ كفَّرهم بكلمَةٍ؛ مع كونهم في زمنِ رسولِ الله ﷺ، و[هم][(٦)] يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحدون.

---

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٣) زيادة من نسخة العصيمي.

(٤) في نسخة الشَّحري: [وقد].

(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أشياءَ].

(٦) زيادة من نسخة الشَّحري.

وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥- ٦٦]، فهؤلاء الذين صرَّح اللهُ فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، [وهم](١) مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزحِ [واللعب](٢).

فتأمل هذه الشبهةَ، وهي قولُهُم: تُكَفِرُون المسلمينَ؛ [تكفرون](٣) أُناسًا يشهدون أَلَّا إله إلا الله، ويُصلُّون، ويصومون، [ويحجُّون](٤)، ثم تأمَّل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراقِ.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللهُ عن بني إسرائيلَ -مع [إسلامِهم](٥) وعلمِهم وصلاحِهم- أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقولُ أُناسٍ(٦) من الصحابة: [يا رسول الله](٧) اجعل لنا ذات أنواط، فحَلَفَ رسولُ الله ﷺ: أنَّ هذا [مثلُ](٨) قولِ بني إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾.

ولكنْ للمشركين شبهةٌ(٩) يُدلون بها عند هذه القصةِ، وهي أنهم يقولون:

---

(١) في نسخة الشَّحري: [كانوا].
(٢) زيادة من نسخة دغش.
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) زيادة من نسخة العصيمي.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٦) في نسخة العصيمي: [وقال أُناسٌ].
(٧) زيادة من نسخة القاسم؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [اجعل لنا يا رسولَ الله ذاتَ أنواطٍ].
(٨) في نسخة الشَّحري: [نظيرُ].
(٩) في نسخة الشَّحري زيادة: [أخرى].

إنَّ بني إسرائيل لم يكفُرُوا [بذلك][١]، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعلَ لهم ذاتَ أنواطٍ[٢]؛ لم يكفروا.

فالجواب: أن تقولَ[٣]: إنَّ بني إسرائيلَ لم يفعلوا [ذلك][٤]، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا [ذلك][٥]، ولا خلاف [في][٦] أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك؛ لكفروا، و[كذلك][٧] لا خلاف [في][٨] أنَّ الذين نهاهم النبي ﷺ: لو لم يُطيعوه، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعد نهيِهِ؛ لكفروا، وهذا هو المطلوبُ.

ولكنَّ هذه القصةَ تُفيدُ: أنَّ المسلمَ -بل العَالِمَ- قد يقعُ في أنواعٍ من الشرك [وهو][٩] لا يدري عنها، فتفيدُ [لُزومَ][١٠] التَّعَلُّم[١١] والتحرُّز، ومعرفة أنَّ قولَ الجاهلِ: (التوحيدُ فهمناهُ)؛ أنَّ هذا من أكبرِ الجهلِ، ومكايدِ[١٢] الشيطانِ.

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٢) في نسخة الشَّحري: [وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط]؛ وفي نسخة القاسم: [وكذلك الذين قالوا لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذاتَ أنواط]؛ وفي نسخة دغش: [وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط].
(٣) في نسخة الشَّحري: [أن نقُولَ].
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي.
(٦) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١٠) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١١) في نسخة القحطاني: [التعليم].
(١٢) في نسخة القاسم؛ ودغش؛ والقحطاني: [ومكائدِ].

وتفيدُ أيضًا: أنَّ المسلمَ المجتهدَ [الذي][١] إذا تكلَّم بكلامٍ كُفْرٍ[٢]، وهو لا يدري؛ فنُبه على ذلك، وتابَ[٣] من ساعته؛ أنه لا يكفُرُ؛ كما فعلَ بنو إسرائيل، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ[٤].

وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفُر؛ فإنه يُغلَّظُ عليه الكلامُ تغليظًا شديدًا؛ كما فعلَ رسولُ الله ﷺ.

وللمشركينَ[٥] شبهةٌ أخرى، [وهي أنهم][٦] يقولون: إن النبي ﷺ أنكرَ على أُسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتْلَ مَن قال: (لا إله إلا الله)، وقال [له][٧]: «**أقتلتَهُ بعد ما قال: لا إله إلا الله؟**»، وكذلك قولُهُ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»[٨]، و[كذلك][٩] أحاديثُ أُخرى[١٠] في الكف عمَّن قالها.

ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ: أنَّ مَن قالها؛ لا يَكفُرُ، ولا يُقتَلُ، ولو فعلَ ما فعلَ.

فيُقالُ لهؤلاء المشركين الجهَّال[١١]: معلومٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قاتلَ اليهودَ

---

(١) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني.

(٢) في نسخة دغش؛ والقحطاني: [تكلَّم بكلامِ الكُفرِ].

(٣) في نسخة الشَّحري: [فتابَ].

(٤) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [سألوا النبي ج].

(٥) في نسخة دغش: [ولهم].

(٦) زيادة من نسخة العصيمي.

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، برقم (٣٩٢)؛ ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، برقم (٢٠).

(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(١٠) في نسخة القاسم: [أُخَرُ].

(١١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [الجهلةِ المشركين].

وسباهُم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ؛ وهم يشهدون أَلَّا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويُصَلُّون ويَدَّعُونَ الإسلامَ، وكذلك الذين حرَّقهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار.

وهؤلاء الجهلة مُقرُّون أنَّ مَن أنكرَ البعثَ: كُفِّرَ، وقُتِلَ ولو قال: لا إله إلا الله، وأنَّ مَن جحدَ(١) شيئًا من أركان الإسلام كَفَر، وقُتِل؛ ولو قالها؛ فكيف لا تنفعُهُ إذا جحَدَ شيئًا(٢) من [هذه](٣) الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسل ورأسُهُ؟ ولكنَّ أعداءَ اللهِ ما فهموا معنى الأحاديث [ولن يفهموا](٤):

فأما حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإنه قتلَ رجلًا ادعى الإسلام؛ بسببِ أنه ظنَّ أنه ما ادَّعاهُ(٥) إلا خوفًا على دمه وماله.

والرجلُ إذا أظهرَ الإسلام وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالفُ ذلك، وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] الآية؛ [أي: تثَّبتوا](٦)، فالآيةُ تدل على أنه يجبُ الكفُّ عنه والتثبُّتُ، فإنْ تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالفُ الإسلامَ قُتِل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقْتَلُ إذا قالها: لم يكن للتثبُّتِ معنى.

---

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أنكرَ].

(٢) في نسخة الشَّحري: [فرعًا].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ما ادَّعى الإسلام].

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ وفي نسخة الشَّحري: [فتثبتوا].

وكذلك الحديثُ الآخرُ وأمثالُهُ؛ معناهُ: ما ذكرتُ[١] أنَّ مَن أظهر الإسلامَ والتوحيدَ: وجبَ الكفُّ عنه، إلا أنْ يتبيَّنَ منه ما يُناقضُ ذلكَ.

والدليل على هذا: أنَّ رسولَ الله ﷺ[٢] الذي قال: «**أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله**»، وقال[٣]: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**»؛ هو[٤] الذي قالَ في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ لئن أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قتلَ عادٍ**»[٥]؛ مع كونهم من أكثرِ الناس عبادةً [تكبيرًا][٦] وتهليلًا، [وتسبيحًا][٧]، حتى إنَّ الصحابةَ يحقِرون أنفُسَهم عندهم، [وهم][٨] تعلَّموا العلمَ من الصحابة، فلم تَنْفَعهُم لا إله إلا الله، ولا كثرةُ العبادةِ، ولا ادعاءُ الإسلامِ؛ لـمَّا ظهرَ منهم مخالفةُ الشريعةِ.

وكذلك ما ذكرناه[٩] من قتالِ اليهودِ، وقتالِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بني حنيفةَ، وكذلك أرادَ [النبي][١٠] ﷺ أن يغزو بني المصطلقِ؛ لـمَّا أخبرَهُ رجلٌ [منهم][١١]

---

(١) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ما ذكرناه]؛ وفي نسخة القاسم: [ما ذكرنا].
(٢) في نسخة الشَّحري زيادة: [هو].
(٣) في نسخة الشَّحري: [وهو الذي قال].
(٤) في نسخة الشَّحري: [وهو].
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٣٤٤)؛ ومسلم في «صحيحه» كتاب: الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).
(٦) زيادة من نسخة العصيمي.
(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٨) في نسخة الشَّحري: [والخوارج].
(٩) في نسخة القاسم؛ ودغش؛ والقحطاني: [ما ذكرنا].
(١٠) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(١١) زيادة من نسخة دغش؛ والقحطاني.

أنهم منعوا الزكاةَ؛ حتى أنزلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ الآية [الحجرات: ٦]، وكان الرجلُ كاذبًا عليهم.

فكُلُّ هذا يدلُّ على أنَّ مرادَ النبي ﷺ [في الأحاديث الواردةِ ما ذكرنا][(١)].

ولهم شبهةٌ أخرى: وهي ما ذكرَ النبي ﷺ أنَّ الناس يومَ القيامةِ يستغيثون بآدمَ، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلُّهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثةَ بغير الله ليست شركًا.

فالجواب[(٢)] **أن نقول:** سبحانَ مَن طبعَ على قلوب أعدائِه، فإنَّ الاستغاثةَ بالمخلوق [على ما يقدرُ][(٣)] عليه لا نُنكرها؛ كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيثُ الإنسان[(٤)] بأصحابه في الحرب وغيرِه[(٥)] في أشياءَ يقْدِرُ عليها المخلوقُ، ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادةِ التي يفعلونها عند قبور الأولياءِ [والأنبياء][(٦)] [وغيرِهم][(٧)]، أو في غيبتِهِم في الأشياء التي لا يقدرُ عليها [المخلوق، ولا يقدرُ عليها][(٨)] إلا الله تعالى.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [من الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [في الأحاديث التي احتجوا بها: ما ذكرنا].

(٢) في نسخة الشَّحري: [والجواب].

(٣) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [فيما يقدر].

(٤) زيادة من نسخة القحطاني: [إنسانٌ].

(٥) في نسخة الشَّحري: [أو غيرِهِ].

(٦) زيادة من نسخة دغش.

(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش.

(٨) زيادة من نسخة العصيمي.

إذا ثبت ذلك؛ فالاستغاثةُ[(١)] بالأنبياء يومَ القيامةِ يريدون منهم أن يَدْعُوا اللهَ أنْ يحاسبَ الناسَ؛ حتى يستريحَ أهلُ الجنة من كرب الموقفِ، وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرةِ، [وذلك][(٢)] أن تأتيَ عند رجلٍ[(٣)] صالحٍ حيٍّ يجالسُك، ويَسمَعُ كلامكَ، تقولُ له: ادعُ الله لي[(٤)]، كما كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه في حياتهِ؛ [في الاستسقاء وغيرِهِ][(٥)]، وأما بعد موته: فحاشا وكلا أنَّهم سألوهُ ذلك عند قبرهِ؛ بل أنكرَ السلفُ على مَن قصدَ دعاءَ الله عند قبرهِ، فكيفَ بدُعائهِ نَفْسِهِ[(٦)]؟

ولهم شبهةٌ أخرى، وهي: قصةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلقيَ في النار اعترضَ له[(٧)] جبريلُ في الهواء، فقال: ألك حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أما إليك فلا.

قالوا: فلو كانت الاستغاثةُ بجبرائيلَ[(٨)] شركًا، لم يعرضها [جبريل][(٩)] على إبراهيم؟

فالجواب: أنَّ[(١٠)] هذا من جنسِ الشبهةِ الأولى؛ فإن........................

(١) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [فاستغاثتهم].
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٣) في نسخة الشَّحري: [أن تأتي لرجلٍ].
(٤) في نسخة القحطاني: [ادعُ لي].
(٥) زيادة من نسخة العصيمي.
(٦) في نسخة العصيمي: [دُعاؤهُ نَفسِهِ]؛ وفي نسخة دغش: [بدعائه بنفسه]؛ وفي نسخة القحطاني: [دعاؤه بنفسه].
(٧) في نسخة العصيمي: [فاعترضَ له].
(٨) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [بجبريل].
(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١٠) في نسخة القاسم: [إنَّ].

جبرائيل(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمرٍ يقدرُ عليهِ، فإنه كما قال الله فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، فلو أذنَ اللهُ له أن يأخذ نارَ إبراهيمَ(٢) وما حولها من الأرض والجبالِ، ويلقيها في المشرق أو المغربِ؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ(٣) إبراهيمَ عنهم في مكان بعيدٍ(٤)؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماء؛ لفعلَ.

وهذا كرجلٍ غني له مالٌ كثيرٌ، يرى رجلًا محتاجًا؛ فيَعرِضُ عليه أن يُقرضَهُ، أو [أن](٥) يهبَهُ شيئًا يقضي به حاجتَهُ، فيأبى ذلك [الرجُلُ](٦) المحتاجُ أن يأخُذَ، ويصبرُ [حتى](٧) يأتيَهُ اللهُ برزقٍ [مِنْه](٨)، لا مِنَّةَ فيه لأحدٍ.

فأين هذا من استغاثةِ العبادةِ والشركِ لو كانوا يفقهون؟

ولنختِمِ الكلام(٩) [إن شاء الله تعالى](١٠) بمسألةٍ(١١) عظيمةٍ مهمةٍ [جدًّا](١٢)

---

(١) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [جبريل].
(٢) في نسخة دغش: [نارهم].
(٣) في نسخة الشَّحري: [يُغيِّبَ].
(٤) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [إبراهيم في مكان بعيدٍ عنهم].
(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٧) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إلى أن].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي.
(٩) في نسخة العصيمي، والقحطاني: [ولنختم الكتابَ].
(١٠) زيادة من نسخة دغش، والشَّحري.
(١١) في نسخة العصيمي: [بذكرِ مسألةٍ]؛ وفي نسخة القحطاني: [بذكر آية].
(١٢) زيادة من نسخة الشَّحري.

تُفهَمُ مما[١] تقدَّمَ، ولكن[٢] نُفرِدُ لها الكلام؛ لعِظَمِ شأنها، ولكثرة الغلطِ فيها؛ فنقول: لا خلاف أنَّ التوحيد لا بُدَّ أن يكونَ بالقلب واللسانِ والعملِ، فإن اختلَّ شيءٌ من هذا؛ لم يكن الرجلُ مسلمًا.

فإن عرفَ التوحيدَ ولم يعمل به؛ فهو كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما.

وهذا يغلطُ فيه كثيرٌ من الناس؛ يقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهمُ هذا، ونشهد أنه الحقُّ، ولكنْ[٣] لا نقدرُ أن نفعلَهُ، ولا يجوزُ عند أهلِ بلدنا إلا مَن وافقهم[٤]، أو غيرَ[٥] ذلك من الأعذارِ.

ولم يَدْرِ[٦] المسكينُ أنَّ غالبَ أئمةِ الكفرِ يعرفون الحقَّ، ولم يتركُوهُ إلا لشيءٍ من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وغيرِ ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فإنْ عمِلَ بالتوحيد عملًا ظاهرًا، وهو لا يفهمُهُ ولا يعتقدُهُ بقلبه[٧]، فهو منافقٌ [في الدَّركِ الأسفلِ من النار][٨]، وهو شرٌّ من الكافر الخالصِ؛ [كما

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [بما].
(٢) في نسخة القاسم؛ ودغش: [لكن].
(٣) في نسخة الشَّحري: [ولكنَّا].
(٤) في نسخة الشَّحري: [ولا يجوز عند أهل بلدنا، إلا أن نوافقهم].
(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وغيرَ].
(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ولم يعرِفِ].
(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهو لا يفهمُ، ولا يعتقدُ بقلبه].
(٨) زيادة من نسخة دغش.

قال تعالى][1]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وهذه [المسألةُ][2] مسألةٌ [كبيرةٌ][3] طويلةٌ، تَبِيْنُ[4] لكَ إذا تأملْتَها في[5] ألسنةِ الناسِ ترى مَن يعرفُ الحقَّ ويتركُ العملَ [به][6]؛ لخوفِ نقصِ دنيا[7]، أو جاه[8]، أو مُدَاراةً [لأحدٍ][9].

وترى مَن يعملُ به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَهُ عمَّا يعتقدُهُ[10] بقلبه، إذا[11] هو لا يعرفُهُ.

ولكن عليكَ بفهم آيتين من كتاب الله تعالى:

أُولاهما: ما تقدَّم، من[12] قولِهِ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فإذا تحقَّقتَ أنَّ بعضَ الصحابةِ الذين غزوا الرومَ مع رسول الله ﷺ[13]،

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٤) في نسخة الشَّحري: [تتَبيَّنُ].
(٥) في نسخة الشَّحري: [على].
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [دُنياه].
(٨) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أو جاهه أو مُلكِهِ].
(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١٠) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [يعتقِدُ].
(١١) في نسخة دغش: [فإذا].
(١٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهي].
(١٣) في نسخة الشَّحري: [مع الرسول].

كفروا بسببِ كلمةٍ قالوها [في غزوة تبوكٍ][١] على وجه المَزْحِ [واللَّعِبِ][٢]؛ تَبَيَّن لك أنَّ الذي يتكلَّمُ بالكفر، أو يعملُ به[٣]؛ خوفًا من نقصِ مالٍ، أو جاهٍ، أو مُداراةً لأحدٍ؛ أعظمُ ممن يتكلَّمُ[٤] بكلمةٍ يمزَحُ بها.

والآيةُ الثانيةُ: قولُهُ تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ [النحل: ١٠٦].

فلم يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هؤلاءِ؛ إلا مَن أُكرِهَ، مع كونِ قلبِهِ مطمئنًّا بالإيمان، وأما غيرُ هذا فقد كفَرَ بعد إيمانِهِ، سواءٌ فعَلَهُ خوفًا، [أو طمعًا][٥]، أو مداراةً [لأحدٍ][٦]، أو مشحَّةً بوطنه أو أهلِهِ أو عشيرتهِ أو مالِهِ، أو فعَلَهُ على وجه المزحِ، أو لغيرِ ذلكَ من الأغراضِ؛ إلا المُكرَهُ [فقد استثناهُ الله][٧].

والآيةُ[٨] تدُلُّ على هذا من جهتين[٩]:

الأولى: قولُهُ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦]؛ فلم يستثنِ اللهُ إلا المُكرَهَ، ومعلومٌ أن الإنسانَ لا يُكْرَهُ إلا على العملِ أو الكلامِ[١٠]، وأما عقيدةُ القلبِ

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.

(٣) في نسخة القحطاني: [ويعملُ به].

(٤) في نسخة القاسم: [تكَلَّمَ].

(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) في نسخة القحطاني؛ والشَّحري: [فالآية].

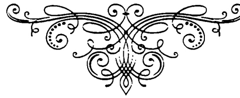
(٩) في نسخة الشَّحري: [من وجهين].

(١٠) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ والقحطاني: [لا يكره إلا على الكلام أو الفعل]؛ وفي نسخة دغش: [لا يكره إلا على الكلام والعمل].

فلا يُكرَهُ أحدٌ عليها(١).

والثانيةُ: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]؛ فصرَّحَ أنَّ هذا الكفرَ والعذابَ(٢) لم يكن بسببِ الاعتقادِ، أو الجهلِ(٣)، أو البغضِ(٤) للدين، أو محبَّةِ الكفرِ؛ وإنما سببُهُ أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظِ الدُّنيا؛ فآثَرَهُ على الدِّين.

والله أعلمُ.



(١) في نسخة الشَّحري؛ والقحطاني: [عليها أحدٌ].

(٢) في نسخة القحطاني: [فصرَّح أن العذابَ].

(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والجهل].

(٤) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والبُغضِ].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [**بسم الله الرحمن الرحيم [وبه نستعين]**][(١)].

الشَّرْح

ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة مقتصرًا عليها؛ اتباعًا للوارد في السنة النبوية في مكاتباته ﷺ ورسائله إلى الملوك وغيرهم، والتصانيف تجري مجرى الرسائل[(٢)]؛ واقتداءً منه بفاتحة القرآن، فإنَّ القرآن ابتدئ بالبسملة؛ لهذا اقتدى العلماء في كتبهم بأشرف كتاب وأعظمه وهو القرآن، وقد رُوي في البداءة بالبسملة أحاديث لكنها ضعيفة جدًّا، والعمدة في هذا أنه اقتداء واحتذاء بأعظم كتاب وهو كتاب الله جَلَّ وَعَلَا[(٣)]؛ فالمصنف ابتدأ كتابه بالبسملة، اقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، فإنه كان يبدؤها بالبسملة[(٤)].

وتفسير البسملة وما فيها من العلم معروفٌ يؤخذ من الشروح الكثيرة لكتب أهل العلم، فقول: (بسم الله)، يعني: أكتب مستعينًا بسم الله، و(الرحمن

(١) في نسخة دغش؛ والشَّحري زيادة: [وبه نستعين].
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨)، الكتاب السادس، برنامج مهمات العلم.
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٦)، تحقيق وعناية: عادل رفاعي، الناشر: مكتبة دار الحجاز، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ.
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٣)، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط. الرابعة: ١٤٢٨هـ؛ وشرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٣)، إعداد: فهد السليمان، الناشر: دار الثريا، ط. الأولى: ١٤١٦هـ.

الرحيم): هما اسمان من أسماء الله جَلَّوَعَلَا الحسنى المتضمنان صفة الرحمة لله جَلَّوَعَلَا التي وسعت كل شيء، فنعتُ الله بهذين الاسمين في هذا المقام تعريضٌ للنفس بالدخول في رحمة الله جَلَّوَعَلَا، ومن المتقرر أنَّ العلم مبناه على الرحمة والتراحم، فإنَّ العلم الشرعي رحمةُ الله جَلَّوَعَلَا الخاصة يؤتيها مَن يشاء من عباده، فالابتداء بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) مناسبٌ تمامَ المناسبة في كتب العلم[(١)]؛ والحكمة في البدء بالبسملة: التبرك بها؛ لأنها كلمة مباركة، فإذا ذُكرت في أول الكتاب تكون بركة عليه، وأما الكتب التي لا تبدأ بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، فإنها تكون ناقصة لا خير فيها[(٢)].

وقد ورد في بعض نسخ المتن زيادة (وبه نستعين)؛ أي: إنما نطلبُ العون من الله وحده، وقد أوردها المصنف بتقديم المعمول وهو الجار والمجرور كما ورد في القرآن في سورة الفاتحة، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر؛ أي: تُحصر الاستعانة بالله وحده دون غيره.

ولم يأتِ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمقدمة لكتابه، وهذا منهجٌ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سائر كتبه، وذلك لشدة عنايته بمقصوده، ولوضوح مراده، فاكتفى بالبسملة؛ إذ هي تكفي عن غيرها[(٣)].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١٧)، ترتيب: عادل الفريدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

(٣) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (١٩)، الناشر: دار ابن الجوزي، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[اعلم رحمك الله].**

الشَّرْحُ

بدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بجملة يُكثر من ذكرها في كتبه، وهي التنبيه إلى الموضع المهم، وتنبيه القارئ قبله بكلمة: **(اعلم)**؛ حتى يتهيأ لما سيذكر له، و(اعلم) دائمًا تُقال في الشيء الذي له قيمة وأهمية، كما قال الله تعالى في أعظم أمر: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فهذا تنبيه(١)؛ فكلمة (اعلم) فعلُ أمر يفيد التنبيه(٢)، فهي كلمة يؤتى بها للأمور المهمة، ولا أهمَّ من بيان التوحيد وكشفِ الشبهات عنه(٣)، فالمصنف يريد أن يَشُدَّ انتباه القارئ ويرغبه في إحضار قلبه وفهمه، ويأمره بالعلم(٤)؛ يعني: تعلَّم ما يأتي، واهتم به، وألقِ بالك لما يُلقى عليك(٥)، فالإتيان بهذه اللفظة لاستدعاء ذهن السامع ليفهم ما سيلقى عليه من الأمور المهمة(٦)، فهي كلمة يؤتى بها عند ذكر الشيء الذي له أهمية، وينبغي أن يُصغي إليه المتعلم، ويتفهم ما يُلقى إليه، وما قرَّره المصنف في هذا الكتاب حقيقٌ بأن يُصغى إليه غاية الإصغاء، فهذه الكلمة

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري، وهو شرح صوتي مفرَّغ، جامع شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) التعليقات المباركات على كشف الشبهات، زيد بن محمد بن هادي المدخلي (٧)، الناشر: دار الميراث النبوي.

(٣) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (١٩).

(٤) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (١٩).

(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١٨).

(٦) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (١٤)، الناشر: دار الحلية، ط. الأولى: ١٤٢٣هـ.

يأتي بها المتكلم لقصد التفهم لما بعدها؛ أي: اجمع قواك وحواسك، وكن متفهمًا لما يلقى إليك بعدها، ولا شيء أعظم من أن يُعتنى به، ويُلقى له السمع والقلب أعظم من كلمة التوحيد[١].

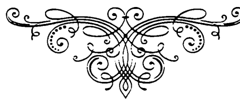
والعلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا[٢].

قال المصنف: **(اعلم رحمك الله)**؛ أي: غفرَ لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك فيما يُستقبل منها[٣]، ولم يأتِ في أي مصنَّفٍ للمصنِّف: (اعلم غفر الله لك)؛ لأن الرحمة تشمل الماضي والمستقبل، أما المغفرة فهي للماضي فقط[٤]، فقولك: (اعلم رحمك الله) يشمل ما مضى، وما يقع عليك في المستقبل من الذنوب، يدعو لك بالرحمة العامة في الماضي والمستقبل؛ أما (غفر الله لك) فهي خاصة بالماضي، والذي لم يجئ من الذنوب ولم يصدر منك شيء، فهذا لم يشمله الدعاء؛ ولهذا عدل عن قول: (اعلم غفر الله لك) إلى قول: (اعلم رحمك الله)؛ ليشمل المستقبل بالدعاء لك بالرحمة، وإذا حصلت الرحمة حصلت المغفرة وذهبت الذنوب برحمةٍ منه سبحانه[٥].

وهذا دعاءٌ من المصنِّف للقارئ والسامع؛ يدل على حسن قصده، وحسن

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٤).
(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٤).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٤)؛ وشرح كشف الشبهات، محمد العثيمين (١٥).
(٤) الكلمات الواضحات على كشف الشبهات، د. عبد الله بن صالح القصير (٢٠).
(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (١١)، علق عليه واعتنى به: محمد بن عبد الله الهبدان، الناشر: كنوز أشبيليا، ط. الأولى: ١٤٢٣هـ.

دعوته، نحسبه كذلك والله حسيبه، ولا بد للداعي إلى الله من الجمع بين حسن اللفظ وحسن القصد[١]؛ وهذا من باب التلطف لطالب العلم وتحسين الكلام له من أجل أن يُقبل على طلب العلم[٢]، وكثيرًا ما يجمع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الدعاء للطالب مع ما قَرَّره ووضَّحه، وهذا من حسن مسلكه ومحبته ورحمته بالمسلمين[٣]؛ فهذه البداية تكثر في كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي كتب كثير من أهل العلم، فقد قال العلماء: فيها من الفائدة أنَّ هذا العلم؛ أي: علم الشريعة مبنيٌّ على التراحم، فأعظم رحمة تسديها للناس أن تنشر بينهم العلم[٤]؛ ففيه تنبيه على أن هذا العلم رحمة من الله تعالى لعباده إذا قبلوه وعملوا به، فلا يُعطاه ولا ينتفع به إلا رحيم يرحم به الناس، وحظّهُ من العلم بحسب حظه من الرحمة، فكلما ازداد رحمة ازداد علمًا، فإنَّ قبول العلم والعمل به لله تعالى، والإحسان بتعليمه إلى الخلق؛ من الرحمة للخلق، ومن أسباب رحمة الله لمعلم الناس العلم وتثبيته على الحق، فهو رحمة من العالم للمتعلم لعظم إحسانه به إليه، والراحمون يرحمهم الله[٥].



(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبدالله بن محمد الجهني (٧)، آخر نسخة ١٤٤١هـ.
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١٨).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٤).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٧).
(٥) التعليقات على كشف الشبهات، عبدالله بن صالح القصير (١٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[أنَّ التوحيد هو: إفراد الله سبحانه [وتعالى][1] بالعبادة].**

الشَّرح

قدَّم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد البسملة مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعَوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دينهم عند ورود الشبهات، ويعلم مَن هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، ثم ذكر شبهاتهم التي أوردوها عليه، وأجاب عنها، وهي موضوع الكتاب[2]، **وهذه هي المقدمة، واشتملت على ستة أمور:**

الأول: تعريف التوحيد ومعناه باختصار.

والثاني: بيان أهمية التوحيد.

والثالث: بيان أول شرك وقع في بني آدم، وما سببه.

والرابع: بيان دين المشركين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وما قبله، وبيان موقف النبي ﷺ من ذلك.

والخامس: بيان أنَّ إقرار المشركين بأن الله هو الخالق الرازق لم يدخلهم في الإسلام.

والسادس: ذكرُ الأدلة على ما سبق من وصف دين المشركين[3].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٣).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

قال المصنف: (**أنَّ التوحيد هو: إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة**)؛ يعني: اعلم هذه المسألة العظيمة، واجعلها في ذاكرتك واهتمامك دائمًا وأبدًا، وهي: أن التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وليس هو: إفراد الله بالربوبية؛ فإنَّ هذا أقرَّ به المشركون ولم يكونوا موحدين؛ لأنهم لم يفردوا الله بالعبادة، وقصْدُ المصنف بهذا التعريف هو الرد على المتكلمين الذين ركزوا على توحيد الربوبية وتركوا توحيد الألوهية، فهذه أول شبهة، وهي: أنهم جعلوا توحيد الربوبية هو التوحيد المطلوب، وأنَّ مَن أفردَ الله به فهو الموحد[1].

وقوله: (**أنَّ التوحيد**)؛ يعني: الذي بُعثت به الرسل، وأول واجب على المكلف، علمًا وعملًا، (**هو: إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة**)، فـ(أل) فيه للعهد، والمصنِّف كثيرًا ما يعتمد هذه العبارة، وهي أحسن التعاريف وأخصرها[2].

و(التوحيد) يُعرَّف بعدة تعريفات، أمَّا من جهة اللغة: فهو مصدر وحَّد يوحد توحيدًا؛ أي: جعله شيئًا واحدًا، فوحَّدَ المتوجَّه إليه في العبادة توحيدًا؛ يعني: جعل المعبود بحقٍّ واحدًا[3]، فالتوحيد لغة: الإفراد، وشرعًا: إفراد الله بما يختص به[4]؛ أي: في وصفه، وفعله، وحقه على خلقه[5]، وهذا تعريفُ

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١٨).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٤).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٠)؛ وشرح كشف الشبهات، محمد العثيمين (١٥).

(٤) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٥)؛ وتعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٢).

(٥) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (١٥).

التوحيد بمعناه العام[١]، فالتوحيد في الاصطلاح -بالنظر إلى معنى التوحيد عمومًا- هو: إفراد الله تعالى بما يختص به، والذي يختص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثلاثة أمور معروفة، وهي: الربوبية، والأسماء والصفات، والعبادة، ولأجل ذلك أيضًا يكون معنى الشرك: جعل شريكٍ مع الله تعالى فيما يختص به من هذه الأمور، سواء أكان الشرك في الربوبية، أو كان الشرك في الألوهية، أو كان الشرك في الأسماء والصفات[٢].

فالتوحيد له معنيان في الشرع:

أحدهما: عامٌّ، وهو: إفراد الله بحقه، ويُسمى: (التوحيد الاعتقادي)، وهو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وأنه خالق كل شيء وأنه مالك كل شيء؛ وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه؛ وأنه الموصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، فهذا توحيد الاعتقاد.

والآخر: خاصٌّ، وهو: إفراد الله بالعبادة، ويسمى: (التوحيد العملي)، فهو ثمرة الاعتقاد، وهو تخصيص الرب وإفراده بالعبادة[٣]، بحيث لا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا له جَلَّ وَعَلَا[٤]، وهذا المعنى الثاني هو المعهود في خطاب الشرع؛ ولذا اقتصر عليه المصنف، فقال: (**هو: إفرادُ الله بالعبادة**)[٥]،

---

(١) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٥).
(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٠). وينظر: شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨).
(٤) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (٢٠).
(٥) شرح كشف الشبهات، صالح العصيمي (٨)؛ والتنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله ابن محمد الجهني (٧).

فعرَّف التوحيد ببعض أفراده أو بأجلِّ أفراده، وهو توحيد الألوهية؛ لأنه هو الذي حصلت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم[(١)]، وهذا التوحيد هو مدلول كلمة (لا إله إلا الله) مطابقة، وإن كانت قد دلت على توحيد الربوبية والأسماء والصفات بطريق التضمن[(٢)]؛ فإذا وحَّد العبدُ اللهَ في عبادته، ففي ضمن ذلك توحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته؛ لأنَّ مَن عَبَدَ الله تضمَّن ذلك اعترافه بأنه هو الربُّ النافع الضار الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، وهذا هو معنى قول العلماء: (توحيد الألوهية متضمّنٌ لتوحيد الربوبية)؛ أي: أنه داخل في ضمنه، ويكون جزءًا منه[(٣)]؛ وإنما عرَّف المصنف التوحيد بأهم أنواعه وآكدها؛ لأن توحيد العبادة هو الغاية والقصد، وأما توحيد الربوبية والأسماء فهو وسيلة وسبب في تقرير العبادة، فلا يصح إسلام شخص حتى يحقق توحيد العبادة، إضافة إلى أن توحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وأما توحيد الربوبية والأسماء والصفات، فيستلزم توحيد العبادة[(٤)].

ويمكن أن يُقال: إنَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ اقتصر على تعريف التوحيد بذكر تعريف توحيد الإلهية؛ لأنه سيجيب على الشُّبه الواردة على توحيد الإلهية، فهو لم يتكلم على شبه المبتدعة والضالين في باب الأسماء والصفات، وإنما

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٧).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٥).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٢٣٤).
(٤) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (١٠)، الناشر: دار الوطن، ط. ١٤١٨هـ.

سيتكلم على شبه الذين ابتدعوا في باب توحيد الإلهية(١)، فتوحيد الألوهية الذي هو تخصيص الله بالعبادة، هو المقصود بالإيضاح والبيان وكشف الشبه التي أُثيرت حوله(٢)، فإذا قيل: لِمَ لم يُعرِّج المصنِّف على تعريف التوحيد من حيث العموم، وإنما عَرَّف توحيد العبادة فقط؟ **فالجواب من وجهين:**

أولًا: أنَّ هذا تعريفُ الشيء ببعض أفراده، وهذا مسلك علمي صحيح.

والثاني: أنه بالنظر إلى مصنفات أهل العلم -رحمهم الله تعالى- السابقة في التوحيد، نجد أنهم إنما ذكروا من التوحيد ما يتعلق بالصفات؛ لأن الفتنة في ذلك الوقت كانت من الجهمية، فكانوا يتحدثون عن التوحيد الذي صار فيه الخلل في ذلك الوقت؛ فرُكِّز على التوحيد من حيث بعض معناه، وهو الأسماء والصفات، والذي ركَّز عليه المصنِّف وغيره من المتأخِّرين هو قولهم: (التوحيدُ هو: إفرادُ اللهِ بالعبادةِ)، مثل ما فعل أولئك الأئمَّة بالضبط، فإنهم ركزوا على أهم شيء، فالمصنِّف يتحدَّث عن التوحيد الذي صار فيه الخلل في وقته، وإنما لم يتكلم المتقدِّمون في الشركيات، ولم يتحدَّثوا عن لزوم توحيد العبادة؛ لأن الشرك لم يكن موجودًا، فلم يمت النبي ﷺ إلا وقد قطع دابر الشرك، وهدم معاقله؛ فلهذا لا يوجد فيهم أحدٌ في ذلك الزمن الفاضل يُشرك في العبادة، وإنما جاءت الفتنة من الجهمية أتباع الجهم بن صفوان الذي أنكر الأسماء والصفات، فصار أهل العلم يصنفون مصنَّفات في التوحيد، ليس

(١) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٤)، منشور في موقع الشارح على الشبكة العنكبوتية.

(٢) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (٢٣).

فيها إلا الكلام عن الأسماء والصفات، فهل التوحيد عندهم فقط هو الأسماء والصفات؟ لا؛ بل لأنَّ المقام يقتضي أن يُتحدث عن الأسماء والصفات، فتعريف المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ للتوحيد غير مُنكر؛ لأنه لا يتحدث عن التوحيد هنا من حيث معناه في العموم، وإنما يتحدث عن التوحيد الذي أراده[1].

وقول المصنف: (إفراد الله سبحانه بالعبادة)؛ أي: تخصيصه بالعبادة، أو صرف العبادة له وحده لا شريك له[2]، فالمصنف لم يقل: التوحيد هو عبادة الله؛ لأن التوحيد ليس هو عبادة الله، وإنما هو إفراد الله بالعبادة، وكلمة (إفراد) هنا كلمة مقصودة تتضمَّن أمرين هما: النفي والإثبات، ولا توحيد إلَّا بهما، فإفراد الله بالعبادة تعني: إثبات العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، ونفيها عمَّن سواه، فيعتقد أن العبادة حقٌّ لله وأن صرفها لغيره باطل، هذا هو الإفراد[3]، فـ**(إفراد الله)** يعني: أن يكون التوجُّه بالعبادة لله وحده هو فرضٌ في ذلك، فلا يُجعل من دون الله إله، ولا يُجعل مع الله جَلَّوَعَلَا إله، و**(سبحانه)** تنزيه كما هو معلوم[4]، و**(العبادة)**: مشتقة من التعبُّد، وهو: التذلل والخضوع، وسُمِّيت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يفعلونها خاضعين ذليلين[5]، فكل ما أمرَ اللهُ أو رسولهُ به ففعله عباده، وكل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله فاجتنابه عبادة، فيفعل المسلم الأوامر ويترك النواهي إخلاصًا لله وابتغاء مرضاته،

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

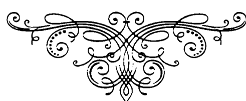
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٠).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٠).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٥).

هذه هي العبادة(١)، فـ(إفراد الله سبحانه بالعبادة) معناه: أن يفرد الله سبحانه بكل ما أمر به الشرع من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فيدخل في ذلك أعمال القلوب، مثل: الإخلاص والرغب والرهب والخوف والتوكل والإنابة والمحبة والرجاء واستعاذة القلب إلى آخره، ويدخل فيه أيضًا: الأفعال الظاهرة مثل: الدعاء وأنواعه من الاستعانة والاستغاثة والاستسقاء إلى غير ذلك، ويدخل فيها الذبح والنذر والصلاة والزكاة والدعاء والحج والعمرة وصلة الرحم وغير ذلك، فالعبادة اسم يعم هذا جميعًا، فكما أنه لا يصلي المصلي إلا لله، كذلك لا يستغيث إلا بالله فيما لا يقدر عليه المخلوق(٢)؛ فيَخُصَّ اللهَ بالدعاء، فلا يدعو الله ويدعو معه غيره، فإذا دعا العبد ربه ودعا غيره صار مشركًا، ويخُصَّ الله بالصلاة فلا يصلي لله ويصلي لغيره، ويخص الله بالزكاة، والحج، ويخص الله بالذبح، ويخص الله بالنذر، وجميع أنواع العبادة التي جاء بها الشرع(٣).



(١) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٢٣٣).
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٢).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٢٣٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وهو [دينُ الإسلام، وهو أيضًا]**[١] **دينُ الرسلِ الذي أرسلَهم اللهُ به إلى عباده].**

الشَّرْحُ

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يُبين في فاتحة هذا الكتاب أنَّ التوحيد أصلٌ عظيم، فجميع العبادات مبنية عليه، وهو أساسها؛ ولذا فإنَّ الرسل قد أجمعت على الدعوة إليه، وهو أول ما تخاطب به أممها[٢]، فالمصنف أشار هنا إلى أهمية التوحيد ببيان أنه دعوة الأنبياء والرسل جميعًا، وهذا يدل على أهمية التوحيد[٣]، **فهذه الجملة مع السابقة تضمنت مسألتين:**

المسألة الأولى: تعريف التوحيد.

والمسألة الثانية: بيان أنه هو الدين الذي أرسلَ اللهُ به الرسل[٤].

قال المصنف: (وهو)؛ يعني: التوحيد[٥] **(دين الإسلام)**، فالضمير في قوله: (وهو) المراد به توحيد العبادة[٦]؛ يعني: اعلم أيها القارئ، أيها المسلم: أنَّ التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهو دين الله، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا

(١) زيادة من نسخة دغش.

(٢) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام (٣)، اعتنى به: خالد بن محمد الحربي.

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٤) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١١)، النشر الرابع: ١٤٤٠هـ.

(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٢).

(٦) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٥).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥][(١)].

ثم قال المصنف: (وهو أيضًا: دينُ الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده)؛ فعرَّفه بأنه دين جميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم، وإن تفرقت شرائعهم، فدين جميع الرسل واحد، والذي بُعثوا به هو عبادة الله، والذي بُعثوا به هو الذي من أجله خُلق الخلق، وهو الذي من أجله أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب[(٢)]؛ فالرسل كلهم ما طلبوا من أقوامهم أن يُقروا بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت؛ لأنهم معترفون بهذا، وإنما طالبوا الأمم بإفراد الله بالعبادة[(٣)]؛ وهذه الحقيقة عظيمة جدًّا ينبغي العناية بها، وهي: أنَّ التوحيد

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨)، الناشر: مدار الوطن، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٦).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٢٠).

فإن قيل: إن فرعون قد أنكر ربوبية رب العالمين، فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، فالجواب في القرآن: فلو تدبروا آيات القرآن لرأوا أن جَحْد فرعون للربوبية جَحْد كذاب يقر في باطنه أن الله تعالى هو ربه؛ ولهذا يتحدث موسى صلوات الله وسلامه عليه مع فرعون في مقام المناظرة، ومقام المناظرة يتميز بأن المناظر لو وجد فيمَن يناظره شيئًا من الخطأ لأمسكه، فقال لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، فموسى يقول: لقد علمت. أي: أنك تقر في الباطن وإن ادعيت كذبًا أنك تجحد؛ ولهذا قال الله تعالى عن الآيات لما أتت قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، فلا يُقال: إنهم يعلمون، بل عندهم يقين؛ وهو درجة عالية جدًّا من العلم، فهم يعلمون أنَّ الله ربهم، وأن هذه الآيات لا يمكن أن تُكابَر، ولكنهم يكابرونها في الظاهر؛ ولهذا لما سلط الله عليهم ما سلط، رجعوا إلى موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقالوا: =

الذي هو إفراد الله جَلَّوَعَلَا بالعبادة هو دين الرسل من أولهم إلى آخرهم، فكلهم متفقون على الدعوة إليه[(١)]؛ فأخبر المصنف بأن التوحيد بهذا المعنى هو دين الرسل، أي: أنَّ كل رسول دعا قومه إلى تحقيق التوحيد وترك الشرك بالله[(٢)].

ويلاحظ في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه قيَّده، فهو يقول: إن التوحيد الذي أتحدث عنه هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل؛ فالمصنف ذكرَ صفةً كاشفةً في التوحيد الذي يتحدث عنه، وأنه يتحدث عن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ولا يتحدث عن التوحيد من حيث العموم، فقوله: (وهو دينُ الرسلِ) هذا صفة كاشفة للتوحيد الذي تحدَّث عنه، وهو التوحيد الذي بُعثت الرسل للدعوة إليه، وهو توحيد العبادة، فكلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ جاء على منهج الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في العناية بالتوحيد الذي دعوا إليه، والتركيز عليه[(٣)]،

=﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، فلما سلَّط اللهُ عليهم ما سلط، قالوا: يا موسى أنت لك رب، فادع لنا هذا الرب الذي سلط علينا ما سلط أن يكشفه عنا، فكل هذا يدل على أن جَحْد هذا الرب جَحْد كذاب، ليس جَحْد مَن يجحد الربوبية مقتنعًا بذلك، ولكنه جحد مَن يجحده في الظاهر فقط، مع إقراره به في الباطن؛ ولهذا كانت الرسل يركزون على الأمر الذي جحدته أقوامهم جحدًا حقيقيًّا؛ وهو توحيد العبادة، أما توحيد الربوبية فقد كانوا مقرِّين به كما سيأتي في كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ولهذا لما أراد قوم صالح أن يتعرضوا له بالسوء، قالوا: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [النمل: ٤٩]، أي: حلفوا بالله، فهم مقرون بالله، فلو كانوا يجحدون أن الله ربهم لَمَا حلفوا به سبحانه وتعالى.

ينظر: شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٣)، اعتنى به: منير الجزائري، الناشر: دار الفرقان، ط. الأولى: ١٤٤١هـ.

(٢) التعليقات المباركات على كشف الشبهات، زيد بن محمد المدخلي (٢٦).

(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

فالمقصود: أن المصنِّف بيَّن أن التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة هو دين الرسل جميعًا، فإنَّ الرسل لم يأتوا إلى قومهم ليدعوهم إلى توحيد الربوبية؛ لأن النفوس مجبولةٌ عليه، فهو مغروس في الفطر، والمنازعُ فيه قليلٌ، فأتت الرسل تدعو أقوامها إلى توحيد الله في العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهاتان الآيتان وما في معناهما تدلَّان على أن مبتدأ دعوة الرسل أقوامهم هو دعوة هؤلاء إلى توحيد العبادة، بأن يفردوا الله جَلَّ وَعَلَا في القُرَب التي يتقربون بها، فلا يجعلون منها شيئًا لغير الله[1]، فقوله: (وهو: دين الرسل)؛ يعني: جميعًا، فالرسل جميعًا أُرسلوا بالتوحيد، وهو: إفراد الله بالعبادة، فلم يكن أصل إرسال الرسل بيان ما يكون من الأعمال مما هو دون التوحيد؛ كالحلال والحرام، إنما أرسلت لتوحيد الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنه هو الحكمة المطلوبة من خلق الجن والإنس، كما قال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ يعني: إلا ليوحدونِ، فالحكمة المطلوبة من خلقهم أنهم يوحدون الله جَلَّ وَعَلَا؛ لهذا أرسلت الرسل بذلك، فدين الرسل الذي أجمعوا واتفقوا عليه، وكل واحد بعث به: هو توحيد الله، وهو: إفراده سبحانه بالعبادة؛ لهذا نعلم أنَّ كل مَن عبَد غير الله جَلَّ وَعَلَا فهو مخالف لكل رسول، ومَن عبد غير الله بأي نوع من أنواع العبادة فهو لم يوحد الله، بل هو مشرك ومكذب بجميع المرسلين، وخارج عن دين جميع الرسل[2].

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨).
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٢-٤٥).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [**فأولـهُم: نوحٌ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **أرسلَهُ اللهُ إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودٍّ، وسُواعٍ، ويغوثَ، ويعوقَ، ونسرٍ**].

الشَّرْحُ

لما تكلَّم المصنِّف في الجملة السابقة عن دعوة الرسل عمومًا أتبعها بجملةٍ تكلَّم فيها عن دعوة أول الرسل، **وهذه الجملة تضمنت ثلاث مسائل:**

الأولى: ذكرُ اسم أول الرسل؛ **والثانية:** بيان أنَّ الله أرسله إلى قومه لما غلوا في الصالحين؛ **والثالثة:** ذكرُ أسماء هؤلاء الصالحين(١).

فهذه الجملة الثالثة فيها بيان أول شركٍ وقع فيه بنو آدم، وما سببه؟ فأولُ شركٍ وقع كان في قوم نوح، وسببه: الغلو في الصالحين(٢).

فدين الرسل من نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى محمد ﷺ كلهم دينهم التوحيد، والتوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة، والأدلة على هذا كثيرة جدًّا في القرآن؛ ولهذا بدأ الله بنوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ودعوته استمرت ألف سنة إلا خمسين عامًا في تأصيل التوحيد؛ وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥]؛ وقال أيضًا: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣]؛ وقال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٣).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وفي حق نبينا ﷺ يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهذه دعوة الرسل[١]، وقد كان نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقبله آدم وذريته، وهكذا الرسل بعده على هذا، فلما حدث الشرك في قوم نوح أرسل الله إليهم نوحًا[٢].

قال المصنف: (**فأولهم نوح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، ونوحٌ هو أول الرسل، وهو من أولي العزم من الرسل، أما آدم فإنه نبيٌّ مُكلَّم وليس برسول[٣]، فنوح هو أول رسول بُعث إلى أهل الأرض، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]، وكان بنو آدم قبله عشرة قرون، كلهم على دين الإسلام[٤]؛ واختار الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ آدم هو أول الرسل مطلقًا، ونوح أول الرسل بعد وقوع الشرك، فالأولية هنا نسبية؛ يعني أنَّ نوحًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو أول الرسل، لكن بعد أن حدث الشرك، أما قبل حدوث الشرك فهناك رسل قبله، ومنهم آدم عليهم الصلاة والسلام أجمعين[٥].

قال المصنف: (**أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين**)، و(الغلو): مجاوزة الحد في التعبد والعمل والثناء قدحًا أو مدحًا[٦]، فالغلو في الشرع المراد به: مجاوزة الحد والإفراط في التعظيم؛ إما بالقول أو بالاعتقاد،

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (١٢).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٥).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٧).
(٥) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٦) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٧).

بحيث يتجاوز الإنسان المسلك الشرعي الرشيد في مثل هذه الأمور[١]، فهو: مجاوزة الحد المأذون فيه على وجه الإفراط، فأحكام الشرع المطلوبة من العبد تنتهي إلى حدود بيَّنها الشرع، ومدار الغلو على أمرين: أحدهما: وقوع المجاوزة لما حُدَّ شرعًا بتعديه، والآخر: تعلُّق تلك المجاوزة بالإفراط، وهو الزيادة، والصالحون من الخلق يُنتفعُ بهم في صحبتهم واستنصاحهم، والتوسل بدعائهم، وغير ذلك مما جاء مأذونًا به، مُقدَّرًا شرعًا، فإذا تُعدي ما حدَّه الشرع لهم وفيهم، وقع الخلق في المحذور، وقد أفضى الغلو فيهم إلى اعتقاد النفع والضر منهم[٢]؛ فأرسل الله نوحًا إلى قومه لما غلوا في الصالحين وعبدوهم من دون الله، وهذا بداية حدوث الشرك في العالم، وسببه هو الغلو في الصالحين[٣]؛ فأول ما حدث الشرك في قوم نوح بسبب الغلو، وهو: مجاوزة الحد في محبة الصالحين وتعظيمهم فوق ما شرَعه الله، فعظَّموهم تعظيمًا غير سائغ لهم، بأن عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم[٤]؛ وهؤلاء الصالحون أولهم: (ودٌّ)، وهو من عباد الله الصالحين، وهو أول مَن أُشرك به على الأرض، لما مات صوَّروا صورته؛ كما سيأتي في حديث ابن عباس، فقوم نوح تتابعوا من ذرية آدم، وذريةُ آدم كانوا على التوحيد حتى أتى هؤلاء الصالحون: ودٌّ وسواع ويغوث ونسر، فقد كانوا قومًا صالحين، وقد شاع في الناس الرغبة في الدنيا والبعد عن تذكر الآخرة،

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١١).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٧).

فكانوا إذا أرادوا أن يتشجعوا في العبادة ذهبوا إلى قبور هؤلاء الصالحين، وبكوا عندها، فتشجعوا في العبادة ورجعوا، فجاء الشيطان فتكلَّم عند قبرهم، وقال: ألا أصنع لكم صورًا تتذكرون بها ودًّا وسواعًا؟ فصنع لهم صورة على هيئتهم، فجعلوها على قبورهم وثنًا وصنمًا، وقد كانوا لا يعبدونهم في أول الأمر، لكنهم ينظرون إلى صورهم فيتذكرونهم، وقومُ نوح كانت أعمارهم طويلة، فأتى إليهم الشيطان بعد ذلك، وقال: ألا تجعلون من كل واحد صورة في بيت كل واحد منكم حتى يُتَذكَّر، ثم نقلهم بعد ذلك إلى أن يصحبوها في السفر إلى آخره، وشاع في أولئك هذا الأمر لأجل التذكر والحث على العبادة، ولم يكن أول ذلك الجيل مشركًا، لكن فيما بعد ذهب العلم، وقال الجاهلون: ما اتخذ آباؤنا هذه الصور إلا لأنها مُعظَّمة، فتوجَّهوا إليها بطلب التوسط، وقالوا: هؤلاء لهم مكانة عند الله؛ لأنهم صالحون، فنتوسَّط بهم فيما نريد، فصار شرك قوم نوح من جهة التوسط بأرواح صالحي بني آدم؛ ولهذا ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التفسير في تفسير سورة نوح: حديث ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح»[1]، وهذا القَدْر -وهو أنهم أسماء رجال صالحين- هو الذي

(١) جاء في صحيح البخاري: «قال عطاء: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ، أما وَدٌّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف، عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت».

يعارض فيه كثيرٌ من المعارضين اليوم، ويقولون: إنَّ كون هذه الأسماء لرجال صالحين لم تأتِ إلا في هذا الحديث عن ابن عباس، وروايةُ ابن عباس هذه هي الأصل في هذا الباب وأنَّ ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا أسماء رجال صالحين صارت في العرب، وأنَّ أولئك لم يعبدوها أول الأمر وإنما أتاهم الشيطان فمثَّل لهم صورًا، (فلما تنسخ العلم)، وفي رواية: (فلما نُسي العلم عُبدت)؛ يعني: لما نسي التوحيد وتنسَّخ العلم ورثها أناس لم يعرفوا حقيقة الأمر فعُبدت، ويدلُّ على ذلك أنَّ ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا هذه صارت في العرب معروفة، وأبيات الشعر التي حُفِظَتْ عن العرب في ذكر هذه الأصنام مشهورة، والله جَلَّوَعَلَا ذكرها عن قوم نوح، ويؤيد ذلك أيضًا أنَّ العرب فيهم التعبيد لهذه الآلهة، ففيهم مَن اسمه عبد ودٍّ، وفيهم مَن اسمه عبد يغوث، وفيهم مَن اسمه عبد نسر وهكذا، فالتعبيد لها يدلُّ على أنها موجودة في العرب، وهي موجودة في قوم نوح بنص القرآن، فلما كان كذلك صارت هذه الرواية متفقة مع ظاهر القرآن، ومتفقة مع واقع العرب المعروف الذي حُفظ، فمَن طعنَ فيها فإنما هو من جهة عدم استيعابه للمسألة[١]؛ وبه تُعرَف مضرة الغلو في الصالحين، فإنه الهلاك كل الهلاك، فإنَّ الشرك بهم أقرب إلى النفوس من الشرك بالأشجار والأحجار، وإذا وقع في القلوب صعب إخراجه منها؛ ولهذا أتت الشريعة بقطع وسائله وذرائعه الموصلة إليه، والمقرِّبة منه، والوسائل إما قولية أو فعلية، وهؤلاء غلوا فعلًا؛ بكثرة التردد إلى قبورهم، وهذا فيه مشروع لكن زادوا فيه، وغلوا بالعكوف، وهو نفسه عبادة ووسيلة

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٥-٥١).

إلى عبادة أربابها، فلما رأى منهم الشيطان ذلك، زيَّن لهم تصويرهم، وهاتان الذريعتان: التصوير والعكوف من أعظم الوسائل الموصلة إلى الشرك[1].

ولما هلك قوم نوح بالطوفان اندرست التماثيل التي مثَّل فيها هؤلاء، وقد ذكر ابن كثير أنَّ أول مَن عبَد الأصنام بعد الطوفان هم قوم هود، وهم عاد الأولى، وهم قومٌ من العرب جفاة سكنوا الأحقاف، وهي جبال الرمل، وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت، وعمرو بن لحي الذي كان أول مَن غيَّر ملة إبراهيم ودعا إلى عبادة الأصنام كان في أول أمره رجلًا صالحًا ناسكًا، وحين قدم الشام رآهم يعبدون الأصنام، فاستحسن ذلك وظنه حقًّا، وكانت الشام آنذاك محل الرسل والكتب السماوية[2]؛ ورُوي أنَّ السيل ألقى هذه الأصنام في جدة لما أُغرق قوم نوح، ثم بعد مضي سنين، أتى إبليس إلى عمرو بن لحي الخزاعي، وكان رئيس قومه تلك المدة، فقال له: ائتِ جدة، تجد بها أصنامًا مُعدَّة، فَرِّقْها في العرب، وادعُ إليها تُجب، فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليك منهم اثنان، ففعلَ لعنَه الله فعُبِدت[3]، وكان هذا أوَّلَ عبادةِ الأصنام في العرب أهلِ الحجاز، فإنهم كانوا على دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى فعل عمرو فعلَته التي فعل، وكان من الأصنام التي حسَّن عمرو للعرب عبادتها التماثيل التي جُعلت للخمسة المذكورين من قوم نوح، وكان الطوفان ألقى بها على شاطئ بحر جُدَّة، وسَفَتْ عليها السوافي، وعَظُم عليها التراب،

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٧).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١٠)؛ وشرح كشف الشبهات، صالح الفوزان (٢٢).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٢٩).

فدلَّ الشيطانُ عَمرًا عليها فاستخرجها وفرَّقها بين قبائل العرب، وزيَّن لهم عبادة تلك الأصنام من دون الله، فبقيت فيهم تلك العبادة مع دعواهم أنهم على دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[١].

والأصنام إنما عُبدت لأن المقصود بها استحضارُ غائبٍ يُرادُ عبادته، فالصنم إنما صنَعه أهله على هيئة المعبود الذي يُراد أن يُعبد، إما على هيئته وإما على هيئةٍ ترمزُ إليه، فإما أن يكون الصنم على صورةِ صالحٍ من الصالحين، وإما أن يكون مصنوعًا على هيئةِ ما يرمزُ له، كالأنصاب والأصنام التي تُصنع للملائكة أو الكواكب، فيصنعونه على هذه الهيئة ليكون الصنم نائبًا مناب المعبود؛ وليكون قائمًا مقام المعبود، فالأصنام من حيث هي مرادةٌ لغيرها وليست مرادةً لذاتها، والعقلاء يدركون ذلك[٢]؛ فصار شرك قوم نوح من جهة التوسط بأرواح صالحي بني آدم، **وكلُّ شرك في العالم راجع إلى أحد نوعين لا ثالث لهما:**

النوع الأول: راجعٌ إلى أرواح الناس؛ أرواح الصالحين.

والنوع الثاني: راجعٌ إلى أرواح الكواكب.

فالشرك بأرواح الصالحين كان في قوم نوح، والشرك بأرواح الكواكب كان في قوم إبراهيم، فالصابئة الذين هم قوم إبراهيم كان شركهم من جهة الكواكب، فكانوا يعتقدون أنها تُسير العالم، وأنَّ كل كوكب له أثرٌ في العالم،

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (١٠).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ. د. صالح بن عبد العزيز سندي.

فشركهم كان من جهة الكواكب، فجعلوا لكل كوكبٍ صورةً وصنمًا صوَّروا فيه الكوكب، فلما كان كذلك، زعموا أنَّ روحانية الكوكب وروح الكوكب تحل فيه فتتقبل مما يأتي لها ويطلب، فترفع الحوائج إلى الكوكب؛ لأنهم لما وضعوا الأوثان لهذه الكواكب جاءت الشياطين، فتكلمت عند صورة الوثن والصنم، فلما تكلمت طلبوا منها أشياء فتحقق لهم ذلك، فظنوا أن الكواكب مُسيرة لأحداث هذا العالم، فالشرك وقع من جهة الشياطين في الجهتين: شياطين تكلَّمت بلسان الصالحين، على أنها روح الصالح، فطُلب منها وأجابت وعملت أشياء؛ وشياطين تكلمت على لسان -كما يزعم أصحابها- الكوكب، وكل شرك متفرِّع على أحد هذين النوعين؛ إما شرك بالعلويات أو شرك بالسفليات(١).

فمنشأ الشرك في الأرض وأصله لا يخرج عن ثلاثة أمور:

الأول: عبادة البشر من الأنبياء والصالحين وأهل الزهد، سواء أكانوا أحياء، أم أمواتًا في قبورهم.

الثاني: عبادة الكواكب.

الثالث: عبادة الملائكة أو الجن.

وبناء على ذلك وضِعَت الأصنام والأوثان لتكون قائمةً مقام هذه المعبودات الغائبة، وتُصرف لها العبادة والتوجه والخضوع والتعظيم، هذا

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥١).

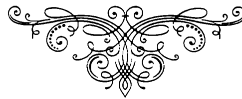
هو أصل عبادة الأصنام من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١)؛ وفي تقرير هذا المعنى يقول الشهرستاني: «اعلم أنَّ الأصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الأمر إلى عبادة الأصنام؛ إذ كان لا يستمر لهم طريقة إلا بشخص حاضر ينظرون إليه ويعكفون عليه، وعن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا؛ زعموا أنها على صورتها، وبالجملة: وضع الأصنام حيث ما قدروه إنما هو على معبود غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيأته نائبًا منابه وقائمًا مقامه، وإلا فنعلم قطعًا أن عاقلًا ما لا ينحت جسمًا بيده ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه، وإله الكل وخالق الكل؛ إذ كان وجوده مسبوقًا بوجود صانعه، وشكله يحدث بصنعة ناحته، لكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها؛ كان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها»(٢).

وهذا يوضح ويبين حقيقة الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنها وضعت في الأصل لتنوب مناب معبوداتهم من الأنبياء والصالحين، ولتقوم مقام قبورهم، فعبادة الأصنام لأجل كونها أحجارًا أو أخشابًا مما يحكم العقل بفساده، فلا يعقل أن يصنع أحد صنمًا بيده، وينحته ويشكِّله ببنانه من

(١) القواعد في توحيد العبادة، د. محمد بن عبد الله باجسير (٢/ ١٠٤١).

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني (٣/ ١٠٤). وذكر الرازي في تفسيره (٢/ ١٠٤) بعض الأسباب التي دعت المشركين إلى اتخاذ الأصنام فقال: «ورابعها: أنه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مجاب الدعوة، ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنمًا على صورته، يعبدونه على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون شفيعًا لهم يوم القيامة عند الله تعالى على ما أخبر الله تعالى عنهم بهذه المقالة».

أحجار وأخشاب، ثم بعد فراغه منه مباشرة يعتقد أنه إلهه ومعبوده؛ ومما يدل على أنَّ المشركين لم يقصدوا عبادة ذات الأصنام، وإنما قصدوا عبادة مَن صُورت الأصنام على صورهم: أنهم لم يكونوا يعبدون إلا ما صوروه ونحتوه من الأصنام والأوثان، فلم يعبدوا جميع الأحجار، ولا جميع الأشجار، بل كان الصنم يكون مع أحدهم مدة من الزمن يعبده، فإذا رأى أحسن منه رمى الأول واستبدله بالثاني وهكذا، وهذا يدل على أن مقصودهم ليس هو ذات الصنم المصنوع من الحجر أو الخشب؛ وفي هذا ردٌّ على شبهة أهل الشرك في هذا الزمان الذين يدَّعون أن المشركين إنما عبدوا الأصنام والأحجار، وأما نحن فإنما نتوجه إلى الأنبياء والصالحين، ولا شك في بطلان هذه الشبهة؛ فالأصنام لم تُعبد لذاتها؛ وإنما عُبدت لأجل الصالحين[1].



---

(١) القواعد في توحيد العبادة، د. محمد بن عبد الله باجسير (٢/ ١٠٤٧، ١٠٤٩، ١٠٥٢).

قال المصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وآخرُ الرسل: محمدٌ ﷺ، وهو الذي كسَّرَ صورَ هؤلاءِ الصالحين].**

الشَّرْح

لما تكلَّم المصنِّف في الجملة السابقة عن دعوة أول الرسل أتبعها بجملةٍ تكلَّم فيها عن دعوة آخر الرسل(١)، فالتوحيد هو دين الرسل، فأوَّلهم نوح وآخرهم محمد(٢)؛ وبهذا نفهم أن الأنبياء والرسل جاؤوا لتقرير أمرٍ واحد، فأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دعا إلى التوحيد، وآخرهم محمد ﷺ كسَّر الأصنام، وفي هذا بيان وحدة رسالة الرسل، فالذي اعتنى به أولهم هو مضادة الشرك والتحذير منه، والذي عمله آخرهم هو تكسير الأصنام، وإقامة الدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحده دون غيره(٣).

قال المصنف: (وآخر الرسل: محمد ﷺ)، فهو خاتم النبيين، لا نبي بعده، وبختم النبوة خُتمت الرسالة، فلا يُبعَث نبي ولا رسول بعده ينسخ دينه وشريعته، فدينه خاتم الأديان، وشريعته ناسخة للشرائع قبلها، وهي باقية حتى يأتي الله بأمره، ولا ينافي ذلك ما صحَّت به الأخبار من نزول المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر الزمان، فإنه لا يأتي بشرع جديد، وإنما يحكم بدين الإسلام ولا يقبل دينًا سواه، فهو خليفة للنبي ﷺ في أمته يسوسهم بدينه نيابة عنه -عليهم جميعًا الصلاة والسلام(٤)- فمن الأمور المجمع عليها أن

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٤).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (١٢).
(٣) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٧).
(٤) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (١٦).

محمدًا -صلوات الله وسلامه عليه- هو آخر الرسل؛ ولهذا جعل الله عَزَّوَجَلَّ دينه خاتمًا، وجعله عامًّا لأهل الأرض، فكانت الأنبياء قبله، كل نبي يُبعَث إلى قومه خاصة، أما محمد -صلوات الله وسلامه عليه- فهو رسول الله إلى الناس كافة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، فهو آخر الرسل ﷺ، ولا يوجد رسول بعده[١].

قال المصنف: (وهو الذي كسَّر صور هؤلاء الصالحين)؛ أي: المعبودة على عهد نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢]، فقول المصنف: (هؤلاء) إما إشارة إلى كسر الأصنام؛ لأن الرسول ﷺ بُعث بكسر الصنم؛ وإما على القول بأن هذه الأصنام التي عُبدت في قوم نوح أخرجها بعض العرب، فعبدها العرب بعد ما كانت مطوية مدفونة؛ لذلك كسَّرها النبي ﷺ، والشاهد أنَّ النبي ﷺ كسَّر هذه الأصنام، سواء أكانت هذه الأصنام بعينها أم كانت بغيرها؛ لأنه بُعث بكسر الأصنام[٣].

وتكسيره لها إما بنفسه أو بمَن أَرسل، فكسَّر الأصنام التي حول الكعبة بيده، وذلك عام فتح مكة شرَّفها الله، وأرسل مَن يُكسر الأصنام في بعض المواضع، وأمرَ بتكسير الأصنام في كل مكان[٤]، فلما دخل مكة عام الفتح كان حول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول:

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٠).

(٣) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

(٤) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١١)؛ والتعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (١٦).

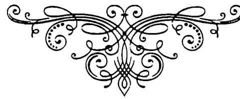
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١]، وكان من الأصنام: إساف ونائلة، وكانت موجودة بجنب الكعبة، ومنها: هبل، وكان من الأصنام التي في داخل الكعبة؛ لأن الكعبة كانت بداخلها صور وأصنام، وكان أيضًا بقربها؛ يعني: على حافة الكعبة ثَمَّ أصنام، وهناك أيضًا أصنام بعيدة حول المطاف، فالنبي ﷺ كسَّرها جميعًا، أما ودٌّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فهذه لم تكن من الأصنام التي حول الكعبة، بل كانت متفرقة في العرب، فقول المصنف: (وهو الذي كسَّر صور هؤلاء الصالحين)؛ يعني: بمَن أرسل، فإنه لما انتشر الإسلام، فكل قوم فيهم هذا الوثن أو هذا الصنم كسَّره أصحابه بأمر النبي ﷺ، وقولنا: بأمر النبي، ليس أمرًا خاصًّا بهذا الصنم، ولكن أمر عامٌّ بكسر الأصنام والأوثان، وتعبير المصنِّف بقوله: (صور هؤلاء الصالحين) هذا مقصود؛ لأن أولئك جعلوا الصورة، وجعلهم الصورة ليس لقصدها، وإنما لأجل أنها توصل إلى صاحبها، فمن المعلوم أنَّ المشركين ليسوا قاصدين للصور من حيث هي، بل يُقْصَد الصنم من حيث هو، فعندهم الصنم وسيلة إلى روح صاحبه، والوثن وسيلة إلى ما يحل بالبقعة أو يحل بالشيء من أرواح، فإذن هم قصدهم الأرواح التي تصعد إلى الملأ الأعلى، فتوصل طلباتهم وتوصل حوائجهم وما يريدون إلى الله جَلَّ وَعَلَا، فيستجيب الله جَلَّ وَعَلَا بهذه الوساطة، هذه خلاصة شرك المشركين(١).

وانظر إلى آثار الشرك وعروقه إذا علقت متى تزول وتنمحي؟ فإنَّ هذه الأصنام بقيت من يوم عُبدت من دون الله حتى بُعِثَ محمد ﷺ وكسَّرها،

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥١-٥٣).

فالشرك إذا وقع عظيمٌ رفعه وشديد؛ فإنَّ نوحًا مع كمال بيانه ونصحه ودعوته إياهم ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، أخذ ألف سنة إلا خمسين عامًا، ما أجابه إلا قليل، ومع ذلك أغرق الله أهل الأرض كلهم من أجله، ومع ذلك تلك الأصنام الخمسة ما زالت حتى بُعث محمد ﷺ وكسَّرها، فيفيدك هذا عظم الشرك إذا خالط القلوب صَعُبَ زواله، كيف أن أصنامًا عُبدت على وقت أول الرسل، وما كسَّرها إلا آخرهم(١).



(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٠).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[أرسله اللهُ إلى أُناسٍ(١) يتعبَّدونَ، ويحجون، ويتصدَّقون، ويذكرون الله [كثيرًا](٢)، ولكنَّهم يجعلون بعضَ المخلوقاتِ(٣) وسائطَ بينهم وبين الله** عَزَّوَجَلَّ**؛ يقولون: نريدُ منهم التقرُّب إلى الله [تعالى](٤)، ونريدُ شفاعتهم عنده؛ مثلَ: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأُناسٍ غيرِهِم من الصالحين].**

الشَّرْح

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يوضح ما تقدم من أنَّ التوحيد أصل العبادات، وأنه المرجع فيها، فقبولها مبنيٌّ على صحته، وأنها بدون تحقيقه مردودة على صاحبها، ودلَّل على هذا الأصل من أن النبي ﷺ بُعث إلى قوم يتعبدون الله بأنواع العبادات، ولكن لكونهم لم يوحدوا الله لم تفدهم هذه العبادات شيئًا(٥)؛ فبيَّن المصنف هنا الأمر الرابع في هذه المقدمة، وهو حقيقة دين المشركين(٦)، فانتقل المصنف إلى بيان الحال التي كان عليها الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ من مشركي العرب، **وحقيقة ما كان عليه هؤلاء المشركون يتلخَّص في خمسة أمور:**

الأول: أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يعرفون الله ويعتقدون وجوده، فلم يكونوا ملاحدة.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [إلى قومٍ].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم.

(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [المخلوقين].

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٥) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام (٤).

(٦) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

والثاني: أنهم كانوا يُقرون أن الله جَلَّوَعَلَا هو خالق هذا الكون، وهو الرازق، وهو المدبر وحده، فلم يكونوا يعتقدون في آلهتهم مشاركة الله في شيء من ذلك، بل كانوا يعتقدون أن هذا مما انفرد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به.

والثالث: أنهم كانوا يتعبدون لله عَزَّوَجَلَّ بأنواعِ العبادات.

والرابع: أنهم كانوا مع عبادتهم لله يُشركون به غيره، فيعبدون الله ويعبدون غيره.

والخامس: أنهم إنما أشركوا مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ غيره من أجل طلب شفاعة هذه الآلهة لتقربهم إلى الله، فلم يشركوا بها إلا لهذه الغاية[١].

قال المصنف: (**أرسله الله إلى أناس يتعبَّدون**)، فأولئك الذين أشركوا هذا الشرك لم يكونوا بعيدين عن التعبد، فلم يكونوا يُقرّون بأن الله جَلَّوَعَلَا هو الخالق وحده وإفراد الربوبية فحسب، بل كانوا مع ذلك يتعبدون: فكانت لهم صلاة وزكاة وحج وصيام، وهذا ذكره المصنف بعد ذلك بقوله: (**ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا**)[٢]، وكانوا يصِلون الرحم، ويكرمون الضيف، ويعرفون أن الله وحده هو المتفرد بالخلق والتدبير، ويخلصون في الشدة[٣].

فالعرب كانوا يعتنون بمسألة الطهارة؛ طهارة الجنب وطهارة الحائض، فهذا النوع تعبدٌ منهم بذلك؛ فقد ذكر مَن صنَّف في أديان العرب أنَّ العرب

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥٣).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣١).

كانت عندهم طهارة من الحدث، فكانوا يتطهرون من الجنابة، وإذا أجنب المرء؛ بمعنى: أنزل الماء، فإنه يبعد عن مواقع العبادة ولهذا سموه جنبًا؛ أي: بعيدًا؛ لأنهم كانوا يأمرونه بالابتعاد عن الكعبة، والابتعاد عن مواطن العبادة حتى يتطهر، وتطهره من الجنابة شائع معروف، أما التطهر من الحدث الأصغر، فهذا إنما هو عند طائفة قليلة منهم، وحتى النساء كنَّ يغتسلنَ من الحيض، وهذا معروف عنهم في عدة أحوال وعدة أبيات، كذلك الصيام، كان منهم مَن يصوم، وصيامهم مختلف: منهم مَن يصوم يومًا، كما كان أهل الجاهلية يصومون عاشوراء، كما جاء في الصحيح: «إن قريشًا كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية»، وكان لهم صيام من الفجر إلى غروب الشمس أو من طلوع الشمس إلى غروبها، ومنهم مَن كان يصوم أكثر من ذلك، وهذه كلها ميراثٌ مما ورثوه من الأديان الصحيحة قبلهم؛ وكان منهم أيضًا: مَن يصلي، وصلاته تكون بركوع وذكر ودعاء ويسمونها صلاة، وهي معروفة عندهم في ذلك، لكن هذه الهيئة والسجود لم يكن عندهم؛ كذلك كانوا يعتكفون تعبدًا، ومنه حديث عمر المعروف: إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. فقال له النبي ﷺ: «**أوفِ بنذرك**»؛ وكان طائفة منهم يتحنثون ويتخلَّون في الخلاء يتأملون ويذكرون الله جَلَّ وَعَلَا، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يتحنَّث في غار حراء الليالي ذوات العدد، والتحنُّث يعني: العزلة عن الناس والتعبد بذلك؛ وكذلك الصدقة كما ذكر المصنف هنا: (ويتصدَّقون)، فكان فيهم الصدقة كثيرًا؛ وكذلك كانوا أهل ذكر لله جَلَّ وَعَلَا، يذكرونه بأنواع من الذكر محفوظة في أشعارهم وكتبهم؛ أمَّا الحج والعمرة فمعروف ومشهور حجهم

للبيت وتعظيمهم إياه وعمرتهم إليه، والمقصود من هذا: أن العرب لم تكن بعيدة عن العبادة، فكانوا يتعبدون بأشياء ورثوها من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن بعض الأشياء من دين موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كانوا مقرِّين بالربوبية لله جَلَّ وَعَلَا، وأن الله هو الخالق، وهو الرَّزَّاق وحده، وهو الذي يحيي ويميت[1].

قال المصنف: (ولكنَّهم يجعلون بعضَ المخلوقاتِ وسائطَ بينهم وبين الله عَزَّ وَجَلَّ؛ يقولون: نريدُ منهم التقرُّب إلى الله تعالى، ونريدُ شفاعتهم عنده؛ مثلَ: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأُناسٍ غيرِهِم من الصالحين)، فكانت بعثته ﷺ إلى قومه ولهم أعمالٌ صالحةٌ، إلا أنهم اتخذوا آلهة من دون الله، يزعمون أنهم شفعاء يقربونهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكانوا يطلبون منهم القربة والشفاعة[2]، فهذه آفتهم، وهي اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله، فعبادتهم لا تنفعهم؛ إذ جعلوا لله شريكًا في العبادة؛ فهذا أفسدَ جميعَ ما هم عليه من هذه العبادات، وصاروا بذلك كفارًا مرتدين، فهذه هي عقيدة المشركين الأولى، وهذا دينهم[3]؛ فحصلَ من هذا برهانٌ عظيم ومقدمة مهمة لهذا الكتاب، وهي أنَّ المشرك الذي كان في زمن النبوة لم يكن بعيدًا من التعبد تمامًا؛ بل كان عنده نوع تعبد، ونوع صلاح، من جهة أنه في الناس صاحبُ خيرٍ وصاحبُ صدقة، وصاحبُ ذكرٍ، إلى آخره؛ لكنه صار مشركًا؛ لأنه عبَد مع الله جَلَّ وَعَلَا غيرَه، فإذا كان الأمر كذلك، فإن قتال النبي ﷺ لأولئك وتكفيرهم كان لأجل أنهم أشركوا تلك الآلهة الباطلة مع الله جَلَّ جَلَالُهُ، فعبدوا الله وعبدوها،

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥٤-٥٦).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (١٠).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٢).

وهنا جاء السؤال المهم، وهو: كيف عبدوا تلك الآلهة؟ هل ادعوا في اللَّات والعُزَّى ومناة وهبل وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وإساف ونائلة، هل ادعوا أنها تخلق، أو ادعوا أنها ترزق استقلالًا؟ الجواب: لا، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس:٣١]، فإنهم بلا جدال يقولون: الذي يرزق ويحيي ويميت هو الله، فإذًا حين يَسألون تلك الآلهة الباطلة أنْ ترزقهم، هل يعتقدون فيها أنها تملك الرِّزق استقلالًا؟ الجواب: لا؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا أخبرنا بأنهم لو سُئلوا: مَن يرزقكم من السماء والأرض، لقالوا: الله يرزقنا، وإنما صاروا مشركين؛ لأنهم جعلوا تلك الآلهة وسائط في طلب الرزق، وشفعاء في طلب الرزق؛ ولهذا قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله** عَزَّوَجَلَّ)، قال: (وسائط بينهم وبين الله)، ولفظ (الوساطة) هذا دقيق من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو الموافق لما جاء في القرآن؛ حيث قال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، قال العلماء: قوله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا﴾ هذا حصر قلب إضافي -معلومٌ في علم البلاغة- يعني: ما نعبدهم لعلة من العلل فيهم أبدًا، ولا لأنهم متصفون بأشياء من صفات الإله أبدًا، لكن نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فقط، فليس من صفاتهم أنهم يرزقون أو يحيون أو يميتون أو يفيضون الخير، وإنما نعبدهم لأجل التقرب، وهذا هو معنى اتخاذ أولئك شفعاء عند الله جَلَّوَعَلَا، فانحصرت المسألة في أنَّ اعتقاد المشركين في أوثانهم وفي أصنامهم من جهة الأرواح الشيطانية، ومن جهة

التوجه لها لأجل أن ترفع الحاجات إلى الله جَلَّوَعَلَا، فما كانوا يطلبون منها استقلالًا، بل كان طلب الشفاعة هو ديدنهم وبغيتهم، وكان كل واحد عنده في بيته وثن أو صنم يزعم أنه إذا توجه له بالعبادة حلَّ روح صاحب هذه الصورة فيها فقَبِل الطلب ورفعه إلى مكانه في الملأ الأعلى؛ يعني: أنَّ فائدة وجود الصورة في البيت أنها تحلُّ فيها روح صاحبها فتَقْبل الطلب، وليست هي عندهم أصنامًا محضة؛ لأنهم أعقل من أن يعبدوا حجرًا محضًا؛ لكن هم عبدوا حجرًا معه الروح، فصار ذلك أيضًا قدحًا في عقلهم من جهة أنهم توجهوا إلى خشب أو إلى تمر أو إلى حجر، إلى آخره، زعمًا بأنَّ الروح تحل فيهم، فهو قدح في عقلهم، لكنَّه أخص من أن يعتقدوا في حجرٍ مجردٍ ليس فيه حلول الروح لتُناجَى ويُطْلَب منها التوسط، فقول المصنف هنا: (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله) هذا هو حقيقة الوصف[1]، فسببُ تكفير الله لهؤلاء، مع أنهم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله؛ أنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله[2]؛ فهؤلاء اتخذوا عبادة غير الله وسيلة إلى التقرب إلى الله، فعبادتهم للصالحين وغيرهم لم تكن مقصودة لذاتها وإنما كانت مقصودة لغيرها، ومع ذلك كانوا مشركين، وهذا يدل على أن اتخاذ وسائط بين الله وبين العبد في العبادة ولو اعتقد أنهم دون الله، وأنهم أقل من الله، وأنه لا يعبدهم لأنهم يخلقون ويرزقون، وأن ليس لهم شيء من الربوبية ونحو ذلك؛ أن هذا لا يعفيه من الشرك، فمَن عبَدَ غير

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥٧-٥٩).

(٢) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (٤٤).

الله بأي نية كانت، وبأي قصد كان فهذا هو الشرك، فلا فرق بين مَن يعبد غير الله معتقدًا أنه يخلق وبين مَن يعبده معتقدًا أنَّ الله هو الخالق وحده؛ ولا فرق بين مَن يعبد غير الله معتقدًا أنه يستحقُّ العبادة لذاته وبين مَن يعبده معتقدًا أنه شفيع عند الله، فالجميع اشتركوا في أمر واحد: أنهم عبدوا غير الله، واختلفت مقاصدهم، وهذه المقاصد لا تغير من الحكم شيئًا[1].

قال المصنف: (يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريد شفاعتهم عنده)؛ أي: أنهم إنما يعبدون هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، فهم مقرون بأنها دون الله، وأنها لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، وأنهم مجرد شفعاء لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ[2]، فهم إنما يتعبدون بإشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته، ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله، ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله؛ لظنهم أنهم يحبون ذلك[3]، فهم ما جحدوا ربوبية الله، وما جحدوا أحقية الله بالعبادة؛ لكنهم جحدوا أحقيته بالتفرد بالعبادة، واتخذوا وسائط بينهم وبين الله يتقربون بهم[4].

والشفاعة هنا هل يُقصد بها الشفاعة الدنيوية، أو تشمل كذلك الشفاعة الأخروية؟ الجواب: أنَّ عامة المشركين كانوا منكرين للآخرة والبعث، وقلة منهم كانوا مثبتين للبعث، فإذا كان هذا المشرك ممن يُثبت الآخرة فلا شك أن الشفاعة هنا تتعلق بالدنيا والآخرة؛ أما عامتهم فالشفاعة تتعلق عندهم بأمور

(١) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.
(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٢٠).
(٣) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية، محمود شكري الألوسي (٢١١).
(٤) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

الدنيا، فالمشركون إنما أشركوا مع الله جَلَّوَعَلَا لأجل طلبه ولأجل الرغبة فيه بحصول الشفاعة عند الله والتقريب عنده جَلَّوَعَلَا من قبل هؤلاء الآلهة، وقد طلبوا شفاعتهم وتقريبهم عند الله بطريقين: إما بسؤالهم المباشر بأن يكونوا شفعاء وأن يقربوهم إلى الله زلفى؛ وأما أن يكون بأن يتعبدوا لهم بأنواع التعبدات لأجل أن يرضى هؤلاء الآلهة عنهم، وبالتالي يتحقق لهم ما يريدون من كونهم يشفعون لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ ويقربونهم إليه زلفى[١]، فهم إنما يريدون التقرب إلى الله، فليسوا ملاحدة، إنما في ألسنتهم ذكر الله جَلَّوَعَلَا، وعندهم صدقة وتعبد، لكن يريدون بذلك التقرب إلى الله، ومن هذا تعلم جهل طائفة ممن ظنَّ أن تعَبُّد المتعبد وصلاته وصيامه وزكاته يمنع من الحكم عليه بالشرك؛ لأنَّ المشركين في زمن النبي ﷺ كانوا على دين إبراهيم، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم محاسن الأخلاق**»، فهم كانوا على حسن في التعامل وكانوا، ولكن لم يكونوا موحدين، فإذًا العبرة كل العبرة في التوحيد، وليست في أنهم يحجون أو لا يحجون، يعتمرون أو لا يعتمرون، يتصدقون أو لا يتصدقون، يذكرون الله أو لا يذكرون، ليس هذا هو البرهان؛ لهذا في بعض هذا الزمن لما فشا الجهل بالتوحيد، تجد أنَّ كثيرين إذا وجدوا مَن يتكلم وفي لسانه ذكر الله جَلَّوَعَلَا، أو أنه يقول: الحمد لله أو يقول: الله أكبر، أو يقول: ما شاء الله، أو يذكر الله بلسانه أو يتصدق أو يحضُر المسجد أو يقرأ القرآن؛ يزعمون أنه مسلم ولو عبَد غير الله جَلَّوَعَلَا، وهذا ليس هو المقصود، وإنما هذه الشرائع جاءت بعد التوحيد، فإذا لم يقم التوحيد في قلب صاحبه،

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

فلا تُقبل هذه الشرائع[(١)].

قال المصنف: (**مثلَ: الملائكةِ وعيسى ومريمَ وأُناسٍ غيرِهِم من الصالحين**)، فهؤلاء الوسطاء كانوا يتخذونهم من الصالحين، مثل: الملائكة، ومثل: عيسى وأمه[(٢)]؛ أمَّا الملائكة: فإن طائفة من العرب وغير العرب كانت تعتقد في الملائكة أنها بنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يقولون علوًّا كبيرًا، ويقولون: إنَّ أرواح الملائكة منتشرة، فإذا طُلب من الملائكة أجابت، والملائكة عندهم لم يكن لها أوثان وأصنام كما جعلوا للكواكب أو كما جعلوا للموتى أو للصالحين، وإنما أرواح الملائكة عندهم منتشرة، والاتصال بهذه الأرواح يكون بندائها وبعبادتها، فتجيبهم الجن إذا نادوا الملائكة، وتغيثهم الجن فيما أقدرهم الله عليه؛ فيظنوا أنَّ ذلك من جهة الملائكة، قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبإ:٤٠-٤١]، فكانت حقيقة عبادة الملائكة هي عبادة الجن، فدلَّ ذلك على أنَّ عبادة الملائكة كانت موجودة، وأن اعتقادهم في الملائكة لأجل أنَّ الملائكة أرواح طاهرة، فاستغاثوا بها وطلبوا منها؛ فأغاثتهم الجن، فعظُم تعلقهم بالملائكة، وعظُم اعتقادهم في الملائكة أنها بنات الله جَلَّجَلَالُهُ، والمقصود من ذلك: أن تعْلَمَ أنَّ سبب شرك المشركين بالملائكة هو التعلق بالأرواح الطاهرة، فالملائكة أرواحٌ طاهرة بالاتفاق، وذلك عند الأمم جميعًا، فجعلوا تلك الأرواح

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٥٩-٦٠).

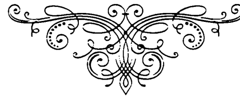
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٣).

الطاهرة وسيلتهم إلى الله، والله جَلَّوَعَلَا بيَّن أنَّ حقيقة عبادة الملائكة إنما هي عبادة للجن، فإذًا حقيقة الشرك متماثلة، ليس ثمَّ فرقٌ بين الشرك في الملائكة، والشرك بالأموات، والشرك بروحانية الكواكب، فالحقيقة واحدة وهي أنه تعلقٌ من بني آدم بأرواح غائبة، وهذه الأرواح الغائبة عَظُمت الشبهة بها لـمَّا كلمتهم الشياطين؛ ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدها: **(وعيسى ومريم)**؛ يعني: مثل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومريم أمه، حيث وقع بهما الشرك واتُّخِذَا إلهين مع الله جَلَّوَعَلَا؛ ثم قال: **(وأناس غيرهم من الصالحين)**، فعُبد صالحون كثير، وعبادةُ الصالحين من جهة أنَّ أرواح الصالحين طاهرة لها المقام العظيم عند الله جَلَّجَلَالُهُ، وأنَّ الله لا يرد لهم طلبًا[١]؛ والمشركون كما سيتبين من خلال كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكونوا مقتصرين في عباداتهم على الملائكة والصالحين، بل عبدوا أيضًا الأحجار والأشجار وغيرها، ويبدو أنَّ المصنف أضرب عن ذكر هذا؛ لأنه إذا كانت عبادة هؤلاء من دون الله لا تصحُّ فغيرهم أولى، فإذا كانت عبادة الملائكة وعبادة عيسى ومريم وغيرهم من الصالحين لا تنفع، فانتفاء النفع في عبادة غيرهم من الجمادات من باب أولى[٢].

فأهم شيء: معرفة دين المرسلين فيُتَّبع، ومعرفة دين المشركين والشياطين فيُجْتنب؛ فإنَّ مَن لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام[٣]، وإذا كان كذلك فيتعين على طالب العلم أن يتوسَّع في معرفة أديان العرب في الجاهلية،

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٦٣-٧٠).
(٢) يُنْظر: شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٧).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٢).

كيف كانت؛ لأن هذا من العلم المهم الذي به تتضح قيمة التوحيد، فتنظر في تفاسير المفسرين وكلامهم عن أحوال العرب وشرك المشركين ونحو ذلك، وفي كتب الحديث عند ورود الأحوال السابق ذكرها، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي ذر أنه كان في الجاهلية قبل أن يُبعث النبي ﷺ، ولفظه: «قد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين»، فهذه المسائل تقعيدية حتى إذا جاءت شُبه المشبهة فيما سيأتي يكون عند طالب العلم فرقان بيّنٌ بما تميَّزت به بعثة النبي ﷺ ودينُه عن دين المشركين الذين بُعث إليهم وقاتلهم وكفَّرهم، ولم يقبل منهم صرفًا ولا عدلًا، فتوسَّعْ في ذلك وانظر فيه، فإنه تقعيد تنتفع به في ردِّ كثير من الشبه التي يُشْبِه بها أعداء التوحيد[1].



(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٦٠-٦١).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[فبعثَ اللهُ تعالى [إليهم][(١)] محمدًا ﷺ يُجدد[(٢)] لهم [دينهم][(٣)]؛ دينَ أبيهم إبراهيم، ويخبرهم أنَّ هذا التقرُّبَ والاعتقادَ محضُ حقِّ اللهِ تعالى، لا يصلحُ منه شيءٌ [لغيره][(٤)]، لا لملَكٍ مُقرَّب ولا لنبي[(٥)] مُرسَلٍ؛ فضلًا عن غيرِهما].**

الشَّرح

قرَّر المصنف فيما سبق أنَّ التوحيد هو: إفراد الله بالعبادة، وأنَّ أول الرسل هو نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنَّ آخر الرسل هو محمد ﷺ، وهؤلاء مع بقية الرسل جاءوا بالتوحيد يأمرون الناس بعبادة الله وحده، ويبطلون التعلق بالعبادة بغير الله جَلَّ وَعَلَا؛ ثم ذكر بعد ذلك حقيقة شرك المشركين، فقال: (ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى، ونريد شفاعتهم عنده)، وبيَّن هنا أنَّ مشركي العرب كانوا على أثر من الرسالة، وأنهم لم يكونوا بلا رسول قبل محمد ﷺ، بل كانت رسالة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيهم؛ لهذا كان فيهم بقايا من دين إبراهيم من أمور الفطرة كما سبق بيانه: كالغسل من الجنابة، وغسل المرأة من الحيض، والصدقات، وبعض الأدعية والصلوات، ونحو ذلك[(٦)]؛ وهذا كله تمهيدٌ لبيان الفرق بين

---

(١) زيادة من نسخة الشَّحري؛ ودغش.

(٢) في نسخة دغش: [ليُجدد].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني. وفي نسخة الشَّحري: [لغير الله].

(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ولا نبي].

(٦) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٦٣، ٧١).

التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وبين ما عليه المشركون من الشرك، فهذا منهج ومسلك يضعه المصنف لمَن أراد الجدل مع مشرك، فبيَّن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا السبب من بعث النبي ﷺ إلى هؤلاء مع أنهم يتعبدون، وهو أنهم جعلوا بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، فأرسله ليجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]؛ فقال: (**فبعث الله تعالى إليهم محمدًا**)؛ يعني: وهم على تلك الحالة (**يجدد لهم**) ما اندرس (**من دين أبيهم إبراهيم**)، وبهذا تعرف دين قريش ودين محمد[2]؛ وهذا يدل على أنَّ مشركي العرب كانت لهم رسالة قبل محمد ﷺ، وذلك ظاهرٌ بيِّن، والحجة عليهم قائمة به، وبوجود الكعبة عندهم وبإقرارهم أنهم من نسل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورسالة إسماعيل ورسالة إبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ فيهم، والنبي ﷺ جدَّد لهم دينهم، والمقصود من ذلك: أنَّ العرب قامت عليهم الحجة، وبُيِّن لهم الأمر ببعثة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومحمد ﷺ بُعِث مجدِّدًا لهم دين أبيهم إبراهيم[3]؛ لأن العرب كانوا حنفاء على دينه إلى أن حصل فيهم التحول من التوحيد إلى الشرك؛ بسبب عمرو بن لحي[4]؛ ومعرفة هذا تفيدنا فائدة عظيمة في الرد على مشركي زماننا الذين قالوا: إنَّ الذين نزل فيهم القرآن لا دينَ لهم، ونحن لنا دين ونشهد بالشهادتين، فيُجاب عليهم؛ أنَّ كفار قريش كانوا يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم، ومع ذلك فقد كفَّرهم الله في كتابه[5].

---

(١) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (٤٤، ٤٥).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٣).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٧٢، ٧٣).

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٣٩).

(٥) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (٤٦).

قال: (**ويخبرهم أنَّ هذا التقرب والاعتقاد محضُ حق الله تعالى**) وحده[١]؛ أي: خالص حقه[٢]؛ لأنه عين العبادة، فهذا التقرب الذي يتقربون به لغير الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الاعتقاد الذي اعتقدوه في هؤلاء المعبودين هو محضُ حقٍّ لله؛ لأنه هو العبادة[٣]؛ فبيَّن لهم ﷺ أن العبادة محض حق الله، وأنَّ الشفاعة كلها لله، وإنما تُطلب منه سبحانه، فدلَّ ذلك على أن هذا التقرب لا يصلح إلا لله[٤]؛ يعني: يخبرهم محمد ﷺ أنَّ التقرب إلى الأرواح، والصالحين، والأنبياء، والملائكة، وسؤال أولئك الشفاعة، هذا التقرب والاعتقاد في تلك الأرواح أنها تنفع أو أنها تضر أو أنها تملك شيئًا من الأمر: (محضُ حقِّ الله)، وهذا يرجع إلى المسألتين: الأولى: التقرب؛ والثانية: الاعتقاد؛ لأن هناك مَن يعتقد ولا يتقرب، وهناك مَن يتقرب ويعتقد، فكل المسألتين محض حق الله جَلَّجَلَالُهُ، فنفهم من هذا أنَّ مَن اعتقد الشرك ولم يفعله فإنه مشرك كالذي فعله؛ لأن الاعتقاد بأن هذه الروح مثلًا تنفع أو تضر، أو أن أحدًا يغيث فيما لا يقدر عليه إلا الله جَلَّوَعَلَا، هذا يجب أن يكون في الله، ولا يعتقد في أحد أنه يملك من الأمر شيئًا، ولا أنه يملك الشفاعة؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤]، فالشفاعة مِلك لله جَلَّوَعَلَا هو الذي يتكرَّم بها، وهو الذي يعطيها مَن يرضى عنه جَلَّوَعَلَا[٥].

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (١٠).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٢٢).

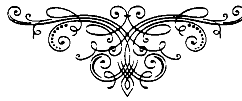
(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٣).

(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٧٣).

قال: (**لا يصلح منه شيءٌ لغيره، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، فضلًا عن غيرهما**)، وقوله: (لا يصلح منه)؛ أي: التقرب والاعتقاد[١]؛ يعني: لا يصلح من هذا التقرب وهذه العبادة شيء لغير الله كائنًا مَن كان، ولو كان ملكًا مرسلًا أو نبيًّا رسولًا، فضلًا عن غيرهما من الأحجار والأصنام وغيرها مما عبده المشركون[٢]، وخَصَّ بالذكر الملائكة والأنبياء والمرسلين؛ لأنهم أفضلُ خلق الله، وأفضلُ عباده[٣]؛ وإذا كان هذا لا يصلح لأهل الدين والفضل، فمَن دونهم بطريق الأولى، فلا يُعتقد ولا يُطلب ولا يُقصد إلا الله تعالى، ولا يوسَّط من الخلق أحدٌ بينه وبينهم ولا يُتقرَّب به[٤].

وهذا يبين للقارئ حقيقة الشرك، وأنَّه هو التشفُّع بالصالحين وطلبهم للقربى إلى الله، والذبح لهم، والنذر لهم، والسجود لهم، بقصد القربة والشفاعة، فهم كفروا بطلبهم الشفاعة والقربة من الأنبياء والصالحين، والذبح لهم، والنذر لهم، ونحو ذلك[٥].



---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٤١).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح العصيمي (١٠)؛ وشرح كشف الشبهات، د. خالد المصلح (١١).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٤٢).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٣).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٠).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: [وإلا؛ فهؤلاء المشركون [الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ][(١)] يشهدونَ أنَّ اللهَ: هو الخالقُ [الرازقُ][(٢)] وحده، لا شريك له، وأنه لا يرزقُ إلا هو، ولا يحيي [إلا هوَ][(٣)]، ولا يميتُ إلا هوَ، ولا يدبر الأمرَ إلا هو، وأنَّ جميع السماواتِ السبعِ ومَن فيهنَّ، [والأرضينَ السبعِ][(٤)] ومَن فيهنَّ[(٥)]؛ كُلّهم عبيدُهُ، وتحتَ تصرُّفهِ وقهرِهِ].

الشَّرْحُ

لما ذكر المصنِّف في الجملة السابقة موقفَ المشركين من توحيد العبادة؛ ذكرَ بعد ذلك موقفَهم من توحيد الربوبية، فهذه الجملة تضمَّنت بيانَ أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يُقِرّون بتوحيد الربوبية[(٦)]، فالمصنف بيَّن في هذا الموضع حقيقة ما أقرَّ به المشركون واعتقدوه من إفراد الله بالخلق والرَّزق والإحياء والإماتة، إلا أنهم لم يقروا لله بتوحيد العبادة، وإفراده بها سبحانه[(٧)].

فمشركو العرب كانوا يشهدون أنَّ الله هو الخالق الرازق، فلا يخلق غيره، ولا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، وأنَّ جميع السماوات السبع ومَن فيهنَّ، والأرضينَ السبع ومَن فيهنَّ؛ كلهم عبيده وتحت تصرُّفه وقهره[(٨)]؛

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) في نسخة دغش: [والأرض].
(٥) في نسخة الشَّحري؛ ودغش؛ والقحطاني: [ومَن فيها].
(٦) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٨).
(٧) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (٣٧).
(٨) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (١٠).

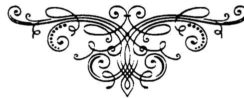
وهذا هو تحقيق توحيد الربوبية[١]، فهؤلاء المشركون مقرون مذعنون بتوحيد الربوبية، فهم يعرفون الله، ويفعلون أنواعًا من العبادات، فلم ينازعوا في توحيد الربوبية، وإنما نازعوا في توحيد العبادة، وجاءهم الخلل بجعل الوسائط شركاء مع الله في العبادة، زعمًا منهم أنهم أقرب منهم إلى الله وسيلة[٢]؛ فكان عندهم توحيد، وعندهم شرك، وكان توحيدهم في الربوبية، وشركهم في العبادة؛ لأنهم اتخذوا مع الله آلهة أخرى يعبدونها، لكنَّهم لم يتخذوا شيئًا من المخلوقات ربًّا خالقًا مدبرًا، وربما كان عندهم بعض شيء من الشرك في الربوبية[٣]، فالمشركون يُقرون بربوبية الله جَلَّوَعَلَا؛ يعني: أكثر أفراد الربوبية يُثبتها المشركون لله جَلَّجَلَالُهُ، فإذا سألت المشرك من العرب من أهل الجاهلية أو من غيرهم: مَن الذي يحيي؟ فسيقول: الله، مَن الذي يميت؟ فسيقول: الله، مَن الذي يدبر الأمر؟ فسيقول: الله، مَن الذي يرسل الغيث؟ فسيقول: الله، فإذًا هذه الأفعال على جهة الحقيقة إنما هي لله جَلَّوَعَلَا، والمشركون يعتقدون ذلك، ومع هذا الاعتقاد وكونهم يتصدقون ويدْعون ويتقربون إلى الله بأنواع من القربات، مع ذلك لم يكونوا مؤمنين ولا مسلمين؛ لأنهم عبدوا مع الله غيره، فمَن عبد مع الله غيره لم تنفعه صلاته ولا صيامه، ولم ينفعه إقراره لله بالربوبية[٤]؛ **فدلَّ ذلك على أمرين:**

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٥).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٤).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٥).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٧٤).

الأول: أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام، ولا يعصم الدم والمال، ولا يُنجي من عذاب الله.

والثاني: أن عبادة الله إذا دخلها شيءٌ من الشرك أفسدها، فلا تصح العبادة إلا مع الإخلاص(١).

والخلاصة: أنَّ المشركين الذين بُعث إليهم الرسول وقاتلهم كانوا يشهدون أنَّ الله هو الخالق، وأنه هو الرازق، وأن كل شيء يدخل تحت ملكه وتحت قهره، بما في ذلك أصنامهم، فالأصنام التي كانوا يعبدونها كانوا يقرون أنها ملكٌ لله؛ ولهذا كانوا يقولون في طوافهم: لبيك لا شريك لك. فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «قَدْ قَدْ»(٢)؛ أي: حسبكم، فهذا هو التوحيد، فلو وقفوا وقالوا: لبيك لا شريك لك، لكان هذا توحيدًا؛ ولهذا فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يقول: إنهم يعتقدون أن كل شيء تحت تدبيره تعالى وقهره، ولا شكَّ في هذا، فالمعبودات التي كانوا يعبدونها كانوا يعتقدون أنها ملك لله، وهي تحت قهره تعالى، فما كانوا يصنعون الصنم من أحجار، ثمَّ يقولون: هذا الصنم يدبر السماوات والأرض، وبيده ملكوت السماوات والأرض(٣).



(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٢٦).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها، برقم (١١٨٥).
(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [**فإذا أردتَ الدليلَ على أنَّ هؤلاءِ المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يشهدون بهذا**(١) **فاقرأ [قولَهُ تعالى]**(٢): ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [يونس:٣١]، **وقولَهُ تعالى**: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ [المؤمنون:٨٤]، **إلى قَوْلِهِ**: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]، **وغيرَ ذلك من الآياتِ [العظيمةِ الدَّالَّةِ على ذلك]**(٣)].

الشَّرْحُ

لما ذكر المصنف بيان أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية؛ ذكرَ هنا الدليل من القرآن على أنهم كانوا يقرون بذلك(٤)، فالمصنف ذكر هنا دليل ما قرَّر أن هؤلاء يقرون بتوحيد الربوبية، ولكنه أتى به على سبيل السؤال والجواب؛ ليكون هذا أمكن وأثبت وأتم في الاستدلال، فقال: (**فإذا أردت الدليل على أنَّ هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا**)(٥)؛ يعني: فإذا طلبت الدليل على أنَّ المشركين مقرون بهذا؛ يعني: بتوحيد الربوبية؛ وأنهم يشركون في توحيد الألوهية، وإذا أردت الدليل على هذه المسألة العظيمة التي يُعرف بها الحق من الباطل، فاقرأ هذه الآيات(٦)؛ ثم ذكر المصنف الأدلة

(١) في نسخة الشَّحري: [يشهدون لله هذه الشهادة].
(٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [عليه].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي.
(٤) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٨).
(٥) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٢٣).
(٦) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٢٦).

على أنَّ الله جَلَّوَعَلَا متوحدٌ في الربوبية عند المشركين؛ وأن الموحد لله في الربوبية لا ينفعه توحيده إلا إذا وحَّد الله في الإلهية، فإذا وحدت الله بأفعالك نفعكَ توحيدك لله جَلَّوَعَلَا بأفعاله[1]؛ وهذا مما احتج الله به تعالى عليهم، فاحتج عليهم بما أقروا به من ربوبيته على ما جحدوه من توحيد العبادة؛ فإنَّ توحيد الربوبية هو الأصل، وهو الدليل على توحيد الألوهية، فكونه جَلَّوَعَلَا هو الخالق وحده يقتضي أن يكون هو المعبود وحده، فإنه من أبعد شيء أن يكون المخلوق مساويًا للخالق أو مستحقًّا لما يستحقه الخالق، فلا يُسوَّى ولا يُجعل مَن لا شِركة له في شيء شريكًا لمَن هو مالك كل شيء، فإقرارهم بالربوبية ناقص، فلو كان حقيقة لعملوا بمقتضاه، وأفردوا الله بالعبادة[2]؛ والآيات كثيرةٌ في هذا، كلها تدلُّ على أنهم مقِرّون بأنَّ الله خالق الأرض، وخالق السماء، وخالق كل شيء، ولكنهم كفروا بطلبهم الشفاعة والقربة من الأنبياء والصالحين، والذبح لهم، والنذر لهم ونحو ذلك[3]؛ فقد روى **الإمام الطبري** عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] أنه قال: «من إيمانهم إذا قيل لهم: مَن خلق السماء، ومَن خلق الأرض، ومَن خلق الجبال، قالوا: الله، وهم مشركون»؛ وقال أيضًا: «عن قتادة قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾؛ يعني: في إيمانهم هذا، إنك لست تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أنَّ الله ربه، وهو الذي

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٧٨).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٦).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٠).

خلقه، ورزقه، وهو مشركٌ في عبادته»؛ وقال أيضًا: «أخبرنا ابن وهب، قال: قال: سمعت ابن زيد، يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾، قال: ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله، ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧]، قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال: فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبي، تقول: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك؟ المشركون كانوا يقولون هذا»[(١)]؛ وقال **الشنقيطي** في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وعامر الشعبي، وأكثر المفسرين: إن معنى هذه الآية أنَّ أكثر الناس وهم الكفار ما كانوا يؤمنون بالله بتوحيدهم له في ربوبيته إلا وهم مشركون به غيره في عبادته، فالمراد بإيمانهم: اعترافهم بأنه ربهم الذي هو خالقهم، ومدبر شئونهم، والمراد بشركهم: عبادتهم غيره معه، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة جدًّا»[(٢)]؛ ويقول الإمام **ابن تيمية**: «فالكفار المشركون مقرُّون أن الله خالق السماوات والأرض، وليس في جميع الكفار مَن جعل لله شريكًا مساويًا له في ذاته، وصفاته، وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط، لا من المجوس الثنوية، ولا من أهل التثليث، ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة، ولا من عباد الأنبياء والصالحين، ولا من عباد التماثيل والقبور، وغيرهم؛

(١) جامع البيان (١٣/ ٣٧٢، ٣٧٥).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٢١٨).

فإن جميع هؤلاء وإن كانوا كفارًا، مشركين، متنوعين في الشرك، فهم مقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شفعاء أو شركاء، أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب بعض الكائنات دونه، مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب، وخالق ذلك الخلق»[١].

والخلاصة: أنَّ الأدلة دلَّت على إقرار المشركين بهذا التوحيد، **ومنها:**

الأول: ما ذكره سبحانه وتعالى في كتابه الكريم من إقرار المشركين بكونه الخالق والرازق وأن المُلْكَ بيده، والكون تحت قهره وقدرته، وأنه المحيي المميت، وكونه يجير ولا يُجار عليه، إلى غير ذلك من صفات الربوبية، وأفعال الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والثاني: أن الله تعالى حجَّ المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وألزمهم بتوحيد الألوهية، فلو لم يكونوا مقرين به لما كان للاحتجاج معنى؛ فإن توحيد الربوبية هو الأصل الذي ينبني عليه توحيد العبادة؛ ولكانت مجرد دعوى.

والثالث: أن الله تعالى أقرَّ المشركين على هذا الاعتراف بربوبيته، ولو كان باطلًا لأكذبهم جَلَّ وَعَلَا، فلمَّا صدَّقهم دلَّ على صدق ما اعترفوا به.

والرابع: دلَّ على ثبوت إقرار المشركين بتوحيد الربوبية دلالة الفطرة التي فطروا عليها، فإنهم فطروا على الإقرار بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولذلك كان من ضرورة كل نفس الإيمان بوجود الخالق؛ لأن تلك هي الفطرة التي لا يستطيع أحد من

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥١).

البشر إنكارها بقلبه وإن أنكرها بلسانه(١).

ومن شبه المبطلين المعاصرين في هذا الباب:

الشبهة الأولى: استدلالهم بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، قالوا: (إن المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ لو كانوا مقرين بتوحيد الربوبية لما سبوا الله عَزَّوَجَلَّ، ولما نُهي النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والمؤمنون عن أن يسبوا آلهتهم خشية أن يسبوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟)؛ فتركوا المحكم من الكتاب واستدلوا بالمتشابه، **والجواب من وجهين:**

أحدهما: أنه ليس المراد بالآية أنهم يسبون الله مباشرة، بل المراد بالآية: أن يسبوا النبي ﷺ ويسبوا مَن أمرَه، فيرجع ذلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذا قال المشركون للنبي ﷺ، كما قال السدي: «لتنتهين عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم مَن أمرَك»؛ فما قالوا: ونشتم الله، وإنما قالوا: ونشتم مَن أمَرَك، ونظير هذا قول النبي ﷺ في لعن مَن سب والديه: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**»، قالوا: وكيف يلعن الرجل والديه؟ فقال: «**أن يسب الرجلُ أبا الرجلِ فيسب أباه، ويسب أمه**»، وهذا سبٌّ بالتسبب، ويدلُّ على هذا: أن الله تعالى قال في الآية الكريمة: ﴿عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ والسبُّ المباشر لا يُقال فيه: بلا علم، وإنما يسبون مَن أمره ومَن أوحى إليه وأنزل إليه القرآن، وهذا راجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) القواعد في توحيد العبادة، د. محمد بن عبد الله باجسير (١/ ٤٥٨-٤٦٣).

والآخر: أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر في الآية بعدها: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام:١٠٩]، وجَهْدُ اليمين: هو أبلغ اليمين؛ يعني: أبلغ اليمين وآكدها وأشدها عندهم الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ، فكان المشرك من كفار قريش إذا أراد أن يؤكد يمينه، فإنه يحلف بالله عَزَّوَجَلَّ، فثبت أنَّ هذه الآية حجَّة عليهم، وأنهم مقِرّون بالربوبية.

والشبهة الثانية: مما استدلوا به أيضًا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام:١٣٦]، قالوا: فهذا يدل أيضًا على أنهم لم يكونوا مقِرّين بالربوبية؟

وهذه الآية حجة عليهم، وشرحُ هذه الآية وتفسيرها: أنهم جعلوا لله مما خلقَ من الحرث؛ أي: من الثمار والزروع والأنعام نصيبًا؛ أي: حظًّا من أموالهم هذه، فهؤلاء المشركون يأكلون قسمًا من أموالهم من زروعهم وثمارهم ومن بهيمة الأنعام، ويجعلون شيئًا منه لله، والصدقة على الفقراء واليتامى؛ ويجعلون منه شيئًا لسدنة الأوثان، ويؤخذ منها ذبائح تذبح لهذه الأوثان، فما كان لله عَزَّوَجَلَّ فهو يصل إلى شركائهم؛ يعني: ما جعلوه لله عَزَّوَجَلَّ يأخذون منه شيئًا يذبحونه لأوثانهم، ويقولون: إن الله غنيٌّ، وهذه الآلهة فقيرة، وأما الذي يكون لشركائهم فلا يصل إلى الله؛ لأنهم يقولون: إن الله غني، وهذه الآية إنما تدل على إقرارهم بالربوبية، وأنهم أيضًا يعبدون الله

عَزَّوَجَلَّ، لكنهم يشركون مع الله غيره، فكانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره[١].

والشبهة الثالثة: أنهم يقولون: إنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أمر المشركين بالنظر في الآيات الكونية لأجل أن يوحدوا الله في الربوبية، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧] الآيات.

وهذا الدليل مقلوب عليهم، فإنَّ الأمرَ بالنظر في الآيات الكونية إنما كان لأجل إقامة الحجة عليهم؛ يعني: إذا كنتم تِقرون بأن الله خلق هذه الأشياء فكيف لا تقرون بلازم ذلك وهو توحيد الله بالعبادة.

والشبهة الرابعة: أنهم يقولون: إنَّ المشركين يعتقدون أن آلهتهم تملك التصرف والنفع والضر في هذا الكون، بدليل قول الله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر:٣٦]؛ يعني: المشركون يخوِّفون النبي ﷺ بآلهتهم أن تصيبه بالضرر إذا عاب هذه الآلهة وعاب عبادتها.

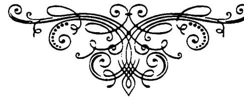
وهذا الاستدلال باطلٌ، فإنَّ أي عابد لا يعْبُدُ معبوده إلا وهو يتوقع من قِبَله نفعًا أو دفع ضر، وإلا ما عبده، ولكن هذا النفع والضر الذي يظنونه في آلهتهم إنما كان باعتبار التوسط والشفاعة عند الله لا باعتبار الملك والانفراد، فهم لم يكونوا يعتقدون في هذه الآلهة أنها تملك الضر أو النفع؛ لأنَّ لها التدبير والملك، وإنما يصل ما يزعمون أنه يصل من خلال شفاعتهم وتوسطهم عند الله جَلَّوَعَلَا[٢].

---

(١) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٦٢-٦٤).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

والخلاصة: أنَّ أهل السنة والجماعة عندما يقررون أنَّ مشركي العرب كانوا يقِرّون بتوحيد الربوبية، فمقصودهم: أنَّ إقرار المشركين إنما هو إقرارٌ أغلبي، وإقرارٌ في الجملة، فليس المقصود أنَّ هذا كان حال كل فرد من المشركين، وإنما النسبة أغلبية، والأمر الآخر: أنهم كانوا مقِرّين في الجملة؛ يعني: في الأصول الكبار المتعلقة بالربوبية، فما كان عندهم ترددٌ في انفراد الله جَلَّوَعَلَا بهذه الأصول؛ أي: في الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، فالمقصود أنَّ إقرارهم بالربوبية ليس على سبيل التحقيق والكمال، لكنهم في الجملة مقِرّون، وإلا فثمَّة خلل عندهم وثمَّة نقص عندهم في إقرارهم بالربوبية، ومنه اعتقادهم في الأنواء، وتعلُّقهم بالتمائم، والتطير، وغير ذلك[1].



(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [إذا تحقَّقتَ[١] أنهم مُقِرّونَ بهذا، وأنه لم يُدخلهم[٢] في التوحيد، الذي [دعت إليه الرسلُ، و][٣] دعاهم إليه رسولُ الله ﷺ[٤].

وعرفتَ أنَّ التوحيد الذي جحدوهُ؛ هو: توحيدُ العبادةِ، الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقادَ».

كما كانوا[٥] يدعونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليلًا ونهارًا: ثم منهم مَن يدعو الملائكةَ؛ لأجلِ صلاحهم، وقُربهم من الله عَزَّوَجَلَّ[٦]؛ ليشفعوا له[٧]، أو يدعو رجلًا صالحًا مثلَ: اللّات، أو نبيًّا مثلَ: عيسى.

وعرفتَ أنَّ رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادةِ لله [وحده][٨] [لا شريك له][٩]، كما قال تعالى[١٠]: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد:١٤].

---

(١) في نسخة القاسم: [فإذا تحققت].
(٢) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ولم يدخلهم].
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٤) في نسخة دغش؛ والقاسم: [الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ].
(٥) في نسخة القحطاني: [وكانوا].
(٦) في نسخة الشَّحري: [وقربهم إلى الله].
(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ليشفعوا لهم].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة العصيمي.
(١٠) في نسخة الشَّحري: [كما قال الله تعالى].

وتحقَّقت أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ [إنما][(١)] قاتلَهم ليكونَ [الدينُ كُلُّهُ لله، و][(٢)] الدعاءُ كُلُّهُ لله، والذبحُ كُلُّهُ لله، والنذرُ كُلُّهُ لله، والاستغاثةُ كُلُّها بالله، وجميعُ أنواعِ العبادة كُلُّها لله.

وعرفتَ أنَّ: إقرارهم بتوحيد الربوبيةِ، لم يُدخلهم في الإسلام، وأنَّ قصدَهُمُ الملائكةَ أو الأنبياءَ أو الأولياءَ[(٣)]؛ يُريدونَ شفاعتَهم، والتقرُّبَ إلى الله بذلك، هو الذي أحلَّ دماءَهم وأموالَهُم: عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ، الذي دعت إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرار به المشركونَ].

الشَّرْحُ

خلاصة هذا المقطع: بيان الأمر الذي أحلَّ دماء كفار قريش وأموالهم، وهو: الخلل في توحيد العبادة؛ وذلك بصرفهم أنواع العبادة لغير الله بقصد التقرب إلى الله بذلك[(٤)]، **وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الجملة مسائل، وهي:**

الأولى: التحقق من أنَّ المشركين الأولين يقِرّون بتوحيد الربوبية؛ وأنَّ إقرارهم به لم يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه الرسول ﷺ؛ لأنه لو كان إقرارهم بتوحيد الربوبية يدخلهم في التوحيد الذي دعا إليه لما دعاهم إلى التوحيد، فهم لم يكونوا موحّدين بهذا الإقرار، بل كانوا مشركين، ودليل ذلك الآيات المتقدِّم ذكرها.

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [وأنَّ قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء].

(٤) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١٦).

والثانية: معرفة أنَّ التوحيد الذي دعاهم إليه النبي ﷺ، وكانوا يجحدونه، وصاروا بجحده كفارًا حلال الدم والمال، هو: توحيد العبادة؛ فإذا علمنا أنَّ التوحيد الذي أقروا به هو توحيد الربوبية، فلا بد أن نعلم ما هو التوحيد الذي جحدوه، وقد بيَّنه المصنف بقوله: (**وعرفتَ أنَّ التوحيد الذي جحدوهُ؛ هو: توحيدُ العبادةِ**).

والثالثة: بيان أنَّ المشركين الأولين كانوا يدعون الله ليلًا ونهارًا، ولكن كانوا يدعون معه الصالحين، ليشفعوا لهم، ويزعمون أن هذه المعبودات تقربهم إلى الله زلفى، فتقربوا إلى الله بما يُبعدهم منه، وهذا أمرٌ ثانٍ من شأن المشركين، فكما أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية، فهم أيضًا يعبدون الله، فيدعونه، لكنهم يخلطونها بالشرك بحيث يعبدون الله ويعبدون غيره، وهذا لا ينفعهم شيئًا؛ لأن الشرك يبطل عبادتهم، فالعبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص.

والرابعة: أن النبي ﷺ قاتلهم بسبب هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده[1].

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر في هذه الجملة مقدماتٍ سبعًا، **رتَّب عليها نتيجة جليلة:**

فأولها: في قوله: (**إذا تحقَّقتَ أنهم مُقِرّونَ بهذا**)؛ يعني: إذا تحققت أنَّ

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٨)؛ وتعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٢٠، ٢٤)؛ وشرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٣١).

الذين بُعث فيهم النبي ﷺ مِقرّون بتوحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

وثانيها: في قوله: (**وأنه لم يُدخلهم في التوحيد، الذي دعت إليه الرسلُ، ودعاهم إليه رسولُ الله ﷺ**)، فإقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ومنهم نبينا ﷺ، وهو توحيد العبادة المتضمِّن إفراد الله بالعبادة، وأن القُرَبَ لا تكون إلا له؛ فإذا أقرَّ أحد بالربوبية ولم يقر بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ فإنه يصدق عليه أنه مشرك، فالعبد يجتمع فيه في وقت واحد شرك أكبر مع الإيمان، ودلَّ على هذا القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، وهذه الآية ينبغي أن تستوقفَ طالب العلم، وتفسيرها: أنَّ الله تعالى يخبر أنَّ عندهم شيئًا من الإيمان مع الشرك، ومن أحسن مَن تكلَّم في هذه الآية أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أطال النَّفَس في هذا الموضع إطالة بيِّنَة، ونقل عن ثمانية من المفسرين، مثل: ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ما يبين هذه الآية، وأنَّ الإيمان الذي أقروا به يتعلق بالربوبية، وأن الشرك الذي نسبته إليهم الآية هو في العبادة؛ لهذا قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية: إذا سُئِلوا مَن خلق السماء؟ مَن خلق الأرض؟ مَن خلق الجبال؟ قالوا: الله! وهم مشركون[1]، فمعنى الآية: وما يؤمن أكثرهم بالله بأنه هو المتفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة إلا وهم مشركون به في العبادة، فقد جمعوا إيمانًا وشركًا.

وثالثها: في قوله: (**وعرفتَ أنَّ التوحيد الذي جحدوهُ؛ هو: توحيدُ العبادةِ،**

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٨٦).

الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقاد»، كما كانوا يدعونَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **ليلًا ونهارًا)** لا سيَّما في الشدائد[١]؛ يعني: أن هؤلاء المشركين في عبادة الله كانوا يدعون الله تعالى إذا اضطروا إلى ذلك[٢]: **(ثم منهم مَن يدعو الملائكةَ؛ لأجلِ صلاحهم، وقُربهم من الله** عَزَّوَجَلَّ**؛ ليشفعوا له، أو يدعو رجلًا صالحًا مثلَ: اللَّات، أو نبيًّا مثلَ: عيسى)**، فالمقصود أنَّ الملائكة عُبدت من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والصالحون عُبدوا من دون الله، فلم تكن القضية عبادة شجر وحجر وصنم، كما يركز على هذا المشركون المعاصرون، وأن الشرك في التوجُّه لهذه الأشياء؛ أمَّا إنْ توجَّه إلى وليٍّ من الأولياء أو سيِّدٍ من السادة فالأمر مختلف، وسيتكلم المصنف عن هذا لاحقًا، والمقصود أن المصنف بيَّن هنا أن الشرك لا يتعلَّق بعبادة الجمادات فحسب، بل حتى إذا عُبدت الملائكة أو عبد الصالحون فالشرك حاصل[٣].

وقول المصنف: **(وعرفتَ أنَّ التوحيد الذي جحدوهُ؛ هو: توحيدُ العبادةِ، الذي يُسميهِ المشركونَ في زماننا «الاعتقاد»)**، لعلَّ هذا المصطلح (الاعتقاد) كان ذا دلالة عرفية في زمن المصنف، يُعَبِّر به مشركو زمانه عن تعلقهم ببعض المدعوين من المقبورين أو الأولياء[٤]؛ فالتوحيد الذي جحده المشركون الأولون هو التوحيد المتعلق بإفراد الله بأعمال الخلق من القُرب، وهو الذي يسميه متأخرو المشركين بـ (الاعتقاد)، فيذكرون أنَّ فلانًا مُعتَقَدٌ فيه، أو أنَّ

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٨).

(٢) شرح كشف الشبهات، لابن عثيمين (٢٥).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) البينات في شرح كشف الشبهات، أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي (٢٣).

للناس فيه اعتقادًا حسنًا، ومرادهم تعلُّق قلوبِهم بمَن يُتوقَّع فيه النفع والضُّرُّ، ويدعوهم هذا التعلق إلى أن يجعلوا لهم قربًا يتقرَّبون بها إليهم؛ فأشبهوا مشركي الجاهلية الأولى، الذين كانوا يدعون الله ليلًا ونهارًا، لكنَّهم كانوا يُشركون معه غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمتأخرو المشركين يدعون الله ثم يشركون معه في الدعاء، فالشرك الذي وقع فيه متأخرو هذه الأمة هو الشرك الذي كان فيه العرب الذين بُعث إليهم النبي ﷺ حذو القذة بالقذة، فصنيعهم في التوجه إلى المعظمين واحد، مع دعواهم أنَّ أولئك المعظمين لا يخلقُون ولا يملكون ولا يرزقون، ولكن لهم جاه يشفعون ويتوسطون به عند الله.

ورابعها: في قوله: (**وعرفتَ أنَّ رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادةِ لله وحده لا شريك له، كما قال تعالى:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، **وقال تعالى:** ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾)، فأولئك المشركون من أهل الجاهلية مع ما كانوا عليه من العبادة التي يزعمون أنها لله؛ لم يقبل النبي ﷺ هذا منهم، ولا انتفعوا بعبادتهم؛ بل كفَّرهم النبي ﷺ، وقاتلهم، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده بأن لا يُجعَل شيءٌ من القرب التي يُتقرَّب بها لغير الله تعالى؛ وذكر المصنف آيتين عظيمتين في تحقيق إخلاص العبادة لله، فالآية الأولى تضمَّنت النهي عن دعاء غير الله معه، حيث قال: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وأحدٌ نكرة في سياق النهي فتعُم كل أحد، حتى ولو كان نبيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو صنمًا، فكلُّ أحدٍ سوى الله جَلَّ وَعَلَا فإنه لا يجوز أن يُتقرَّب إليه وأن يُتعبَّد له، والآية الثانية: بيَّنت أنَّ الدعوة الحق إنما هي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل دعوة لغيره فإنها دعوة باطلة، فلا يَسْتَحقُّ أن

يُعبد ويدعى إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه الآية فيها التنبيه على ضلال الشرك بالله ووجوب عبادة الله وحده، وفيها بيان أن الشرك لا ينفع ولا يحقق مقصودًا، وإنما هو سفه وضلال.

وخامسها: في قوله: (**وتحقَّقت أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ إنما قاتلَهم ليكونَ الدينُ كُلُّهُ لله، والدعاءُ كُلُّهُ لله، والذبحُ كُلُّهُ لله، والنذرُ كُلُّهُ لله، والاستغاثةُ كُلُّها بالله، وجميعُ أنواعِ العبادة كُلُّها لله**)، فالنبي ﷺ إنما قاتلهم ليخلصوا دينهم لله جَلَّوَعَلَا، فلا يكون شيءٌ من عبادتهم لغيره، وتكون عبادتهم لله وحده، والمصنف مثَّل بالنذر والذبح والاستغاثة؛ لأن الشرك بالله في هذه الأشياء كان أكثر شيوعًا في زمنه، وإلا فإنَّ أصناف شرك المشركين وصرفهم العبادة لغير الله جَلَّوَعَلَا كثيرةٌ، ويجمعها قوله في آخر الكلام: (وجميع أنواع العبادة كلها لله).

وسادسها: في قوله: (**وعرفتَ أنَّ: إقرارهم بتوحيد الربوبيةِ، لم يُدخلهم في الإسلام**)؛ والفرق بين هذه المقدمة والمقدمة الثانية: أنَّ المنفيَّ دخولهم فيه في المقدمة الثانية عامٌّ، وهو دين الأنبياء جميعًا، والمنفيّ عنهم هنا خاصٌّ، وهو الدين الذي بُعث به محمد ﷺ، والخاص من أفراد العام، لكنه أُبرز اعتناءً به، فما هم عليه باطلٌ في دين الأنبياء جميعًا، وهو أعظم بطلانًا وأشد بهتانًا في دين محمد ﷺ؛ لما أقامه عليهم من الحجج العظيمة، والبينات الجليلة، في وجوب إفراد الله عَزَّوَجَلَّ بالتوحيد.

وسابعها: في قوله: (**وأنَّ قصدَهُمُ الملائكةَ أو الأنبياءَ أو الأولياءَ؛ يُريدونَ شفاعتَهم، والتقرُّبَ إلى الله بذلك، هو الذي أحلَّ دماءَهم وأموالَهُم**)، فكان

المانع لهم من دخولهم في دين الإسلام المُحِلّ دماءهم وأموالهم ما هم عليه من عبادة غير الله؛ إذ كانوا يقصدون الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يدعونهم من دون الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يعتقدون فيهم استقلالهم بالخلق والرزق والملك والتدبير، لكنهم اتخذوهم شفعاء عند الله ليقربوهم إليه.

ثم ذكر المصنف النتيجة المرتقبة من إدراك تلك المقدمات السبع، فقال: (**عرفتَ حينئذٍ التوحيدَ الذي دعت إليه الرسلُ، وأبى عن الإقرار به المشركونَ**)؛ أي: علمت التوحيد الذي جاء به الأنبياء يدعون إليه، وهو: إفراد الله بالعبادة، فلا يُجعَل شيءٌ منها لغيره، وهو الذي امتنع المشركون عن الإقرار به[1]، وكأن المصنف يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يمكن أن تفهم التوحيد إلا بمعرفة هذه الحقائق، وبها تعرف التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وهو مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله[2]، فالمصنف يريد مما تقدَّم أن يُقرر أمرًا، فقوله: (**وإذا تحققت أنهم مقرون...**)، (إذا) أداة شرط، والمعنى: إذا تحققت من كل ما سبق، وهذا شرط، ثم جاء جواب الشرط بعد ذلك كله، وهو قوله: (**عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون**)؛ فتبين من ذلك أنَّ التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد العبادة، ومع ذلك يزعم كثيرٌ من المتأخرين أنَّ

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (١٥-٢٠). ويُنظر: شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٢٣)؛ وشرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٠٣)؛ وشرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري؛ و(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٦٣).

التوحيد الذي دعت إليه الرسل، هو: الإقرار بأنَّ الله هو النافع الضار، وأنه الخالق، بل يزعمون أنَّ هذا هو معنى: (لا إله إلا الله)، وهذا من أفحش الغلط والجهل بأصل الدين الذي بعثَ الله به رسله[1]؛ فإذا تأملت ما مرَّ من قوله: (فإذا تحققت)، وما عُطف عليها؛ تبين لك التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وعرفت حقيقته؛ أنه توحيد الألوهية والعبادة، وبعبارة أخرى: فإذا عرفت إقرارهم بالربوبية هان عليك ما عليه المتأخرون، واتضح لك دين المرسلين من دين المشركين[2]، **فالمصنف قدَّم بمقدمات ثلاث أعقبها بنتيجة:**

أما المقدمة الأولى، فهي: أن تعرف حال المشركين، وحالهم هو: الإقرار بوجود الله، وأنهم يعبدونه، وأنهم يُشركون معه في العبادة، وأنهم يشركون معه في العبادة لأجل طلب الشفاعة والتقريب إلى الله؛ **والمقدمة الثانية:** أن النبي ﷺ إنما قاتلهم على توحيد العبادة لا على توحيد الربوبية؛ **والمقدمة الثالثة:** أن توحيد الربوبية الذي أقروا به ما نفعهم ولا جعلهم مسلمين، فإذا عرفت معرفة قلب ما تقدم خلصت إلى النتيجة من ذلك، وهو حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو توحيد العبادة، وإذا عرفت التوحيد الذي دعت إليه الأنبياء عرفتَ حينئذٍ حال وحكم القبوريين الذي يدَّعون الإسلام ويكررون صباح مساء شهادة: أن لا إله إلا الله، والواقع أنهم لم يفارقوا حال المشركين الأولين، بل ساروا على نهج أولئك حذو القذة بالقذة، وهذه هي النتيجة

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٩).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٣).

الأهم، وهذا الذي يريد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يوصلك إليه، فهو يريدك أن تصل إلى هذه النتيجة: هل القبوريون إذا عرفت كل ما سبق هم من أهل التوحيد أم من أهل الشرك؟[١].

فإذًا حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك لا بدَّ أن تتضح كمقدمة لكشف الشبهات، بِمَ صار المشركون مشركين؟ والجواب: من جهة الاعتقاد في الأرواح، وبِمَ صار الموحدون وأتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام موحدين ومسلمين؟ والجواب: من جهة تعلقهم واعتقادهم بالله وحده دون غيره، ونبذ التعلق بالمخلوقين والأموات والأوثان والأصنام، الذي حقيقته التعلق بالأرواح؛ فأعظم مسألة أنْ تعلم لِمَ صار المشركون به مشركين في دعوة كل نبي وكل رسول، فإذا علمت ذلك علمت حقيقة الشرك ما هو، فإذا علمت حقيقة الشرك، فأي شيء سُمي به ذلك الشرك فلا يغير الحقيقة؛ لأن الأشياء تُعرف بحقائقها وبمعانيها لا بألفاظها، والمشركون في الزمن المتأخر في القرون الماضية غيَّروا الأسماء، فسمَّوا الشرك في العبادة الاعتقاد، كما ذكر المصنف هنا قال: **(الذي يسميه المشركون في زماننا «الاعتقاد»)**؛ يعني: توحيد العبادة يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كقولهم: يُعتقد في الولي[٢]، أو يقولون: فلانٌ فيه عقيدة؛ يعني: يصلح أن يُعتقد فيه أنه ينفع؛ إذا ادَّعوا في شخصٍ الاعتقاد؛ يعني: الادعاء فيه الألوهية[٣].

فإذًا عندنا مقدمات يقينية ونتيجة متيقنة:

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٨١، ٨٣، ٨٥).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٣٨).

المقدمة اليقينية الأولى: أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء، وهذا بيقين من القرآن، ومن حال العرب.

والمقدمة الثانية: أنهم قصدوا الملائكة والأنبياء والأولياء وغير هذه الأشياء، يريدون التقرب إلى الله زلفى، ولا يريدون الطلب على جهة الاستقلال، وإنما أرادوا الطلب على جهة التوسط، كما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، فحصر العلة في عبادتهم لإنتاج المعلول وهو التقرب إلى الله زلفى؛ يعني: أنهم ما توجهوا لهم لذاتهم، ولكن لأجل أن يوصلوهم إلى الله جَلَّوَعَلَا، فهاتان المقدمتان يقينيتان.

والنتيجة أيضًا يقينية: وهي أنَّ دماءهم حلَّت وأموالهم حلَّت للنبي ﷺ ولأصحابه بإحلال الله جَلَّوَعَلَا ذلك لهم، وأنَّ سبب جعل هذه الأشياء حلالًا هو شركهم بالله جَلَّجَلَالُهُ.

ثم قال بعد ذلك: **(عرفت حينئذٍ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون)**، وهذه النتيجة؛ مَن دخلت إلى قلبه بالبراهين السابقة فقد أُوتي حظًّا عظيمًا؛ لأن الشبهة إذا تكسَّرت في البداية فما بعدها أهون.

وبهذه المقدمة يسهل الدخول إلى ما بعده في الكتاب، وأنَّ التوحيد هو أعظم المهمات وأعظم الواجبات وأول واجب وآخر واجب، وأنَّ مَن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فإنه حابطُ العمل ولو كان ما كان في عمله، فهذه إذا دخلت في القلب ولم يكن في القلب تردُّدٌ لأجلها، صار إبطال أيِّ شبهة احتجّ

بها المشركون راجعًا إلى هذا المحكم؛ ولهذا يقرِّر المصنف بعد ذلك أنَّ ما سبق من وصف حال المشركين، والمقدِّمات اليقينية والنتيجة اليقينية، أنَّ هذا محكم إذا احتجَّ أحد من المشركين بحديث أو بآية وأوَّلها على غير تأويلها، فلك أن ترجع إلى هذا المحكم وأن تترك ما اشتبه عليك علمه؛ لأنَّ هذا يقيني كما سيأتي في موضعه -إن شاء الله تعالى- فهذه المقدمة مهمة للغاية، وهي أساسٌ مُحكم يمكن أنْ تحتج به في أيِّ مقام على مَن عاند وأشرك بالله جَلَّوَعَلَا أو حسَّن الشرك أو لم يكفر بالطاغوت[1].

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بَيَّنَ في هذه المقدمة: أنَّ توحيد الربوبية لا يصير به الإنسان مسلمًا حتى يأتي بأنواع التوحيد الأخرى؛ فإقرار المشركين واعترافهم بتوحيد الربوبية، بل وإقرار البشرية عامة بهذا التوحيد لا يفيدهم شيئًا إذا لم يقترن به توحيد العبادة، **ومن الأدلة التي تدلُّ على ذلك:**

الأول: أنَّ إقرار المشركين بتوحيد الربوبية لا يدخلهم في الإسلام؛ لأن الإسلام هو: التوحيد وإفراده عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، فالذي أقرَّ لله بالربوبية ولم يأتِ بلازمه من توحيد العبادة لم يحقق الإسلام الذي سمَّى الله تعالى أهله مسلمين، ووعدهم بالحسنى.

والثاني: أنَّ توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون لم يقبله الله منهم، بل هو مردود عليهم، ولو كان إقرارهم هذا كافيًا عند الله تعالى لما أرسل الرسل وأنزل الكتب التي فيها الأمر بإفراده بالعبادة.

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٠٨، ١٠٩).

والثالث: أنَّ إقرار المشركين بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لم يعصم دماءهم ولم يُحرِّم أموالهم، بل أمرَ الله نبيه بقتالهم، فأوجب سفك دمائهم، وأحلَّ له أخذ أموالهم، وأباح سبي نسائهم، ولو كان اعترافهم وإيمانهم بربوبية الله تعالى نافعًا لهم لما أمر الله بقتالهم حتى يوحدوه ويفردوه بالعبادة؛ ولكان قتال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لهم، وسفكه لدمائهم، وسبيه لذراريهم ونسائهم، هو عين الظلم والجور.

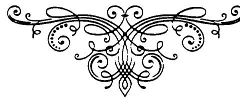
والرابع: أنه لو كان اعترافهم هذا نافعًا لهم عند الله تعالى لما حجَّهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به، وألزمهم بتوحيد الألوهية بسبب إقرارهم هذا، ولكنهم لما لم يأتوا بتوحيد العبادة صار إقرارهم هذا حجة عليهم(١).

والخلاصة مما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: أنَّ الشرك إنما وقع من العرب بأناسٍ صالحين؛ وأنَّ الشرك وقع بالآلهة لأجل طلب القربى والشفاعة فقط، لا لأنها معبودة استقلالًا، وإنما اتخذت وسائط بينهم وبين الله تعالى، لا لأنها مستقلةٌ بشيءٍ من الربوبية أو الألوهية، ولكنهم عبدوها تبعًا لا استقلالًا، فاتخذوها آلهةً مع الله تعالى، فهم كما سبق أصحاب دين، فعندهم دين بقايا من ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فدلَّ ذلك على أنهم يعرفون الله تعالى ويعرفون أنَّ الرب سبحانه معبود وأنه يُعبد، والشرك لم يقع عندهم في كونهم أفردوا غير الله بالعبادة، وإنما وقع الشرك في كونهم لم يفردوا الله تعالى بالعبادات، فعبدوا الله وعبدوا غيره، دعوا الله تعالى ودعوا الآلهة الأصنام، ذبحوا لله تعالى وذبحوا للأصنام، نذروا لله تعالى ونذروا للأصنام، فلم يفردوا العبادة

---

(١) القواعد في توحيد العبادة، د. محمد بن عبد الله باجسير (١/ ٤٤٢).

أو يفردوا الله تعالى بالعبادة، بل سَوَّوْا بين المعبودات وبين الرب جَلَّوَعَلَا، فهم يعرفون الله تعالى ويعظمونه ويعتقدون أن الرب سبحانه إله، ولكن جعلوا الآلهة متعددين، فهم يؤمنون بتعدد الآلهة ومنهم الله عَزَّوَجَلَّ؛ ولذا قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥]، فالخلاف بين الرسل وأقوامهم في إفراد الألوهية لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإلا فهم يقرون بأنَّ الله الذي في السماء إله، ويجعلون القبر إلهًا، والشجر إلهًا، والحجر إلهًا، فهم لم يكونوا يعبدون هذه المعبودات على أنها آلهةٌ مستقلة؛ إذًا المشركون لا ينفون الآلهة أو الإلهية عن الله تعالى، وإنما يُشركُون غيره به في هذه الصفة، فكانوا وصاروا مشركين بعبادة غير الله تعالى.



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **[وهذا التوحيدُ هو معنى قولِكَ: لا إله إلا الله؛ فإنَّ (الإله) عندهم هو: الذي يُقصَدُ لأجلِ هذه الأمورِ؛ سواءٌ كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جِنيًّا.**

لم يُريدوا أنَّ (الإله) هو الخالقُ الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحدهُ، كما قدَّمتُ لك، وإنما يعنون بـ(الإله) ما يعني [به][1] المشركونَ في زماننا بلفظِ (السيد)].

الشَّرْح

خلاصة هذا المقطع: بيان حقيقة معنى (الإله)، وبيان أنَّ الكفار الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ أعلم من المشركين المتأخرين بمعنى: (لا إله إلا الله)؛ ولذلك أنكروا قبولها بعد العلم بمعناها ومقتضاها؛ وأما المتأخرون فادَّعوها بأفواههم وكفروا بها بأفعالهم وأقوالهم[2]، فبيَّن المصنف هنا حقيقة مهمة، وهي: أنَّ مشركي العرب كانوا يدركون مدلولات الألفاظ، فكانوا يعرفون معنى (الإله) وأنه المعبود الذي يقصد لأجل كشف الضر، ويُتَقَرَّب إليه بالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، وغير ذلك من العبادات[3]، فهذا المقطع في تحقيق معنى: (لا إله إلا الله)، وأن ما تقدم من إخلاص العبادة هو تحقيق معنى لا إله إلا الله، وأن مَن قَصَد بشيءٍ من هذه العبادات غيرَ الله فقد أشرك مع الله غيره، ولو لم يعتقد أنه يخلق ويرزق ويدبر[4]؛ فبيَّن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) زيادة من نسخة العصيمي.

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١٧).

(٣) البينات في شرح كشف الشبهات، أ. د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي (٢٥).

(٤) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، عبد الله بن عبد الرحمن آل بسام (٩).

في هذه الجملة أنَّ توحيد العبادة الذي دعت إليه الرسل هو معنى: لا إله إلا الله[1]، فقال: (**وهذا التوحيدُ هو معنى قولِكَ: لا إله إلا الله**)؛ أي: أنَّ التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ هو معنى: (لا إله إلا الله)[2]، فلم يكتفِ المصنف بذكر التوحيد، بل صرَّح لك بكلمته، فقال: (**وهذا التوحيد**) هو مدلول هذه الكلمة: (**لا إله إلا الله**)؛ يعني: أنْ يكون الإله المعبود هو الله وحده دون كلِّ مَن سواه، فهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله) مطابقة، وهي التي وضعت له، واشتملت على ركنين: النفي والإثبات؛ نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وإثباتها لله وحده، ومعناها: لا معبود حقٌّ إلا الله وحده؛ (**فإنَّ الإله عندهم**)؛ أي: عند أهل اللسان من قريش وغيرهم، الذين بُعث فيهم النبي ﷺ وخاطبهم بقوله: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» (**هو الذي يقصد**)؛ يعني: يُقصد بالتقرب، بالدعاء والذبح والنذر، ويُقصد لطلب الحوائج، ونحو ذلك، (**لأجل هذه الأمور**)، وهي: طلب الشفاعة والتقريب إلى الله، فالإله عندهم الذي يقصد بهذه الأمور؛ أي: يقصد بالعبادة، ويتقرب إليه لأجل هذه الأمور: (**سواءٌ كان ملكًا، أو نبيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جِنيًّا**)، فهم (**لم يُريدوا أنَّ (الإله) هو الخالقُ الرازق المدبِّر**) كما يعتقده بعض أهل الكلام، وبعض أهل الفلسفة: حيث يفسِّرون الإله بالخالق؛ (**فإنهم يعلمون أنَّ ذلك لله وحدهُ، كما قدَّمتُ لك**)، ولو كان معنى الإله في كلمة التوحيد: الخالق، لأقرَّ بها المشركون، بدليل القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٣٠).

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]، ففي كل ذلك يجيبون بجواب واحد: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾؛ فدلَّ على أنَّ الإله هنا لو كان معناه الخالق لأقروا به، **(وإنما يعنون بـ(الإله) ما يعني به المشركونَ في زماننا بلفظِ (السيد))**، إذا قالوا: هذا سيد؛ يعني: إله، والمعنى: أنه يصلح لأن يوسَّط بين أحد من الخلق وبين الله، وأنَّ الاعتقاد فيه ينفع إذا تُشُبِّث به، وطُلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم، وأن المعتَقِدَ فيه ينفعُه ويُجيبه، وأنه يصلح للالتجاء إليه، فيتقربون إليه ليقربهم إلى الله؛ فالإله عندهم هو: المعبود، والْمُطاع الذي يُقصد بطلب الحوائج، والذي يُرجى منه الشفاعة، ويُقصد بالدعاء وتفريج الكربات، وما أشبه ذلك، هذا هو الإله، ويسميه بعض الناس: السيد، كما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في زمنه يسمونه «السيد»[١]، فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد بيان أنَّ المشركين لا يريدون بقول: (لا إله إلا الله)؛ أي: لا خالق ولا مدبر إلا الله[٢]، فهم لم يكونوا يقصدون بـ(الإله) أنه هو الذي يخلق أو يرزق أو يملك ويدبر، سواء كان نبيًّا أو ملكًا أو صالحًا أو جنيًّا، فلم يكونوا يعتقدون في معبوداتهم أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت، بل يجعلون ذلك لله وحدَهُ، وإنما يعنون بـ(الإله): الـمُتَوجَّه إليه في تحصيل النفع ودفع الضُّر، ويشابه هؤلاء في فعلهم متأخرو هذه الأمة من المشركين الذين يُطلقون على مَن يُعتقَد فيه ذلك اسم (السيد)، فإنهم يعنون باسم (السيد) ما كان يقصد به المتقدِّمون اسم (الإله)؛ فيدَّعون أنَّ فلانًا سيد، أو له السيادة من

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٣، ٤٤).
ويُنظر: شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري؛ وشرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٢٧٠).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٣١).

صالحي هذه الأمة؛ أي: له حظٌّ من توجُّه قلوبهم إليه؛ رجاءَ حصول نفعٍ أو دفع ضر(١)، وهذا كله من الأمور الباطلة، فالله سبحانه لم يرضَ أن يُجعل بينه وبين خلقه واسطة، فضلًا عن أن تُدعى وتُطلب ويصرف لها شيءٌ من حق الله جَلَّ وَعَلَا(٢).

وقد تنوَّعت أقوال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تعريف (الإله) فمنهم مَن قال: (الإله) اسم جنس يطلق على كل ما عُبد بحق أو باطل، لكن غلب استعمال هذا اللفظ فيمَن عُبد بحق؛ وعرَّفه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه: المعبود المطاع؛ وعرَّفه ابن القيم بأنه: الذي تألهه القلوب؛ يعني: تعبده وتحبه وتذل له، فـ(إله)، بمعنى: مألوه، ككتاب؛ بمعنى: مكتوب، وأشمل التعاريف لهذه الكلمة هو ما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بقوله: (**فإنَّ (الإله) عندهم هو: الذي يُقصَدُ لأجلِ هذه الأمورِ**)؛ أي: لأجل العبادة، فالإله اسم جنس لكل ما قُصد بشيءٍ من العبادة، فكل ما توجَّه إليه العبدُ بشيء من العبادة أو قصَدَه بصورة من صور التعبد فقد اتخذه إلهًا؛ ولذلك سمَّى النبي ﷺ طلب بعض الصحابة لما كانوا خارجين لغزوة حنين أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط، سمَّى ذلك اتخاذًا لهذه الشجرة إلهة، وهذا يدل على أن كل مَن قُصد بشيء من التعبد فإنه إله، ولو كان التعبد في قصد شيء من التعبد وليس في كل التعبدات، فمَن صرف مثلًا الدعاء لغير الله فسأل غير الله فإنه قد وقع في الشرك، ولو كان قد أخلص في الصلاة وفي الحج وفي الصيام وفي باقي العبادات، فصرفُ أيِّ نوع من أنواع العبادة يوقع الإنسان في الشرك الذي هو اتخاذ إلهٍ من دون الله، إذًا

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٢).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (٢٧).

فقول المصنف: (فإنَّ الإله هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور) يفيدنا أن الإله هو ما قُصد بشيء من العبادة[١]، وبعض المتكلمين أخطؤوا في هذا الباب، فالإله عندهم ليس مطلق المعبود، وإنما يقولون: الإله هو: المعبود الذي يُعتَقد فيه الكمال، وهذا غير صحيح، بل كلُّ مَن تَوجَّه بالعبادة إلى شيء من الأشياء فإنه يُعتبر إلهًا بالنسبة له، سواء اعتقده كاملًا أو اعتقده ناقصًا، وسواء اعتقده مالكًا أو اعتقده مملوكًا، فإن الأصنام التي كان يعبدها المشركون لم يكونوا يعتقدون فيها الكمال، فكانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، مع أنهم كانوا يعتقدون أنها آلهة، وكانوا يسمونها آلهة، فلما قال لهم النبي ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله**»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الصافات:٣٦]، وهم ما اعتقدوا فيها الكمال، فالمقصود أن الإله هو: المعبود، بدون إضافة أية قيود على هذا، وهذا لا تعرف العرب في لغتها غيره، فالإله هو المعبود، ونقل ابن جرير في تفسيره الإجماع على ذلك، فمتى ما عبَدَ العابدُ شيئًا فهو بالنسبة له إله[٢].

قال المصنف: (وإنما يعنون بـ(الإله) ما يعني به المشركونَ في زماننا بلفظِ (السيد))، ومعنى (السيد) في لغة العرب: المتصرِّف الذي يُدبر الأمر ويُرْجَع إليه تدبير ما يملك، فله السيادة في ملكه؛ لكن في العرف الذي عليه الناس في زمن المصنف وما قبله إلى وقتنا هذا أُطلق لفظ السيد على خلاف معناه في العربية، ويُراد بالسيد: الذي بيده التوسط، أو بيده الإعطاء والمنع، أو الذي

---

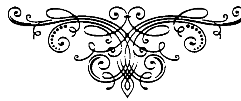
(١) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (١٦).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

فيه السر؛ ولهذا يقولون في الذين يقصدونهم لأجل العبادات والتوسط: قدَّس الله سر فلان؛ لأنهم يجعلون لروحه سرًّا، ويطلقون على هؤلاء لفظ السيد، فيقولون مثلًا: السيد البدوي، السيدة زينب، السيد الحسين، السيد العيدروس، السيد المرغني، السيد عبد القادر الجيلاني، وأشباه هذا، فيطلقون على الإله: لفظ السيد، والسيد في العربية خلاف السيد عند الناس في هذا الزمان وزمن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن المتقرر أنَّ العبرة بالحقائق لا بالألفاظ، فتغير الأسماء ومدلولاتها لا يغير الحقائق، فإنهم إذا سموا هؤلاء بالسيد وعنوا بالسيد الإله فإنهم يحاسبون على ما قصدوا لا على أصل اللفظ الذي لم يخطر لهم على بال أو لم يعنوه؛ فإذًا كلمة السيد عند المتأخرين يُراد منها الإله، فالسيد هو الذي يُقصد لأجل التوسط عند الله، بل زاد بعضهم وجعل لهؤلاء السادة نصيبًا في الملك من جهة التفويض، فيقولون: هناك أوتادٌ في الأرض أُعطوا بعض التصرف في الملك، وبعد الأوتاد هناك أقطابٌ لهم تصرف، هؤلاء يرجعون إليهم، والأقطاب ترجع إلى الغوث الأكبر في البلد، والأرض قسموها قسمة رباعية، وجعلوا لها أربعة أشخاص هم الملاذ والغوث الأعظم، ففي قسم البدوي، وفي قسم عبد القادر، وفي قسم فلان وفلان؛ يعني: أنهم زادوا على شرك العرب في أنْ جعلوا لهؤلاء تصرُّفًا في الملك، وهذا شركٌ في الربوبية مع كونه شركًا في الإلهية[1]؛ فالمشركون الأولون يعتقدون في أوثانهم وتماثيلهم أنها تحلُّ فيها أرواحٌ صالحة، وأنَّ تلك الأرواح تصعد إلى الله فتُبلغه حاجاتهم وتتوسط لهم عنده؛ وأما شرك المتأخرين من المنتسبين إلى الإسلام فهو ما

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١١٨).

يعتقدونه فيمَن يسمونهم السادة أو الأولياء وهو أنَّ فيه السر؛ أي: هو الذي يُقصد لأجل التوسط، وبيده الإعطاء والمنع، حتى إنَّ بعضهم يجعل لهؤلاء السادة نصيبًا في الملك من جهة التفويض؛ أي: من حيث إن الله تعالى جعل لهم شيئًا من التصرف في الملك، فجعلوهم شركاء لله في الربوبية مع شركهم في الإلهية[(١)]، فالأولون عرفوا التوحيد لله من جهة الربوبية، وأشركوا بالله في الألوهية، وهم يشركون في حال الرخاء، وأما في حال الشدائد فيخلصون لله الدين والعبادة؛ أما هؤلاء المتأخرون فشركهم دائم في الرخاء والشدة، ومع الصالحين ومع غيرهم، وبعضهم يشرك في الربوبية، وبعضهم يجعل معبوداتهم تشارك الله في تصريف الكون، فشرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين من جهتين: من جهة أن شركهم دائم في الرخاء والشدة، والأولون بخلاف ذلك، ومن جهة أن كثيرًا منهم شرَّكوا آلهتهم حتى في تدبير الأمور، وفي خلق الخلق، وفي رزق العالم، وهذا أقبح وأشد ضلالًا[(٢)].



(١) التعليقات على كشف الشبهات، عبد الله بن صالح القصير (٢١).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١١، ١٥).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: [**فأتاهمُ النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله، والمرادُ من هذه الكلمة: معناها؛ لا مجرَّد لفظِهَا، والكفارُ الجُهَّالُ يعلمون أنَّ مرادَ النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفرادُ الله تعالى بالتعلُّقِ، والكُفرُ بما يُعبَدُ من دونه والبراءةُ منه؛ فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله»، قالوا:** ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

فإذا[١] عرفتَ أن جُهَّالَ الكفارِ يعرفون ذلك؛ فالعجبُ ممَّن يدعي الإسلامَ، وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمةِ ما عرفَ[٢] جُهَّالُ الكفارِ، بل يظنُّ أن ذلك هو التلفظُ بحروفها، من غير اعتقادِ القلب لشيءٍ من المعاني، والحاذقُ منهم يظنُّ أن معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يدبِّرُ [الأمرَ][٣] إلا اللهُ [وحدَهُ][٤]، فلا خيرَ في رجُلٍ جهَّالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى[٥] لا إله إلا الله].

الشَّرْح

خلاصة هذا المقطع: بيانُ أحوال الناس في معنى (لا إله إلا الله)[٦]؛ فلما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الجملة السابقة التوحيد الذي هو معنى: لا إله إلا الله؛ ذكر بعد ذلك كيفية تحقيق لا إله إلا الله، **وقد تضمنت هذه الجملة أربع مسائل:**

---

(١) في نسخة دغش: [إذا].

(٢) في نسخة الشَّحري: [ما عرفه].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٥) في نسخة القحطاني: [بمعاني].

(٦) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١٩).

الأولى: بيان أنَّ الكلمة التي كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى تحقيقها هي: لا إله إلا الله.

والثانية: بيان أنَّ أولئك المشركين يعلمون أنَّ تحقيق هذه الكلمة لا يكون بمجرد التلفظ بها، بل لا بد من اعتقاد معناها.

والثالثة: بيان أنهم يعلمون أن معناها: لا معبود حقٌّ إلا الله؛ ولهذا لم يقولوها لأنهم يعتقدون أنَّ غير الله يستحقُّ العبادة.

والرابعة: بيان أن الذين يفعلون الشرك في زمان المصنف على صنفين في تحقيق هذه الكلمة[١]، فمنهم مَن يظن أنَّ المقصود بها هو التلفظ بحروفها دون معرفة معناها واعتقاده، ومنهم مَن يظن أن المراد بها توحيد الربوبية؛ أي: لا خالقَ إلا الله، ولا رازق إلا الله[٢].

فبيَّن المصنف أن أولئك الذين كانوا يعتقدون ما يعتقدون من مشركي العرب فيمَن يعظمونه بُعث إليهم النبي ﷺ، فقال: (**فأتاهمُ النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: لا إله إلا الله**)، وأراد منهم معناها بنفي جميع المعبودات، وإثبات العبادة لله وحده، ولم يكن مراده ﷺ من دعوتهم إلى قول: (لا إله إلا الله) أن يتلفظوا بها بألسنتهم؛ بل كان مراده أن يُصدقوا معناها باعتقادٍ جازم وعمل لازم، فيخلعون من قلوبهم عبادة غير الله[٣]، فالنبي ﷺ دعا المشركين إلى تحقيق معنى: لا إله إلا الله، التي هي كلمة التوحيد، ومعناها:

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٢٩).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٣٢).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٣).

لا معبودَ بحق إلا الله، والمراد من هذه الكلمة: معناها، والعمل بمقتضاها لا مجرد النطق بها دون عمل بمعناها ومقتضاها، فلا يكفي التلفظ بها دون علم بمعناها وعمل بمقتضاها[1]؛ ولذا قال المصنف: **(والمرادُ من هذه الكلمة: معناها؛ لا مجرَّد لفظِهَا)**؛ فإنه لا يكفي فيما أُريد بها، وإن كان لا بد من النطق بها عند إسلام العبد، لكن هي مقصودة لغيرها، وهو العمل بما دلَّت عليه، فلا يكفي اللفظ بدون المعنى، ولا يكفي المعنى بدون اللفظ، فالنبي ﷺ أتاهم بكلمة التوحيد، وطلبَ منهم هذه الكلمة، ولم يُرد أن يتلفظوا بها فقط، دون أن يعملوا بموجبها، فهذه الكلمة لها معنى يجب أن يُعتَقد مع التلفظ بها، تلفظٌ يصحبه معرفة للمعنى مع اعتقاده والتزامه والقبول به والانقياد له، ولو كان مجرد النطق بها كافيًا لكان المنافقون من أهل الإسلام وما كانوا في الدرك الأسفل من النار، فإنهم كانوا ممَّن يتلفظون بها ولم تنفعهم؛ لأن لا إله إلا الله كانت كلمة باللسان، لكن لم يصحبها عقيدةٌ قلبية تقتضي القبول والانقياد والكف عما يُناقض هذه الكلمة، إذًا ليس عبثًا أن تأتي الأوامر في الكتاب والسنة حاثَّةً ومبينة أنَّ الأمر متعلقٌ بالعلم قبل أي شيء، فليس عبثًا أن يأمرنا الله بالعلم بقوله: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود:١٤]؛ أي: فاعلموا أيضًا أن لا إله إلا الله، وليس عبثًا أن النبي ﷺ يُبين لنا أنَّ سبب دخول الجنة العلم بـ(لا إله إلا الله)، فيقول كما في صحيح مسلم: «**مَن مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلا الله؛ دخل الجنة**»، فهذا قيدٌ لا بدَّ منه في تحقق هذا الثواب، وهو دخول الجنة،

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٤٤، ٤٥).

فالجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مؤمنة، فلا يكون إيمان ولا إسلام إلا بعد أن تعلم «لا إله إلا الله»، وتعتقد هذا المعنى الذي دلَّت عليه(١).

قال المصنف: (**والكفارُ الجهالُ يعلمون أنَّ مرادَ النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: إفرادُ الله تعالى بالتعلُّقِ، والكُفرُ بما يُعبدُ من دونه، والبراءةُ منه**)، ومراد المصنِّف بقوله: (والكفارُ الجهال)؛ يعني: الدهماء والعامة؛ فهم مع جهلهم يعلمون المراد بهذه الكلمة(٢)، وهو ثلاثة أشياء: إفراد التعلق بالله؛ أي: تعلق القلب بالله جَلَّ وَعَلَا فلا يُدعى غيره؛ والكفر بكل معبود أو بكل عبادة إلا عبادة الله؛ والبراءة من كل معبود سوى الله أو البراءة من كل عبادة لغير الله جَلَّ وَعَلَا؛ أي: الكفر بجميع ما يُعْبَدُ من دون الله كهُبل ونحوه، وأن يتبرأ منه، وهذا فهم صحيح؛ ولذا ذكر المصنف دليل ذلك وبرهانه، فقال: (**فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله**) فرُّوا واستنكروا من إفراده بالعبادة، و(**قالوا:** ﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥])؛ أي: أجعل المعبودات معبودًا واحدًا، فدلَّ على أنهم عرفوا معناها، فاستغربوا أنَّ الإله واحد؛ لأن الذي جرت عليه عقيدتهم: تعدُّد الآلهة، فهذا إله وهذا إله؛ ولهذا يذبحون لهذا وينذرون للآخر، ويطلبون المدد من الثالث، وهكذا، فهم يعرفون معنى لا إله إلا الله؛ ولهذا قال المصنف: (**فإذا عرفتَ أن جُهَّالَ الكفارِ يعرفون ذلك**)؛ أي: يعرفون معنى: (لا إله إلا الله)؛ يعني: أنهم فهموا منها بطلان تعدُّد تلك الآلهة، وأنَّ الإله المستحق للعبادة هو واحد، فالألوهية إنما تثبت له وحده لا شريك له؛

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) البينات في شرح كشف الشبهات، أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي (٨٢).

(فالعجبُ ممن يدَّعي الإسلامَ، وهو لا يعرفُ من تفسير هذه الكلمةِ ما عرفَ جُهَّالُ الكفارِ) من قريش، فهذا من أعظم الجهل وأفحش الخطأ، فلا جهلَ فوق جهل مَن جهِلَ معنى هذه الكلمة التي هي أصل دين الإسلام وقاعدته وأساسه[(١)]، ومَن يدَّعي الإسلام اليوم لا يفهم أن معنى هذه الكلمة هو ترك عبادة القبور والأضرحة وإخلاص العبادة لله، **(بل يظنُّ أن ذلك هو التلفظُ بحروفها، من غير اعتقادِ القلب لشيءٍ من المعاني، والحاذقُ منهم يظنُّ أن معناها: لا يخلقُ ولا يرزقُ ولا يدبرُ الأمرَ إلا اللهُ وحدَهُ)**، فمَن يدعي الإسلامَ من متأخِّري هذه الأمة لا يعرف تفسير هذه الكلمة، **وقد ذكر المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **من هؤلاء طائفتين:**

الطائفة الأولى: مَن يظن أنَّ المقصود بها هو أن يقول المرء بلسانه: (لا إله إلا الله)، ويعتقد أنَّ مَن تلفَّظ بهذه الكلمة فإنه لا يكفر، فمَن نطق بها فهو مسلم[(٢)]؛ ولذلك صار يقولها وهو مقيم على شركه لا يأنف التناقض والجمع بين الضدين، فصار جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله، وصار هذا المدعي للإسلام يظن أن المراد بهذه الكلمة هو النطق بحروفها من غير اعتقادٍ لمعناها[(٣)].

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٥، ٤٨).
ويُنظر: شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (٢٨)؛ وشرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٢٢)؛ وأوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (١٩).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (١٩).

(٣) انظر: شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٤٨).

والطائفة الثانية: وهم مَن ينتسب إلى الحذق والمعرفة منهم، الزاعمون أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله، ويفسرون (الإله) بأنه: القادر على الاختراع، فيجعلون التوحيد الذي دعت إليه الرسل وطُولب به الخلق هو الإقرار بتوحيد الربوبية[1].

والمقصود أن كلمة (لا إله) هذه فيها العبودية، وهذا هو المتقرِّر في العربية وفي القرآن، كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٠]؛ يعني: أمعبود مع الله؟ لأنهم إنما جعلوا معبودًا مع الله ولم يجعلوا ربًّا مع الله جَلَّجَلَالُهُ، ومن ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس المشهورة في سورة الأعراف: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٣٧]، حيث قرأ: (ويذرك وإلهتك)؛ يعني: وعبادتك، ومنه أيضًا قول رؤبة في رجزه المعروف:

لله درّ الغانيات المُدّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي

يعني: من عبادتي، فالتألُّه: ألَه يأله إلـهةً وألوهة، هذا كله راجع إلى معنى التعبد والعبادة، فإذًا هذه المادة مادة العبادة، وليست مادة السيادة والتصرف في الأمر، وهذا هو المعروف عند العرب، والعرب لا تعرف منها إلا أنه عبد، إلى أن تُرجمت كتب اليونان، وصار هناك خلط بين ما جاءت به الشريعة وما في علوم اليونان، فالذين ترجموا هذه الكتب، قرأها مَن قرأها، وجعلوا القصد الأعظم أن ينظر المرء بهذا الملكوت ويثبت ربوبية الله جَلَّوَعَلَا؛ لهذا قالوا: المقصود الأول هو الربوبية، فإذا أثبت المرء بالنظر أنَّ الله جَلَّوَعَلَا هو

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٤).

الموجب لهذا الملكوت صار مقرًّا ومؤمنًا، فالمتكلمون حين تأثَّروا باليونان في مدارسهم في النظر وفي الفلسفة جعلوا معنى الإله راجعًا للربوبية؛ **ولذلك نجد تفاسير المتكلمين للإله على قولين:**

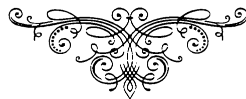
القول الأول: منهم مَن يقول: الإله هو القادر على الاختراع؛ يعني: الخالق.

القول الثاني: أنَّ الإله هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه.

وعلى كل قول منها يكون الإله مفسرًا بالربوبية؛ لأن القدرة على الخلق هذه ربوبية، والمستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه هذه أيضًا ربوبية، فهي من صفات الربوبية لا من صفات الألوهية، ولما حصل هذا في المسلمين وتُدوّل هذا القول، صار معلم الإيمان عند أولئك ألا يقر بوجود رَبَّيْنِ، ويعبِّرون عن ذلك ألا يقر بوجود إلهين؛ ولهذا في آية الأنبياء: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ [الأنبياء:٢٢]، يجعلون هذه الآية دليلًا على إثبات تفرُّد الله جَلَّوَعَلَا بالربوبية، فيقولون: هذه الآية هي دليل التمانع، ومعنى ذلك عندهم أنَّ وجود إلهين يقاضي أن يتصرَّف هذا في ملكوته؛ وأن يتصرَّف هذا في جزء من الملكوت، وهذا في جزء من الملكوت، ولا بد أن يحصل تمانع واضطراب؛ لأن هذا له إرادة وهذا له إرادة، وجعلوا الإله هنا هو الرب في نفسه؛ ولهذا جعلوها دليلًا على توحيد الربوبية الذي هو الغاية عندهم، فدخل هذا في المسلمين، ولما دخل وتوسع الناس في اتباع مذهب الأشاعرة والمعتزلة وطرق المتكلمين صارت الغاية عندهم هي توحيد الربوبية؛ فلهذا لم يصر أولئك عندهم مشركين، وهذه أعظم فتنة حصلت في الصَّدِّ عن لا إله إلا الله وتفسيرها بتوحيد الربوبية، وتفسير هذه الكلمة على هذا النحو ليست هي

كلمة لا إله إلا الله، إنما هي كلمة لا رب في الوجود إلا الله، والإله غير الرب، الألوهية مادة والربوبية مادة؛ ولهذا ساغ نعت اسم الله برب العالمين في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، ولو كانت الربوبية هي الألوهية أو كانت الألوهية هي الربوبية لكان نعتًا للشيء في نفسه، وهذا زيادة في الكلام ننزه عنها القرآن، والمقصود من ذلك: أنَّ معنى الإلهية عند المتكلمين ومَن نحا نحوهم هو الربوبية؛ ولهذا دعا المشركون وعلماء المشركين إلى التوسط بهؤلاء الأموات، وقالوا بأنَّ هذا لا يقدح في التوحيد؛ لأن التوحيد عندهم هو الربوبية، فالقاعدة التي بُنِيَ عليها استحسان الشرك والتساهل فيه هو الخلاف في تفسير كلمة التوحيد؛ وذلك لأنهم جعلوا كلمة التوحيد معناها القدرة على الاختراع، وأنه لا قادر على الاختراع وعلى الخلق إلا الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا يؤمن به أبو جهل وأبو لهب وكلُّ مَن قاتلهم النبي ﷺ؛ ولذلك كان من أعظم ما بيَّنه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العلم أنه صحَّح الفهم لمعنى الإله، والفرق بين الألوهية والربوبية، وأثار كلام السلف في هذه المسألة وكلام العلماء في أنَّ الإله غير الرب، وأن الرب يُطلق ويراد به السيد المتصرف[1].

قال المصنف: (فلا خيرَ في رجُلٍ جهَّالُ الكفارِ أعلمُ منه بمعنى لا إله إلا الله)؛ لأنه يتلفظ بكلمة التوحيد، ولا يدري معناها، ولا يعمل بمقتضاها[2].



(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١١٢-١١٧).
(٢) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٢٠).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[إذا عرفتَ ما قلتُ[١] لك معرفةَ قلبٍ، وعرفتَ الشركَ بالله، الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾** [النساء: ٤٨].

وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ[٢] به الرسلَ من أولِهم إلى آخرِهم، الذي لا يقبلُ [الله][٣] من أحد [دينًا][٤] سواه.

وعرفتَ ما أصبحَ غالبُ الناس فيه[٥] من الجهل بهذا؛ أفادك فائدتين:

الأولى: الفرحُ بفضل الله ورحمته[٦]، كما قال تعالى[٧]: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وأفادك أيضًا[٨] الخوفَ العظيمَ؛ فإنك إذا عرفت أنَّ الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجها من لسانه [دون قلبه][٩]، وقد يقولها وهو جاهلٌ، فلا يُعذرُ بالجهل.

وقد يقولها وهو يظنُّ أنها تقربهُ إلى الله تعالى [زلفى][١٠] كما ظنَّ[١١] الكفار.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [ما ذكرتُ].

(٢) في نسخة الشَّحري: [أرسلَ].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [عليه].

(٦) في نسخة القاسم: [وبرحمته].

(٧) في نسخة الشَّحري: [قال الله تعالى].

(٨) في نسخة دغش: [والثانية: أفادك أيضًا].

(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري. وفي نسخة دغش: [مازحًا].

(١٠) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(١١) في نسخة الشَّحري: [كما كان ظَنَّ].

خصوصًا إنْ ألهمكَ اللهُ ما قصَّ عن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؛ فحينئذٍ يعظُمُ خوفك وحرصكَ[(١)] على ما يخلصكَ[(٢)] من هذا وأمثالِهِ].

الشَّرْحُ

بعد أنْ ذكر المصنف أصولًا ومحكمات في فهم التوحيد وفهم الشرك، وما كان عليه أهل الجاهلية من الإشراك بالله جَلَّ وَعَلَا، وصِفةُ ذلك الشرك وما يتصل بذلك؛ **ذكرَ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مقدمات أربعًا أخرى، رتَّب عليها نتيجة جليلة ثانيةً، وهي قوله بعد ذلك: (أفادك فائدتين):**

المقدمة الأولى: في قوله: **(إذا عرفتَ ما قلتُ لك معرفةَ قلبٍ)**، والمعرفة في هذا الموضع هي العلم؛ يعني: إذا علمت ما ذكرت لك علم قلب، فهذا المقصود به علم القلب؛ لأن المعرفة معرفة اللسان أو معرفة الظاهر قد لا تقود للإذعان للحق، لكن معرفة القلب معها الاستسلام لذلك الحق[(٣)]، فلا بد من معرفة ذلك معرفة حقيقية واصلة إلى سويداء القلب، ليست مجرد دعوى باللسان؛ فإن مجرد دعوى اللسان من غير معرفة القلب ليست معرفة[(٤)]، فليست معرفة سطحية على اللسان، وإنما معرفة متمكِّنة في القلب[(٥)]، فلا بدَّ أن تفهمها فهمًا جيِّدًا، وأن تستقرَّ معاني الكلمات السابقة في قلبك، وأن تكون

(١) في نسخة الشَّحري: [يعظم حرصُكَ، وخوفُكَ].

(٢) في نسخة القحطاني: [يعظم خوفه، وحرصه على ما يخلصه].

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٢٦).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٩).

(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٢٤).

مستيقنًا بها، وهذه المقدمة الأولى[١].

وقول المصنِّف: (فإذا عرفت ما قلت لك)؛ أي: إذا عرفت ما قلت لك مما تقدَّم من حال المشركين الأولين، وأنهم يعرفون أن الله هو الخالق الرازق، وأنهم إنما عبدوا الأصنام والملائكة والأنبياء ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم إليهم زلفى، وأنهم ما عبدوهم على أنهم يخلقون أو يرزقون، ومع ذلك قاتلهم النبي ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم[٢].

وقيل: المراد إذا عرفت معنى لا إله إلا الله الحقيقي، وأن معناها: لا معبودَ حق إلا الله[٣]؛ أي: إذا عرفت ما قلت لك ممَّا تقدَّم من معنى لا إله إلا الله، وأنها تبطل وتنفي جميع ما يعبد من دون الله، وأنها تثبت العبادة لله وحده لا شريكَ له[٤]، وأن كثيرًا من المسلمين يتلفَّظ بهذه الكلمة من غير فقه بمعناها، وقد تأتي هذه الكلمة التي هي أعلى وأفضل شعب الدين على اللسان هكذا من غير بصيرة، ولا وعي بما يقول، فليس المقصود مجرد التلفظ بها، بل المقصود معناها، والمشركون الضُلَّال الجُهَّال يُدركون معناها ويفهمونها؛ فلذا امتنعوا أن يقولوها، ونفَّروا من ذلك، مع جهل كثير من المسلمين بهذا[٥].

وقيل: المراد إذا عرفت معرفة قلب ما ذكرت لك من الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وأنَّ المشركين أقروا بالأول وجحدوا الثاني فلم

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢١).

(٣) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٣٢).

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (٣٤).

(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٢٤).

يدخلهم في الإسلام[١].

وقيل: المراد إذا عرفت ما تقدم، وهو أن النبي ﷺ بُعث في قوم يُقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت، ويدْعون الله ويعبدونه، إلا أنهم يدعون معه غيره، وقد علم هؤلاء المشركون أن النبي ﷺ أراد منهم أن يقولوا: (لا إله إلا الله)؛ فيبطلوا تعلّقهم بغير الله، فلا يكون من عبادتهم شيءٌ لغيره[٢].

والمقدمة الثانية: في قوله: **(وعرفتَ الشركَ بالله، الذي قال الله فيه:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨])؛ أي: الشرك في العبادة لا الشرك الذي هو اعتقاد أنَّ أحدًا يخلق ويرزق[٣]؛ يعني: عرفت أنَّ شركهم الأعظم وشرَّهم الأكبر هو الشرك في العبادة[٤]، وهذا من عطف العام على الخاص، وإلا فما تقدَّم وافٍ في بيان حقيقة دين المرسلين وحقيقة دين المشركين، وقد قدَّم لك المصنف ما يُعرفك به فيما قرَّره من معرفة التوحيد؛ فإنَّ بالتوحيد يتبين ضده وهو الشرك[٥]، فالمقصود من معرفة الشرك: هو تحقيق معرفة التوحيد؛ فإنَّ العبد لا يتمكن من تحقيق توحيده إلا أن يكون عالمًا بالشرك ليحذره، ومعرفة الشرك التي ذكرها المصنف لا يُراد منها معرفة تفاصيل حوادثه ووقائعه، فإنها لا تتناهى في الخلق، لكن المراد معرفة أصوله

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٤٨).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٧).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٥٠).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٧).
(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٩).

وقواعده التي متى كملت معرفة العبد بها ميَّز التوحيد من الشرك[١]، فالمراد معرفته من حيث دلالته وصفته وحكمه، وما كان عليه المشركون في إشراكهم بالله جَلَّ وَعَلَا[٢].

والمقدمة الثالثة: في قوله: (**وعرفتَ دينَ الله الذي بَعَثَ به الرسلَ من أولهِم إلى آخرِهم، الذي لا يقبلُ الله من أحد دينًا سواه**)؛ يعني: الذي هو التوحيد، أي: عرفت الدين الذي بعث الله به رسله ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وهو دين الإسلام، وحقيقته: الاستسلام لله بالتوحيد[٣]، فالدين هنا المراد به دين الإسلام العام الذي يشترك في الدعوة إليه كل رسول، وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله[٤].

وقد تقدَّم هذان الأمران مُقرَّرين في صدر هذا الكتاب: دين المرسلين، ودين المشركين.

والمقدمة الرابعة: في قوله: (**وعرفتَ ما أصبحَ غالبُ الناس فيه من الجهل بهذا**)؛ أي: من الجهل بالتوحيد، والجهل بالشرك، فإنَّ أكثرهم ما عرَف دين الله الذي بعث به الرسل؛ بل أكثر أهل البسيطة ما عرفوا الفرق بين هذا وهذا، بل عادَوا أهلَ التوحيد وعابوهم وحاربوهم، واتبعوا دين المشركين، وكلُّه بسبب عدم الفرق بين هذا وهذا[٥]، ولا شك أنَّ هذا الشيء الذي قدَّمه

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٢٨).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٨).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٣٣).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٤٩).

المصنف كما عرفنا غريبٌ في الناس، قليل منهم مَن أحاط به علمًا، واستقر في فؤاده واقتنع به، وإلا فكثيرٌ من الناس، وربما كان موصوفًا بالعلم، أو ممن يُشار إليه بالولاية، تجده جاهلًا بأساس الملة وأصل الدين، فهذه المعرفة مع وضوحها وجلائها في الكتاب والسنة إلا أن القليل هم الذين اعتنوا بها[(١)].

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ النتيجة المرتقبة من إدراك المعارف السابقة المنتظمة في المقدمات الأربع، **فبين أنك إذا عرفت هذه الأمور الأربعة معرفة قلب: (أفادك فائدتين) عظيمتين، وهما:**

(الأولى: الفرحُ بفضل الله ورحمته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨])؛ إذ جعلَ الله لك من البصيرة والهداية ما تميز به بين التوحيد والشرك، والحق والباطل[(٢)]، فتفرح بمعرفتك دين المرسلين واعتقاده والعمل به، ومعرفتك دين المشركين ومجانبته والكفر به، وكونُ الله علَّمك دين المرسلين ودلَّك سبيلهم وعرَّفك طريقهم، وتَعْظُم النعمة إذا عرفتَ أنَّ الأكثر صاروا من أهل الجهل به؛ فإنَّ النعمة تزداد إذا كانت مختصة بالقليل دون الكثير، فلو كان الناس كلهم اهتدوا لها وكنت من عرضهم، لكان ذلك نعمة كبرى، فكيف وقد ضلَّ عنها أكثر الناس[(٣)]؛ فإنه لا شيء يعدل العلم بالتوحيد، والعلم بضده، فإنَّ العلم بذلك هو أصل الاعتقاد، والعمل بذلك هو أصل الملة، فهو أصل بعثة الأنبياء والرسل،

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٨).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٠).

وزبدة الرسالات الإلهية، وهذا الفرح بالدين وبالتوحيد وبتعلمه وبالإقبال عليه، خير من كل ما يغشاه الناس من أمور الدنيا، ومن الأمور التي يظنون أنها فاضلة لأمور الدين، كالاهتمام بالعلوم المختلفة أو الاهتمام بأشياء متنوعة، والحق أننا إذا تدبَّرنا ذلك فإننا نرى أنه لا شيء لنا، وإنما هو فضل الله جَلَّ وَعَلَا، فالله ساق لنا هذا الفضل، ويسَّر ذلك بفضله ورحمته، فنفرح بفضل الله ورحمته[(١)]، وهذا الفرح يلزم منه الشكر، فبالشكر تدوم النعم، ومِن شُكرِ الله على نعمة التوحيد: الدعوة إليه، ونشره بين الناس، ولو شكرنا الله ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا على هذه النعمة لما وفينا حقَّ شكره[(٢)]، وكلما كُنت محبًّا للتوحيد كان فرحك به أكثر، فإنَّ الفرح الذي يعرفه الناس حقيقته الظفرُ بالمحبوب، فبقدر محبتك لهذا المحبوب فإنه يعظم فرحك بحصوله، فكلما كنت محبًّا معظمًا لهذه النعمة، فإنَّ فرحك بهذا التوحيد الذي وفَّقك الله إليه لا شك أنه سيكون فرحًا عظيمًا[(٣)].

(**وأفادك أيضًا: الخوفَ العظيمَ**)، وهذه هي **الفائدة الثانية**؛ فيفيدك مع ما تقدم من الفرح الخوف العظيم على نفسك ودينك؛ يعني: من الوقوع في شَرَك الشرك؛ لأن العبد إذا عرف ذلك عظُم خوفه أن يقع في الشرك وهو لا يدري، فتفرح بالدين والعمل به، وتخاف على نفسك من زوال هذه النعمة وذهاب هذا النور؛ وهي معرفتك دين المرسلين واتّبَاعه، ومعرفتك دين المشركين

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٣٩).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

واجتنابه، مع أنَّ أكثر الناس في غاية الجهل به[١]، فيفرح بفضل الله ورحمته حيث عرَّفه التوحيد، ولم يجعله من المشركين، ولا بد أن يصاحب هذه المعرفة الخوف من الشرك، وهذا من تمام المعرفة بالتوحيد؛ لأن الإنسان قد يقع في الشرك وهو لا يدري، والخوف من الشرك مع معرفة التوحيد هو طريق المرسلين[٢]؛ فإنَّ هذه النعمة لا ضمان لبقائها، وهذا يوجب الخوف العظيم[٣]؛ **ولذا ذكر المصنف أنَّ مما يقوي الخوف من الشرك أمور:**

الأول: قوله: **(أنَّ الإنسانَ يكفرُ بكلمةٍ يُخرجها من لسانه دون قلبه)**، فالإنسان قد يكفر بكلمة واحدة، فقد يقول الإنسان كلمة من الكفر تُحبط عمله كله[٤]، سواء كان معتقدًا لما دلت عليه، أو كان قوله لهذه الكلمة من الكفر بالله الناتج عن الإعراض عن دين الله، وهو متمكن من معرفته[٥]؛ والدليل على أنَّ الإنسان قد يكفر بالكلمة قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:٧٤]، فالإنسان قد يكفر بالكلمة، فكما أنه قد يكفر بالاعتقاد فقد يكفر بالكلمة، وقد يكفر بالفعل، والكفر بالكلمة أو بالفعل إذا كان له عذرٌ كالإكراه فيمكن أن يُعذر؛ لأنه يُتصور الإكراه بالفعل وبالقول، أما بالاعتقاد فلا يتصور الإكراه أبدًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥١)؛ وشرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٨).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٢٠).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٥٣).

(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٤٢).

أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦]؛ ويمكن أن يُتصور أن يقول كلمة فيكفر بها، فيُعذر إذا كان مخطئًا؛ أي: أراد كلمة فسبق على لسانه سواها؛ كما في حديث الذي قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي، وَأَنَا رَبُّكَ**»[١]، فالكلمة كفر بلا شك؛ لأنه يقول: إن الله عبدي، وإني رب الله! لكن قال النبي ﷺ مبينًا السبب: «**أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**»[٢].

والثاني: قوله: (**وقد يقولها وهو جاهلٌ، فلا يُعذرُ بالجهل**)؛ فالإنسان قد يقول تلك الكلمة ولا يدري ما تبلغ به من المبلغ[٣]؛ فلا يعذر بالجهل، وهذا الكلام من المصنف يحمل على مَن سبَّ الله تعالى أو سبَّ رسوله ﷺ؛ أو على الذي فرَّط وقصَّر في التعلم، فإنه لا يُعذر بجهله[٤]؛ لأنه أعرض مع تمكنه من المعرفة، فجهله ليس بسبب خفاء الحق أو بسبب عدم وجود مَن ينبهه، وإنما جهله بها لأجل الإعراض، فالجهل الذي سببه الإعراض مع وجود مَن ينبه هذا لا يعذر به العبد؛ وأما الجهل الذي يكون لأجل عدم وجود مَن ينبه فإنه يعذر به حكمًا في الآخرة حتى يأتي مَن يقيم عليه الحجة، ولا يعذر به في أحكام الدنيا[٥]؛ وقيل: إن كلام المصنف محمولٌ على مَن يقولها جاهلًا بدرجة الحكم عليها؛ لأنَّ بعض الناس يقول الكلمة وهو يعلم أنها محرمة، لكن يقول: أنا لا أدري أنها كفر، فلا يعذر[٦]؛ أو أن مراده: أن الجهل لا يكون

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم (٢٧٤٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥١).

(٤) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٢٣).

(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٤٣).

(٦) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٢٧). فالإنسان قد يكفر بكلمة، كما=

عذرًا يمنع من التغليظ والإنكار عليهم، كما في حديث ذات أنواط، حيث غضب النبي ﷺ، وأنكر ولكن لم يكفرهم[١].

ومسألة (العذر بالجهل) بهذا اللفظ لم تكن معروفة عند المتقدِّمين، ولا عند أئمة الدعوة، ولم يكن في منهج أئمة الدعوة، وإنما كان عندهم أصلٌ شرعي آخر، وهو: هل بلغته الحجة أو لم تبلغه الحجة؟ وما هي الحجة المناسبة وغير المناسبة؟[٢]، والمقصود أنَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يريد بهذه الجملة أن يُقرر مسألة هل الجهل عذر أو ليس بعذر؟ فليس هذا محل بحث هاهنا كما ظنه بعضهم، فالمقام ليس مقام تقرير لهذه المسألة؛ ولذا هو يقول: (قد)، فقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل؛ لأن الجهل ليس عذرًا مطلقًا؛ بمعنى: أن الجهل قد يكون جهلًا يُعذر به، وقد يكون جهلًا لا يُعذر به، وذلك

= قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ [التوبة:٧٤]، فلما قال بعض ضعفاء الإيمان: ما رأينا مثل قرائنا، يقصدون النبي والصحابة: أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء؛ أنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فكفَّرهم الله بهذه الكلمة مع أنهم لما قالوها ما اعتقدوا أنها تكفر، فهم يعلمون أنها حرام لكن ما ظنوا أنها تبلغ الكفر وقالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٧٥]، فكفَّرهم الله مع أنهم قالوا هذه الكلمة وهم جاهلون أنها تُكفرهم، وهذا معنى قول المصنف: (قد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بجهله)؛ يعني: قد يقول الإنسان كلمة الكفر وهو جاهلٌ؛ لأنه لا يعرف أنها تبلغ به الكفر، فهذا لا يعذر بجهله، كما أن هؤلاء قالوها بقصد اللعب، ما ظنوا أنها تخرجهم من الإسلام، ومع ذلك ما عذرهم الله طالما علموا أنه محرم. يُنظر: الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (٣٧٦).

(٢) الدعاوى المعاصرة المناوئة لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. عبد المجيد الوعلان (٣٧٥).

باختلاف الحال وباختلاف المسائل، إذًا قد يتكلم الإنسان بكلمة وهو جاهلٌ فيكفر، وهذا الجهل ليس عذرًا له، كأن يكون مُعرضًا عن طلب الحق مع التمكن منه؛ ولذا كثيرٌ من الكفار هم جُهال، ولكنَّ جهلهم ليس بعذر؛ لأنهم معرضون عن طلب الحق مع التمكن منه؛ ولذا بيَّن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حال كثير من الناس بقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤]، فذكر أنهم لا يعلمون الحق، إذًا هم جُهال، ومع ذلك محكومٌ عليهم بالكفر؛ لأنهم معرضون عن طلب الحق[1]، فكلام المصنف في عدم العذر بالجهل لمَن كان منه تفريطٌ بترك التعلم، مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل[2]، فعدم العذر بالجهل في حق مَن كان بين المسلمين، وبلَغَه الكتاب والسنة، فإنه لا يعذر، فالأصل أنه لا يعذر مَن كان بين المسلمين، وبلَغه القرآن والسنة؛ لأنه إنما أوتي من تساهله وعدم مبالاته، فهو إنسان مفرط يستطيع التعلم ولم يبالِ[3]، فعدمُ العذر هذا بالنسبة لشخصٍ يعيش بين المسلمين، يسمع النصوص والأدلة، فيُعْرِضُ عن تعلم دين الله وشرعه، ولا يرفع بذلك رأسًا، فمثل هذا لا يُعذر[4].

والثالث: قوله: (**وقد يقولها وهو يظنُّ أنها تقرِّبهُ إلى الله تعالى زلفى كما ظنَّ الكفار**)؛ يعني: أنهم في جنس شركهم وتوسلهم إلى غير الله، قصدُهم أنهم

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٣٥).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٢٦، ٢٧).

(٤) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (٤٢).

يقربونهم إلى الله زلفى[١]، فكان الكفار يقولون في تلبيتهم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك؛ إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك)، فيتقربون بهذه الكلمة وهي تتضمن من الشرك ما تتضمَّن[٢]، فهم في زعمهم يُعظمون الله ويطلبون مرضاته، والواقع أنهم ما قدروا الله حق قدره، حيث جعلوا له هؤلاء الأنداد، وهم يقولون: نحن أقلُّ وأحقرُ من أن نعبدَ الله مباشرة، نحن متلطخون بالذنوب، وقدْرُ الله أعظم من ذلك فلا نعبده مباشرة، وإنما نعبدُ مَن يرفع أمورنا وحاجاتنا إليه، فإذا كان كذلك فإنه يرضى عنا، ولأجل ذلك فإنه يُعطينا ويمنحنا، وهذا لا شك أنه من الضلال المبين، وسيأتي الرد عليه لاحقًا في كلام المصنف[٣].

ثم ذكر المصنِّف واقعة من الوقائع تُثمر الخوف في القلوب من الوقوع في الشرك، فقال: (**خصوصًا إنْ ألهمكَ اللهُ ما قصَّ عن قوم موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨])، وإذا كان هذا واقعًا في أولئك المنسوبين إلى العلم والصلاح، المتبعين لرسولٍ هو بين أظهرهم؛ فإنَّ الخوف من الشرك يعظمُ في قلوب مَن عرَف الله وعرَف حقَّه، ويشتدّ ذلك في الأزمنة التي ذهبت فيها كثيرٌ من معالم النبوة، وانطمست عامة أعلام الرسالة، وزال العلم ونُسي في كثير من بلاد المسلمين[٤].

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥١).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٠).
(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٧-٣٠).

قال المصنف: (فحينئذٍ يعظُمُ خوفك وحرصكَ على ما يخلصكَ من هذا وأمثالِهِ)[١]؛ يعني: فإذا عرفت أنَّ الرجل يكفر بكلمة...؛ فيفيدك هذا الخوف، ويفيدك أمرًا آخر مرتبطًا بهاتين النعمتين، وهو: أن تحرص على الأسباب التي تُثبتك، وأن تتجنب الأسباب التي يمكن أن تزيغك، فإذا كنت تفرح بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ فاحرص على ما يثبتك على هذه النعمة، وإذا كنت تخاف عليها؛ فاحرص على تجنب ما قد يزيغك عنها[٢]؛ ومن أسباب الخلوص من هذا الداء العضال: التفتيشُ عن مبادئه ووسائله وذرائعه؛ خشية أن تقع فيه وأنت لا تشعر، ومن أسباب التخلص منه أيضًا: صدقُ الابتهال إلى الله وسؤاله التثبيت[٣].

وهذا المقطع من كلام المصنف فيه تهيئةُ نفس الموحد لكشف الشبهات التي يأتي بيانها، فإذا جاءت الشبهة صار عنده خوفٌ من ضد التوحيد، وفرحٌ لما هو عليه من التوحيد، وهذا يجعله في قوة وتحصن وأمان بفضل الله وبرحمته[٤].

وقول المصنف: (**وقد يقولها وهو جاهلٌ، فلا يُعذرُ بالجهل**):

الجهل بالتوحيد راجع إلى أحد شيئين، أو هما معًا في بعض الأحوال:

أحدهما: الجهل به لعدم وجود مَن ينبه، أو للإعراض عن البحث فيه؛

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٢).
(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٢).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٤٥-١٤٦).

والآخر: العناد والاستكبار، وهذا يكون مع العلم وإقامة الحجة؛ وكلٌّ من الأمرين مُكفر، فمَن لم يأتِ بالتوحيد عن إعراضٍ منه وجهل فهو كافر، ومَن لم يأتِ بالتوحيد ويترك الشرك بالله عن عنادٍ واستكبار فهو كافر، فالكفر كفران: كفر إباء واستكبار، وكفر إعراض، فمن **جهة التأصيل:** الكفر قد يكون من جهة الإعراض والجهل، وقد يكون من جهة الإباء والاستكبار، ومن **جهة الواقع**؛ يعني: الحكم على الناس، فإنَّ المتلبِّس بالشرك يُقال له: مشرك، سواء أكان عالمًا أم كان جاهلًا، والحكم عليه بالكفر يتنوَّع، فإذا أُقيمت عليه الحجة الرسالية من خبير بها ليزيل عنه الشبهة، وليفهمه بحدود ما أنزل الله على رسوله من التوحيد وبيان الشرك، فتَرَك ذلك مع إقامة الحجة عليه فإنه يُعَدُّ كافرًا ظاهرًا وباطنًا؛ وأما المعرض فهو يُعامل في الظاهر معاملة الكافر، وأما باطنه فإنَّه لا نحكم عليه بالكفر الباطن إلَّا بعد قيام الحجة عليه، فيُفرَّق في هذا الباب بين الكفر الظاهر والباطن، والأصل أنه لا يُكَفَّر أحدٌ إلَّا بعد إقامة الحجَّة عليه، فكلام أئمة الدعوة في هذه المسألة فيه تفصيل ما بين الكفر الظاهر والباطن، ومن جهة التطبيق في الواقع يُفرقون، فإذا أتى للتأصيل قالوا: هو كفر، سواء أكان كفره عن إعراض وجهل أو كان كفره عن إباء واستكبار، وإذا أتى للتطبيق على المعين أطلقوا الكفر على مَن أُقيمت عليه الحجة الرسالية البينة الواضحة، وأما مَن لم تقم عليه الحجَّة فتارة لا يُطلقون عليه الكفر؛ لأجل عدم بلوغ الحجَّة الكافية لهم، وقد يطلق بعضهم عليهم الكفر ويريد به أن يعاملوا معاملة أهل الكفر حرزًا ومحافظة لأمر الشريعة، حتى لا يستغفر لمشرك، وحتى لا يضحى عنه، أو أن يتولى مشركًا، ونحو ذلك من

الأحكام، فيطلق عليه حكم الكفر ويعنى به الظاهر، لا الكفر الكامل الذي هو ردة ومخرج من الدين أصلًا، وإنما الكفر الظاهر الذي تترتب عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا[١].

فمَن وقع في الكفر وقد أُقيمت الحجة عليه ببلوغها، فلا يُعذر بالجهل لعدم فهمها؛ لأنَّ إقامة الحجة في المسائل الظاهرة كالشرك تكون بمجرد البلوغ، وعليه فالجهل بعد بلوغ الحجَّة ليس عذرًا مانعًا من التكفير، فالجهل بمدلول الشهادتين كفر، والجهل ليس عذرًا مانعًا من تكفيره؛ وأمَّا مَن وقع في ناقض من نواقض الإسلام سوى الجهل بمدلول الشهادتين، فإن كان من المسائل الظاهرة كالشرك فهو كافر بعد إقامة الحجة عليه ببلوغها، وإن كان من المسائل الخفية فهو كافر بعد إقامة الحجَّة عليه ببلوغها وفهمها، فالجهل قبل إقامة الحجة عذر مانع من التكفير، لكن إقامة الحجة في المسائل الظاهرة تكون بمجرد البلوغ، وفي المسائل الخفية تكون بالبلوغ والفهم[٢]، فمراد المصنف أنه لا يعذر بجهله؛ لقيام الحجة عليه، وتمكُّنه من معرفتها، أما مع عدم قيام الحجة وعدم التمكُّن من معرفتها؛ فهذا هو الذي نفى الله التعذيب عنه حتى تقوم عليه حجَّة الرسل، وأصولُ الدين وقواعده العظام لا يسع مسلمًا جهلها؛ لانتشار العلم وقيام الحجة عليها في بلاد المسلمين، أما المسائل التي قد تخفى لغموضها فيُعذر بالجهل فيها[٣].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٣٥-١٣٨).
(٢) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٣٣، ٣٥).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٢٩).

فالمصنف يقول: (فَلا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ)، **وهذا فيه تفصيل في الأمور الآتية:**

الأمر الأول: المسائل التي يُذكر عندها العذر، وهي نوعان:

النوع الأول: مسائل كبرى لا يتصور فيها العذر لأحد، ومن أشهرها وأظهرها: سب الله ورسوله، فلو سبَّ أحدٌ ربَّ العالمين، وسب رسوله ﷺ، وقال: لم أكن أعلم أن سب الله أو سب رسوله حرام، فنقول: لا شك أن هذا كفر لا تعذر به[١]؛ لأن السب لا يتصور منه التنزيه، فهو لا يُطلق إلا انتقاصًا لله[٢].

النوع الثاني: المسائل التي تخفى، وهي المسائل الخفية التي يمكن أن يجهلها الإنسان، بحسب البيئة، وبحسب الزمان، وبحسب حاله هو؛ من حداثة عهده بالإسلام، ومن شدة جهله وعدمه، وهذه المسائل يُتصور أن تُجهل، ويتفاوت هذا، فقد لا يُجهل في هذا الزمن أمر وجوب الصلاة، لكن في آخر الزمان ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يُسْرَى عَلَى الْقُرْآنِ؛ فَلا تَبْقَى مِنْهُ كَلِمَةٌ فِي السُّطُورِ وَلا فِي الصُّدُورِ، وَيَبْقَى الرَّجُلُ الْكَبِيرُ وَالْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةٌ أَدْرَكْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا فَنَحْنُ نَقُولُهَا**»، ثم قال ﷺ: «**لا يُدْرَى صِيَامٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَلاةٌ**»[٣]، فلا يُعْرف في ذلك الوقت -نسأل الله العفو والعافية- هذه الأمور، وهذا الوقت في آخر الزمان، فجهلوا أمورًا لا يجهل مثلها، لكن يختلف الحال بحسب الزمان، ففي ذلك الوقت لا يعرفون

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) ألطف العبارات في شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن ريس الريس (٧٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، برقم (٤٠٤٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه؛ وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٨٧).

إلا هذه الكلمة؛ ولهذا قال صلة لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما روى الحديث: ما تنفعهم «لا إله إلا الله» وهم بلا صيام ولا صلاة؟! قال: (تنجيهم من النار)؛ لأن هذا هو ما في مقدورهم، والله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهذا يدل على عظم شأن كلمة التوحيد، كما قال حذيفة: تنجيهم من النار؛ لأن هذا هو فرضهم، وهذا هو الذي يتمكنون منه، إذًا المسائل التي يعذر الناس بها هي المسائل التي تخفى.

الأمر الثاني: ما يتعلق بالجهل، فيُقال: الجهل أيضًا ليس واحدًا، **بل الجهل على نوعين:**

النوع الأول: جهل مكتسب، أوصل الإنسان إليه إعراضُهُ، فلا يتعلم، ولا يرفع رأسًا بأحكام الله، ولا يكترث بكلام الله ولا بكلام رسوله، فهذا لا بد أن يجهل يقينًا؛ لأنه معرض، ولو عُذر هذا لأعرض الناس، وقالوا: الإعراض سبيل من سبل إسقاط التكاليف؛ لأننا إذا أعرضنا لم يجب علينا شيء؛ فهذا الجهل المكتسب لا يعذر الإنسان به.

النوع الثاني: وهو الذي فيه الكلام: وهو الجهل الذي لا حيلة للجاهل في دفعه، فهو في بيئة ليس فيها علماء الحق والسنة، وليس عنده قدرة على التعلم، كأن يكون عاميًّا، أو ليس عنده قدرة للوصول إلى علماء السنة في غير بيئته.

ولا شك أنَّ المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ على منهاج أهل العلم والسنة، فهو يفصِّل بلا ريب في الجهل، فلا يمكن أن يقول: الجاهل لا يُعذر، لكن على التفصيل الذي ذكر، سواء في المسائل من جهة المسائل نفسها، فمن المسائل ما لا

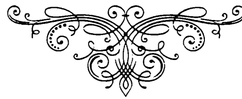
يُجهل، ومن المسائل ما يخفى فيكون فيه العذر؛ وسواء من جهة الجهل نفسه، فهناك جهل المتسبب فيه إعراض الإنسان، وهناك الجهل الذي لا حيلة للجاهل في دفعه[١].

وبنهاية هذه الجملة تنتهي المقدمة الأولى.

وخلاصة هذه المقدمة تجتمع في أمرين:

الأول: أنَّ التوحيد الذي أرسلَ الله به الرسل هو توحيد العبادة، وأن الرسل لم يدعوا إلى توحيد الربوبية؛ لأن معظم الأمم المرسل إليهم لم يشركوا في الربوبية.

والثاني: أن الذين يفعلون الشرك في زمان المصنف في جهلٍ عظيم بالتوحيد والشرك؛ ونتيجة لهذا الجهل صار واقعهم أنهم ينفون عن أنفسهم الشرك الذي لم يقع فيه معظم الأمم، ويفعلون الشرك الذي وقع فيه معظم الأمم[٢].



(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٣٠).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [واعلم أنَّ الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد؛ إلا جعل له أعداء؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقد يكونُ لأعداءِ التوحيدِ علومٌ كثيرةٌ، [وكتبٌ][١]، وحُجَجٌ؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر:٨٣].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنَّ الطريق إلى الله، لا بدَّ له من أعداء قاعدين عليه، أهْلِ فصاحةٍ وعلمٍ وحُجَجٍ؛ فالواجب عليك: أن تعلمَ من دينِ الله ما يصيرُ سلاحًا [لك][٢] تقاتلُ به هؤلاءِ الشياطينَ، الذين قال إمامُهم ومُقدَّمُهم لربك عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]. ولكن إذا أقبلتَ على الله تعالى، وأصغيتَ إلى حُجَج الله[٣] وبيناتِه؛ فلا تخف ولا تحزن، ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]. والعاميُّ من الموحدينَ، يغلِبُ ألفًا[٤] من علماء هؤلاءِ المشركين؛ كما قال تعالى[٥]: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣]، فجُندُ اللهِ تعالى هم الغالبونَ بالحُجَّة واللسانِ، كما [أنهم][٦] [هم][٧] الغالبونَ بالسيف والسنانِ، وإنما الخوفُ على الموحد، الذي يسلُكُ الطريقَ، وليس

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.

(٢) زيادة من نسخة دغش؛ والقاسم. وفي نسخة الشَّحري: [ما يصير لك سلاحًا].

(٣) في نسخة الشَّحري: [وأصغيتَ إلى حُجَجه].

(٤) في نسخة القحطاني: [يغلبُ الألفَ].

(٥) في نسخة الشَّحري: [قال الله تعالى].

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.

(٧) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

معه سلاحٌ، وقد مَنَّ اللهُ علينا بكتابه، الذي جعلَهُ ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. **فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّةٍ؛ إلا وفي القرآن ما ينقُضُها ويُبينُ بطلانها؛ كما قال تعالى:** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. **قال بعض المفسرين: هذه الآيةُ عامةٌ في كل حجةٍ يأتي بها أهلُ الباطلِ إلى يوم القيامة].**

الشرح

هذه هي المقدمة الثانية، وهي تتضمن: بيان ما ينبغي على مَن أراد التصدي للذين يفعلون الشرك في هذا الزمن وكشف شبهاتهم[1].

وخلاصة هذا المقطع: تحذير الموحد من أعداء التوحيد، وبيان حالهم، فلما أرشد المصنف في المقطع السابق الموحد إلى وجوب تعلم التوحيد، والخوف من الشرك؛ بيَّن له هنا سببًا من الأسباب التي تصد عن هذه المعرفة، وهم أعداء التوحيد، القاعدون لأهله[2].

وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذه الجملة أمرين عظيمين:**

أحدهما: قوله: (**واعلم أنَّ الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد؛ إلا جعل له أعداء**) من المشركين، (**كما قال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢])، فهذه العداوة بين الحق والباطل سنة كونية، فسنة الله البالغة أن يُسلط الأشرار على الأخيار؛ فسلَّط

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٣٨).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٢٢).

الأشرار على الرسل فما دونهم، وليس هذا هوانًا بالأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وأتباعهم، ولكن ليقوم الأخيار بالجهاد، فتعظم الدرجة ويعظم الأجر وينالوا المراتب العالية[١]، فالله لم يبعث نبيًّا بهذا التوحيد منذ نوح إلى محمد إلا وجعل له أعداء؛ ابتلاء وامتحانًا، فلا بد من التأهب وأخذ العدة والسلاح لمجاهدة هؤلاء[٢]، فأراد المصنف أن يقول: إنَّ صاحب الحق عليه أن يتهيأ لهذا الأمر، فإذا كان الرسول ﷺ قد عاداه المشركون، فالذي سيسلك منهج الرسول سيعاديه ورثة المشركين، كما قيل: لكل قوم وارث، فالأنبياء ورثتهم العلماء، فكما عُودي الأنبياء فسيُعَادى العلماء، والذي يعادي العلماء هم ورثة أعداء الرسل[٣].

والآخر: قوله: (**وقد يكونُ لأعداءِ التوحيدِ علومٌ كثيرةٌ، وكتبٌ، وحُجَجٌ؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾** [غافر:٨٣])، ومن تلك الحجج ما تقدم، ومنها ما يأتي الجواب عنه، والعلم هو الموروث عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٤]، فدعاة الباطل عندهم علومٌ كثيرة وحجج متنوعة يجادلون بها، إلا أنها لا تزيدهم إلا حيرة وضلالًا؛ لأنها ليست من العلم الصحيح، ولا الحجج البينة[٥]، وهذه مقدمة مهمة في سبيل كشف الشبهات التي أدلى بها

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٣).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣٠).
(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٥).
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٤).

علماء أهل الشرك، فلا يُتصور أنَّ عدو التوحيد لا يكون عنده علمٌ البتة، فقد يكون فقيهًا أو محدثًا أو مفسرًا، بل قد يكون مبرزًا في فن من هذه الفنون أو في فنون كثيرة، وأيضًا فالحجج التي يُدلي بها أهل الشرك فيها زخرف، وفيها تدليس، وفيها تلبيس، ولها بعض الشبه، ولها بعض ما يجعلها ملتبسة بالحق، فيكون لها زخرف ويكون لها نظر، فإذا تأملها أهل العلم وجدوها داحضة؛ ولهذا لا يتصور أن الشبه التي أدلى بها أعداء التوحيد أنَّ كل واحدة منها لا تدخل العقل أصلًا، بل منها أشياء خدع بها الشياطين من خدع من أمم الإنس والجن، ولكن هذا القول غرور؛ يعني: أنه يَظهَرُ ويتزخرف عند سماعه أو عند رؤيته، ولكنه عند التحصيل ليس بشيء، وهذا لأنه إذا تُدبر وفحص وجد أن حججهم داحضة[1].

ثم قال المصنف: **(إذا عرفتَ ذلك)**؛ يعني: ما قرَّره وقدمه المصنف[2]؛ وهو أن الإنسان إذا عرف ما يفرح به من توحيده، وما يخافُ من الشرك[3]، وقيل: المراد إذا عرفت ما تقدم من أن أعداء الرسل قد يكون لهم علوم وكتب يصنفونها، وحجج يدلون بها، وقد يحتجون بالكتاب والسنة، وبأقوال المحققين من أهل العلم، فإذا عرفت ذلك[4] **(وعرفتَ أنَّ الطريق إلى الله، لا بدَّ له من أعداء قاعدين عليه)**، ملازمين له، لا ينفكّون عنه ولا يرجعون عنه أبدًا، قصدُهم الإغواء والصَّدف عن هذا الصراط المستقيم **(أهْلِ فصاحةٍ**

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٥٤).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٦).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٦).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٥٨).

وعلمٍ وحُجَجٍ) على باطلهم **(فالواجب عليك: أن تعلمَ من دينِ الله ما يصيرُ سلاحًا لك تقاتلُ به هؤلاءِ الشياطينَ، الَّذين قال إمامُهم ومُقدَّمُهم لربك** عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧])، فصاحب البصيرة المتعلِّم الَّذي عرف الحقَّ على بصيرة، وعرف التوحيد والشرك على بصيرة؛ لا تغره شُبه أولئك المجرمين، ولا تلتبس عليه[(١)]، وهذا يُبين أنَّ هذا الطريق الذي هذه صفته، مقعودٌ عليه ومرصودٌ عليه بأنواع الصدوف، وأنواع القيود، وأنواع الحجج والبينات، فكيف يأمن الإنسان ولا يخاف[(٢)]، وأشار المصنِّف بهذه الجملة إلى أنه ينبغي أن نعرف ما عند هؤلاء من العلوم والشبهات من أجل أن نرد عليهم بسلاحهم، وهذا من هدي النبي ﷺ؛ ولهذا لما بعث معاذًا لليمن قال له: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب**»، من أجل أن يساعدهم ويعرف ما عندهم من الكتاب حتى يرد عليهم بما جاؤوا به[(٣)].

ومما تقوى به عزائم الموحدين أنَّ[(٤)] **(العاميّ من الموحدينَ)**، غير الجاهل الذي عرف أدلة دينه، وإن كان ليس بفقيه ولا عالم **(يغلِبُ ألفًا من علماء هؤلاءِ المشركين)**؛ لأن حجج المشركين ترهات وأباطيل، ومنامات كاذبة[(٥)]؛ والعامي إذا كان معه الكتاب والسنة كان معه السلاح الذي يفتك

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٣١).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٦، ٥٧).
(٣) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٤٨).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٧).
(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٩).

بكل شبهة[١]؛ ولأن العامي عنده الفطرة السليمة التي لم تتلوث بالشكوك والأوهام وقواعد المنطق وعلم الكلام، أما المشرك فليس عنده فطرة سليمة ولا علم صحيح[٢]، فالعبد إذا تخلفت عنه الأدلة الشرعية وكانت فطرته صافية لم تتكدر، فإنه يجري على لسانه من الرد على أولئك المشركين ما يقطع دابرهم، ويبطل شبهتهم، وموجب انتصار العامي الموحد على ألف من علماء المشركين أنه من جند الله[٣]؛ (**كما قال تعالى:** ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧٣])، فهذه الآية أفادت حصر الغلبة في جند الله[٤]، ووعد الله لا يتخلف، (**فجُندُ اللهِ تعالى هم الغالبونَ بالحُجَّة واللسانِ، كما أنهم هم الغالبونَ بالسيف والسنانِ، وإنما الخوفُ على الموحد، الذي يسلُكُ الطريقَ، وليس معه سلاحٌ**) من العلم يدفع به عن قلبه جيش الشبهات والشهوات[٥]، ويذب به عن دينه، فلم يتعلَّم أدلة دينه[٦]، (**وقد مَنَّ اللهُ علينا بكتابه الذي جعلَهُ** ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩])، ولا سيما في التوحيد، فمن أعظم ما بيَّنه كتابُ الله عَزَّوَجَلَّ حقه على عباده، وهو توحيده[٧]، فهذا الكتاب تبيانٌ لكل شيء، ففيه بيان كل شيء، إما تفصيلًا، كباب التوحيد هنا، فإنَّ الله قد فصَّله وبيَّنه وأوضحه في كتابه أعظم بيان وأوضحه، وإما إجمالًا،

---

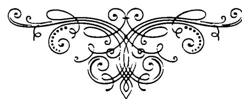
(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٥٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٧).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٥٩).
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٧).
(٦) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٠).
(٧) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

كدلالة الكتاب على حُجية السنة وحجية الإجماع[١]، (**فلا يأتي صاحبُ باطلٍ بحجَّةٍ؛ إلا وفي القرآن ما ينقُضُها ويُبينُ بطلانها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٣]. **قال بعض المفسرين: هذه الآيةُ عامةٌ في كل حجةٍ يأتي بها أهلُ الباطلِ إلى يوم القيامة**)؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾؛ أي: بقياس أو شبهة عقلية، و(مَثَل) نكرةٌ في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم التام[٢]؛ أي: ما يأتونك بأي باطل يستدلون به على باطلهم ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ أي: إلا جئناك بما هو أحسن منه مبينين فيه الحق، وأحسن إيضاحًا[٣]، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾؛ يعني: بحجة باطلة في إبطال التوحيد، أو في تحسين الشرك، أو في إيراد الشُّبه ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: في رده، وبيان بطلانه، وبيان الحق في ذلك، ثم قال: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾؛ يعني: وأوضح تبيانًا، وأحسن تأويلًا وشرحًا لذلك المثل، وللحق الذي فيه؛ لأن القرآن غالب[٤]، فالسلاح الأكيد في إبطال الشرك والتنديد هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فكلُّ دعوى تُدَّعى على خلاف الحق فإنَّ في القرآن ما يبطلها، وإنما الشأن في حظ العبد الموحد من العلم بالقرآن ومعرفته؛ فبه يقوى انتزاعه حقائق التوحيد وحججه وبيناته من القرآن الكريم[٥].

---

(١) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٣٥).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٥).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (٤٠).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٦٧).
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٨).

وقول المصنف فيما سبق: (**والعاميُّ من الموحدينَ يغلِبُ ألفًا من علماء هؤلاءِ المشركين**) لا يعارض قوله بعد ذلك: (**وإنما الخوفُ على الموحد، الذي يسلُكُ الطريقَ، وليس معه سلاحٌ**)؛ لأن العامي الموحد وإن كان كذلك فعليه الخوف من شرهم، وأخذ الحذر منهم بتعلم العلم النافع، فالعامي عنده فطرة سليمة يستنكر بها الباطل، أمَّا علماء الضلال ففطرهم فاسدة وحججهم واهية، فالعامي يغلبهم بالفطرة السليمة من حيث الجملة لا من حيث التفاصيل(١)، فالجملة الأولى تدلُّ على أنَّ العامي بتوحيده يُكْفَى ضلالات المضلين، والجملة الثانية تدلُّ على أنَّ مَن كان على تلك الحال من العاميَّة فإنه يُخشى عليه ويُخاف عليه أن يقع في الشرك، وبيان دفع التعارض أنَّ المصنف نظر إلى أمرين: أحدهما: مأخذٌ قدريٌّ، والآخر: مأخذٌ شرعيٌّ، ففي الجملة الأولى مأخذ قدري، وهو أن الله يُجري بحكمته في تقديره أن يقوم عاميٌّ فيُبهت علماء المشركين بما يُبطل به دعواهم؛ وفي الجملة الثانية مأخذ شرعي، وهو أنَّ الإنسان مأمورٌ شرعًا أن يتعلم من الدين ما يكون له سلاحًا يحفظه من جيش المشركين، ومَن لم يكن له سلاحٌ من العلم خِيفَ عليه، فالجملة الأولى منشؤها قدري كوني، والجملة الثانية منشؤها ديني شرعي، فانتفى التعارض بينهما(٢).



(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٦٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٣٧).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **[وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ، مما ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زماننا علينا، فنقول: جوابُ أهلِ الباطل من طريقين: مجملٍ، ومفصلٍ.**

أما المجملُ: فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لِمَن عقلَهَا، وذلك قولُهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتمُ الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله؛ فاحذروهم»(١)**]**.

الشرح

من هنا بدأ المصنف الكلام عن القسم الثاني من الكتاب، فبعد أن أنهى الكلام عن المقدمة؛ شرَع في الكلام عن صلب الموضوع، وهو الرد على شُبه المخالفين، وبدأ هنا ببيان الطريقة في رد شبه المخالفين، وذكر أنَّ الرد نوعان: ردٌّ مجمل، وردٌّ مفصل(٢)، فمن هنا بدأ الكلام على الشبهات وعلى إبطالها، وما ذكره قبل ذلك مقدمات غاية في الأهمية، وهي المحكمات التي يحتاج الموحد إلى أن يرجع إليها في حجاجه مع أهل الباطل(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات، برقم (٤٥٤٧)؛ ومسلم في «صحيحه» كتاب: العلم، باب النهي عَنِ اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه، برقم (٢٦٦٥).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٢٥).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٦٩).

قال المصنف: (**وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ، مما ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زماننا علينا**)، وهذا من دقة علمه وحسن التفاته إلى كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، واحتفائه بالأدلة وعنايته بها، فلم يقل: (وأنا أذكر لك شُبهاتٍ قالها المشركون في زماننا، وأذكر لك أدلة من القرآن تُبين زيفها)، فلم يقدم الشبهات وإنما قدَّم ذكر كتاب الله، وتقديم الكتاب هنا من باب تقديم ما حقه التقديم، وما حقه العناية والاهتمام، وهذا من حصافة علمه وجميل نصحه وحسن بيانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]؛ والمصنف يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يوضح هنا ما قرَّره من أنَّ كتاب الله مشتمل على الحجج التي تردُّ على شبهات أهل الباطل[2]، فلما بين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القرآن كافٍ في بيان الحق وإبطال الباطل؛ شرع يذكر في كتابه هذا جوابًا لكلام احتج به المشركون في زمانه على دعوة التوحيد[3]، وبمعنى آخر: لما ذكر القاعدة العظيمة، وهو أنه لا يأتي مبطلٌ بشبهته إلا وفي القرآن ما يبين بطلانها، وأن ذلك مستمرٌّ إلى يوم القيامة؛ دخل في التمثيل من الواقع الذي جرى له رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وقته مع خصومه[4]، فقال: (وأنا أذكرُ لكَ أشياءَ، مما ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه، جوابًا لكلامٍ احتجَّ به المشركونَ في زماننا علينا)، وهذا فيه بيان موضوع الكتاب، وما صُنف فيه، فهو في رد شُبهٍ شَبَّه بها بعض المشركين على توحيد العبادة؛ فإن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تصدى للدعوة إلى الله وبيَّن ما عليه الكثير من الشرك الأكبر، تصدَّى بعض الجهال بالتشبيه على جهالٍ مثلهم،

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١٠٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٧).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٢).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٦٤).

وزعموا أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكفر المسلمين، وحاشاه ذلك، بل لا يُكفر إلا مَن عمل مكفرًا وقامت عليه الحجة؛ فقصَدَ كشف تلك الشبه المشبهة على الجهال وردَّها، وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت، ولكنها تشوش عليهم، وقدَّم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما سبق مقدمة نافعة في بيان حقيقة دين المرسلين وما دعوا إليه، وحقيقة دين المشركين وما كانوا عليه؛ ليعلم الإنسان حقيقة دين المرسلين عند ورود الشبه، وبه يعلم مَن هو أولى بدين المرسلين من دين المشركين، وبيَّن أن مشركي زمانه هم أتباع دين المشركين(١).

قال المصنف: (فنقول: جوابُ أهلِ الباطل من طريقين: مجملٍ، ومفصلٍ)، فبيَّن أنَّ الرد على الأقوال الباطلة يقع من طريقين:

أحدهما: طريق (مجمل)، والمراد به: القاعدة الكلية التي تُردُّ إليها تفاصيل المسائل المشتبهة.

والآخر: طريق (مفصل)، والمراد به: الجواب عن كل شبهة على حدة(٢).

فالجواب المجمل عامٌّ لا يختص بشبهة بعينها؛ وأما الجواب المفصل فيوضح كل شبهة ويكشف زيفها وفسادها(٣).

و(المجمل) له معنيان:

الأول: ما يقابل المبيَّن، وهو: ما لم تتضح دلالته أو ما احتمل شيئين

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٢).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٢).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٧).

ولا مرجح، وهذا يُبْحَث فيه من جهة دلالة الألفاظ ومن جهة الاستدلال؛ **والثاني:** ما يقابل المفصَّل، وهو الذي عناه المصنف في هذا المقام، فالمجمل هنا هو المجمل في باب الحجاج وباب الاستدلال وإقامة البرهان، وذلك أنَّ البراهين في إقامتها تنقسم إلى: براهين مجملة، وبراهين مفصَّلة، فالمجمل: هو الجواب العام والاستدلال العام، والبرهان العام الذي يصلح لكل حجة يوردها المورد أو المجادل؛ والمفصَّل: هو البرهان والدليل لإبطال كل شبهة وحدها على وجه التفصيل، فالإجمال هنا غير الإجمال المعروف في أصول الفقه، فالإجمال هنا واضح، بخلاف المجمل في أصول الفقه فإنه ما لم تتضح دلالته[١]، فالمجمل هنا هو الذي يقابل المفصَّل، وليس الذي يقابل المُبَيَّن؛ يعني: الدليل الكلي، فعندنا أدلة كلية، وعندنا أدلة جزئية[٢].

قال المصنف: (أما المجملُ: فهو الأمرُ العظيمُ، والفائدةُ الكبيرةُ لمَن عقلَهَا)، وإنما قال ذلك في المجمل؛ لأنه في الحقيقة يصلح جوابًا لكل شبهة[٣]، فالجواب المجمل هو: ردُّ المتشابه إلى المحكم، وهذا الجواب يناسب كل شبهة، فيُعمل بالمحكم ويرد المتشابه الذي جاء به المُشَبه إلى المحكم[٤]؛ فنبَّه المصنف بشأن الجواب المجمل، وبيَّن أنه أمرٌ عظيم، وجواب سديد، وأنه مُستمدٌ من القرآن[٥]، فقال: (**وذلك قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٧٠).

(٢) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٣٧).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٣).

(٤) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٧).

مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:١٠٧]؛ أي: الإحكام والتشابه الجزئيُّ؛ بأن يكون الإحكام وصْفَ بعضه، ويكون التشابه وصْفَ بعضه، فالمحكم: ما اتضح معناه، وعُرفت دلالته، والمتشابه: ما لم يتضح معناه، ولا عُرفت دلالته[١]، والآيات المحكمات تعبَّد الله الخلقَ بالعلم بها، والعمل بها، والإيمان بها أنها من عند الله، والآيات المتشابهات ليست دلالتها واضحة مثل المحكمات، **وحكمها:**

أولًا: الإيمان بها أنها من عند الله أنزلها على العباد ليؤمنوا بها، **والثاني:** أنْ لا تُفسَّر بما يخالف المحكم، بل تُرد إلى المحكم، وتُفسَّر به، فدلَّت هذه الآية على أنَّ القرآن منه ما هو محكم؛ أي: أصله الذي يُرَدُّ إليه غيره، وهو الواضح البين الذي لا يحتمل إلا معنى واحدًا؛ ومنه متشابه، وهو الذي فيه خفاء، ويحتمل أكثر من معنى، فيُشكل على بعض الناس، وهذا هو الذي يمكن أن يتعلَّق به أهل الأهواء[٢]؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧]، فالذين في قلوبهم زيغ يطلبون المتشابه في الدلالة، ويتركون المحكم، وهذا يُفيد أنَّ أهل الاهتداء والاستقامة يتبعون المحكم ويردون المتشابه إلى المحكم، وأنهم خلاف أهل الزيغ؛ لأنه خص أولئك باتباع المتشابه[٣]؛ **(وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتمُ الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى الله؛ فاحذروهم»)**؛ يعني: أنَّ في قلوبهم زيغًا،

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٧).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٣).

فيتبعونه ويطلبونه ويتعلقون به، ويتخذون منه حججًا لباطلهم[١].

والآيات المحكَمات في رد شبه أهل الباطل في التوحيد جميعًا أنواع:

النوع الأول: الآيات التي فيها بيان أنَّ الكفار مُقِرُّونَ بتوحيد الربوبية.

والنوع الثاني: الآيات التي فيها بيان أنَّ الكفار ما أردوا من عبادة ما عبدوا إلا لأجل التقرب إلى الله جَلَّجَلَالُهُ بالزلفى والشفاعة.

والنوع الثالث: الآيات التي فيها بيان أنَّ الأموات الذين عُبِدوا لا يملكون شيئًا، وأنهم يوم القيامة يتبرؤون ممن عبدوهم.

والنوع الرابع: الآيات التي فيها بيان أنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ لم يتَّخذ ولدًا، ولم يتَّخذ شريكًا، ولم يتَّخذ وليًّا، ولم يتخذ شفيعًا، كآية سورة سبأ، وآية سورة الإسراء، وآية الفرقان، وأشباه ذلك.

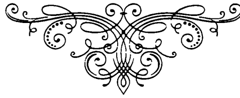
والنوع الخامس: الآيات التي فيها بيان أنَّ معبودات المشركين في القرآن مختلفة: فمنهم مَن عَبَدَ الأصنام، ومنهم مَنْ عَبَدَ الأوثان، ومنهم مَنْ عَبَدَ الملائكة، ومنهم مَنْ عَبَدَ الأولياء، ومنهم مَنْ عَبَدَ الجنَّ، ومنهم مَن عَبَدَ الشجر والحجر، إلى آخره، فهذه التصانيف في الآيات لمعبودات المشركين، تُنزَّلُ عليها كل حالة من حالات أهل الشرك في هذا الزمن وفيما قبله وما بعده[٢].

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (٤١).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٧٥).

وهذا الكتاب في الحقيقة يُعدُّ من أدلة نباهة وحذق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه جعل الكتاب للعامي الذي لا يملك إلا معرفة الجواب المجمل، ولطالب العلم الذي يريد التفصيل في الرد[١].



(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [مثال ذلك: إذا قال لك بعضُ المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أو إنَّ الشفاعةَ حقٌّ، أو إنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله[١]، أو ذكَر كلامًا للنبي ﷺ يستدلُّ به على شيءٍ من باطلِهِ، وأنتَ لا تفهمُ معنى الكلامِ الذي ذكره.

فجاوبهُ بقولك: إنَّ الله تعالى ذكَرَ [لنا في كتابه][٢] أن الذين في قلوبهم زيغٌ، يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ، وما ذكرتُهُ[٣] لكَ من أنَّ اللهَ ذكَرَ: أن المشركين يُقرون بالربوبية، وأنَّهُ كفَّرهم[٤] بتعلُّقِهم على الملائكة أو الأنبياءِ أو الأولياءِ[٥] مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

هذا[٦] أمرٌ محكمٌ [بيّنٌ][٧] لا يقدرُ أحدٌ أن يُغير معناهُ.

وما ذكَرتَ[٨] [لي][٩] أيها المشركُ من القرآن أو كلامِ النبي ﷺ[١٠]؛ لا أعرفُ معناه، ولكنْ أقطَعُ أنَّ كلامَ اللهِ لا يتناقضُ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالفُ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) في نسخة الشَّحري: [وإنَّ الشفاعةَ حقٌّ، وإنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وما ذكرتُ].

(٤) في نسخة الشَّحري: [وأنَّ كُفْرَهُم].

(٥) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [والأنبياء والأولياء].

(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهذا].

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.

(٨) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وما ذكرتَهُ].

(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(١٠) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أو كلام رسولِ الله ﷺ].

وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ، ولكنْ لا يفهمهُ، إلا مَن وفقهُ الله تعالى، ولا تَسْتَهْونْهُ[١]**؛ فإنه كما قال تعالى:** ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ **[فصلت: ٣٥].**

الشَّرح

ذكر المصنف في هذا المقطع مثالًا على احتجاج المشركين بالمتشابه، ثم ذكر الرد عن ذلك بالجواب المجمل[٢]، وذكر على سبيل المثال ثلاثة أدلة يستدل بها أهل الباطل على باطلهم، ثم ذكر كيفية الرد المجمل على تلك الشبه[٣]، فقال: (**مثال ذلك: إذا قال لكَ بعضُ المشركين:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢])؛ ومراد المشبه: أنَّ هذه الآية تدل على جواز اتخاذ الأولياء شفعاء؛ لأنَّ لهم منزلة عند الله تعالى[٤]؛ أي: زعم أنَّ الآية تدل على أنهم يُدْعَون؛ يعني: فيطلبون له، وأنهم أهل قرب ومنزلة وجاه وفضل، ومَن كان كذلك فقد تأهل، أو قال: (**إنَّ الشفاعةَ حقٌّ**)؛ يعني: شبَّه بأن الشفاعة التي ذُكرت في النصوص حق وواقعة، وإذا كانت حقًّا فهي تُطلب من الأموات ونحوهم، فيهتف باسمه، ويقول: يا فلان، اشفع لي، أو قال: (**إنَّ الأنبياء لهم جاهٌ عند الله**)؛ فهم يُسألون ويدعون ليسألوا لمَن ليس لهم الجاه عنده[٥]، فإذا قال المشبه: الولي له جاهٌ وله حرمة وله منزلة عند

(١) وفي نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [فلا تستهن به]؛ وفي نسخة دغش: [ولا تستهون به].
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٦).
(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٢٥).
(٤) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٥٥).
(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٦).

الله جَلَّوَعَلَا؛ والشفاعة حق؛ والأنبياء لهم الجاه أيضًا والمنزلة العظمى عند الله جَلَّجَلَالُهُ، والمنزلة لهم ثابتة، فكيف تجعل مَن سأل الأولياء من الأموات أو سأل بعض الأنبياء من الأموات ودعاهم يكون مشركًا مع منزلتهم الرفيعة عند الله، **(أو ذكَر كلامًا للنبي ﷺ يستدلُّ به على شيءٍ من باطلِهِ، وأنتَ لا تفهمُ معنى الكلامِ الذي ذكره)**؛ يعني: لا تفهم معناه الصحيح، ولا تستطيع أن توضح له كلام المفسرين فيه، وكلام أهل العلم في إبطال ما أورد من الاستدلال[1].

فإذا احتجَّ أحد المشركين على شِركه وتعلقه بالصالحين بمثل هذه الشبهة على أنَّ الصالحين يُسْتَشفعُ بهم، ويُدعون في النوائب والشدائد، فقل: هذه الآية فيها ثناءُ الله على أوليائه، ووعدهم بالبشرى في الدنيا والآخرة، وليس فيها أنهم يُرجون أو يُدعون أو يُخافون، فإن كنت لا تستطيع أن تجيبه عن هذه الشبهة تفصيلًا[2]؛ **(فجاوبهُ بقولك: إنَّ الله تعالى ذكَرَ لنا في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغٌ، يتركونَ المحكمَ ويتبعونَ المتشابهَ)**، وأنت تركت المحكم، وهو قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وعمدت إلى المتشابه، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]؛ فعمدت إلى المتشابه وهو أن الشفاعة حق، وتركت المحكم، وهو ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[3]؛ يعني: إذا كنتَ لا تستطيع أن تجيب

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩١).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٨).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٧).

عن هذه الشبهة تفصيلًا، فقل له: إنَّ الله تعالى أخبر بأن الذين في قلوبهم زيغ عن الحق يتركون الواضح البيِّن، ويبحثون عن الشيء الذي فيه إشكال وخفاء[1]، **(وما ذكرتُهُ لكَ من أنَّ الله ذكرَ: أن المشركين يُقرون بالربوبية، وأنَّهُ كفَّرهم بتعلُّقِهم على الملائكة أو الأنبياءِ أو الأولياءِ، مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾** [يونس: ١٨] **هذا أمرٌ محكمٌ بَينٌ لا يقدرُ أحدٌ أن يُغيِّر معناهُ)**؛ يعني: وجاوبه بما ذكره المصنف من أن المشركين يقرون بالربوبية لم ينازعوا فيها، ولا نفعهم ذلك[2]، فالله جَلَّ وَعَلَا أخبر بأنَّ المشركين مقرون بأن الله هو خالقهم، وهو الذي يدبر الأمر، ومع هذا الإقرار فقد كفَّرهم الله لتعلقهم بالملائكة والأنبياء والصالحين خوفًا ورجاءً، وتوكلًا ودعاءً[3]، فالمشركون كانوا يقرون بالربوبية وأنهم مشركون، وسبب شركهم مع عبادتهم وطاعتهم بأشياء سبق ذكرها هو طلب الشفاعة، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، فنفى الشفاعة عنهم[4]؛ فإقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية، وأنَّ كفرهم بسبب اتخاذهم وسائط بينهم وبين الله تعالى، يسألونهم ويدعونهم، يُعدُّ أمرًا محكمًا بيّنًا ظاهرًا لا اشتباه فيه ولا التباس، وأما احتجاج المبتدع لباطله ببعض النصوص الشرعية فهو أمر مشتبه ومشكل لا يُعلم معناه بالنسبة لذلك

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٨).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٨).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٨).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩٠).

الموحِّد، ولا يَتْرك المحكم الواضح ويتبع المتشابه إلا أهل الزيغ[١].

فالمصنف ضربَ هنا مثلًا يوضِّح به الجواب المجمل، وهو أنَّه لو احتجَّ بعض المشركين بأن الشفاعة حقٌّ، فالأنبياء والصالحون يشفعون يوم القيامة؛ أو احتجَّ بأن الأنبياء لهم جاه ومكانة عند الله عَزَّوَجَلَّ، ثم استدل بهذا على أنه يجوز للمسلمين في الدنيا أن يطلبوا الشفاعة ممَّن يشفع بعد موته، فيجوز الشفاعة بالنبي ﷺ بعد موته، ويجوز الاستغاثة به؛ لأن له جاهًا عند الله ومكانة عند الله، فلو جاءت هذه الشبهة ولم يفهم الموحد وجه الرد عليها، فالجواب يكون بهذا الجواب المجمل، فيُقال له: إنَّ المحكم من أدلة الكتاب والسنة دلَّ على أنَّ الكفار كانوا يتقربون للأموات بغية القربى والشفاعة فقط، وإقرارهم بالربوبية لم ينفعهم، فهذا الأمر محكمٌ في كتاب الله أنَّ هذا الفعل فعلَه المشركون، وبيَّن اللهُ أنه شرك، وأما الشبهة المذكورة فهي من المتشابه الذي لم يتبين معناه، وأنا أردُّ المتشابه إلى المحكم؛ لأنَّ كلام الله لا يتناقض[٢]، وهذه الشبهة يأتي جوابها تفصيليًّا؛ لكن إذا وقعت هذه الشبهة على الأذن وعُرضت على القلب، ولم تعرف الجواب التفصيلي لهذه الشبهة العظيمة، فتقول: ما عندي من العلم مُحكم، وهذه محتملة؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا بيَّن أنَّ أولياءه لهم فضلٌ بقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]؛ أي: أنَّ الله أكرمهم، وصاحب الشبهة استدل بهذا الإكرام على أنَّ لهم جاهًا عند الله

(١) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٤٢).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

جَلَّ وَعَلَا، وهذا النوع صار متشابهًا؛ لأنه جعل الفضل الذي آتاه الله جَلَّ وَعَلَا الأولياء أو الشهداء أو الأنبياء بعد مماتهم دالًّا على الجاه، وعلى أنَّ هذا الجاه لا يُرَدُّ إذا توسطوا به، فأدخل أشياء زائدة عن معنى الآية، فالآية فيها اشتباه في المعنى؛ لكن إذا فسَّرها أهل العلم أوضحوا معنى ذلك وزال الاشتباه، وسيأتي ردُّ ذلك تفصيليًّا؛ لكن هنا تردُّ عليه، فتقول: ما عندي محكم وهو أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ بيَّن أنَّ المشركين الذين كفَّرهم النبي ﷺ وقاتلهم إنما أرادوا الزلفى والقربى، وهم ما توجهوا إلا للأولياء ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، فأولئك تقربوا للأولياء لأجل الزلفى، فهذه محكمة، إذًا فهو يورد الشبهة وأنت تورد عليه المحكمات واضحة المعنى؛ لكن هذه الشبهة التي أوردها في هذه الآية تلحظ أن الاستدلال بها فيه مقدمات، فالآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، وهو يأتي ويقول: هذا معناه أنَّ لهم جاهًا عند الله، فهذا الاستنتاج هو اتباعٌ للمتشابه؛ لأن الآية تدل على أنهم مُكرَمون وليسوا أصحاب جاه؛ لأن الآية فيها ما أعطاهم الله جَلَّ وَعَلَا من الفضل؛ لكن أنَّ لهم جاهًا هذه لم تأتِ في الآية، فجعلَ مَن اتبع المتشابه هناك تلازمًا بين المكانة والرفعة وبين أن يكون لهم جاهًا؛ يعني: إذا توسط فلا يُردُّ، فجعلَ هذه ملازمة لهذه، وهذا لا شك أنه اتباعٌ للمتشابه؛ لأن الآية لا تدل على ذلك، فإذًا هذا مثال لحجَّة يُدلي بها المشرك، فإذا أدلى بهذه الحجة فتدمغه بالمحكمات الكثيرة[1].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٨٩، ١٩٠).

وقول المصنف: (**هذا أمرٌ محكمٌ بَينٌ لا يقدرُ أحدٌ أن يُغير معناهُ**)؛ يعني: هذا أمرٌ بيِّن واضح[١]، وهو كون الذين في قلوبهم زيغ يحتجون بالمتشابه ويعدلون عن المحكم؛ وكون المشركين الأولين ما ادعوا فيهم الربوبية وإنزال المطر، وأنهم ما كانوا مشركين كفارًا إلا بتعلقهم عليهم رجاء شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى، فهذان أمران محكمان: الأول: احتجاجهم بالمتشابه، والثاني: أنَّ المشركين مقرُّون بالربوبية كما تقدم، وأنَّ الله كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة ونحوهم؛ كونهم ما طلبوا إلا الشفاعة والقرب إلى الله بذلك، كما أنَّ من الأمور المحكمة أيضًا: أنهم ما أرادوا ممَّن دعوه وذبحوا له وتعلقوا عليه إلا شفاعته[٢]؛ فالجواب القاطع المبطل لتلك الشبهة أن تتمسك بإحكام القرآن في باب توحيد العبادة الذي دلَّ على أن المشركين مقرون بتوحيد الربوبية، وأنَّ الله كفَّرهم بقصدهم وتوجههم وتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء؛ إذ جعلوهم شفعاء ووسائط عند الله، وهذا أمرٌ محكَمٌ بيِّنٌ لا يُترك أبدًا[٣]؛ فتذكُرَ له الآيات الدالة على أن المشركين مقرون بالربوبية لله وحده، وإنما هم مشركون؛ لأنهم دعوا الأولياء لأجل أن يشفعوا لهم عند الله تعالى، فهذا دليلٌ محكم واضح على أنَّ دعاء الأولياء لطلب الشفاعة لا يجوز، وأنَّ مَن فعله مشرك؛ فإن كان طالبًا للحقِّ كما يدعي؛ فيلزمه التسليم للدليل المحكم، وعدم تقديم المتشابه عليه، فإنَّ الله تعالى جعل المحكم هو المرجع، وذمَّ الذين يتبعون المتشابه، فإذا دلَّ النص المحكم على عدم جواز دعاء الأولياء،

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩١).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٦٨).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٤).

فلا يجوز أن يحمل المتشابه على الجواز؛ لأن هذا يؤدي إلى وجود تناقض في كلام الله تعالى، وهذا محال[١].

قال المصنف: **(وما ذكَرتَ لي أيها المشركُ من القرآن أو كلامِ النبي ﷺ؛ لا أعرفُ معناه، ولكنْ أقطَعُ أنَّ كلامَ اللهِ لا يتناقضُ، وأنَّ كلام النبي ﷺ لا يخالفُ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)**.

وقوله: **(لا أعرف معناه) يحتمل أمرين:**

أحدهما: لا أعرف معناه الذي تدعيه وتذكره وتستدلُّ به.

والآخر: لا أعرف معناه الذي ذكرَه أهل العلم، فهو ينفي المعرفة عن نفسه، مع جزمه بأن (كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالفُ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، فيتمسك بالمحكم في إثبات العبادة لله وحده، وأنَّ جعْلَ شيء منها شركٌ؛ كما كانت حال المشركين الأولين[٢].

فيقول: أنا لا أعرف معنى الآية الصحيح، لكن أعلم أنَّ كلام الله لا يتناقض؛ لأن القرآن كله من عند الله جَلَّوَعَلَا[٣]؛ أي: لا أعرف المعنى الذي تدعيه، وإنني أُنكره ولا أُقرُّ به؛ لأنني أعلم أنَّ كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله[٤]، وما ذكرتَه لا أفهم معناه؛ لأنك تستدل على أنَّ التعلق بالصالحين رجاءً ودعاءً وخوفًا ليس حرامًا، ولا كفرًا، ولا شركًا،

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٥٥).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٤).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩١).

(٤) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٥٨).

والله تعالى قد كفَّر المشركين مع إقرارهم له بالربوبية، وكلام الله لا يتناقض، وكلام الرسول ﷺ لا يُناقض ولا يُخالف كلام الله تعالى؛ فلا يمكن أن يأتي ما يناقض ما دلَّ عليه القرآن من أن المشركين كفار مع إقرارهم بالربوبية؛ لأن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ حقٌّ ومحكم، والحق لا يناقض بعضه بعضًا، كما أن المحكم يصدق بعضه بعضًا، ومضمون هذا الجواب: أن القرآن قد دلَّ على أن التعلُّق بالصالحين بالعبادة لهم، وبطلب شفاعتهم؛ شركٌ وكفر، وهذا أصلٌ ثابت، ولن يأتي ما يناقض ذلك، فكل ما يُحتَّجُ به على خلاف هذا الأصل فهو مدفوع وباطل[1]»، فقل له: ما تذكره لي الآن من هذه النصوص التي ربما لا أعلمها، وما تورده من الأحاديث: أقطع أنا أنَّ كلام الله حق، وأن كلام رسوله ﷺ حق، وأنه لا يمكن أن يناقض بعضه بعضًا، فأنت تركت الأمر المحكم البيِّن الجلي في هاتين القاعدتين الكبيرتين: أن المشركين مقرون بالربوبية؛ وأن الشرك الذي وقعوا فيه كان لصرفهم العبادة لغير الله، فأنت تركت هذا البيِّن، وبدأت تذكر لي أمر الشفاعة وغيره[2]».

فصار الجواب عن هذه الشبه جوابًا مركبًا من ثلاثة أمور:

الأول: بيان أنَّ الذين في قلوبهم زيغ، يتركون المحكم ويتبعون المتشابه.

والثاني: أنَّ الأولين مقرون بالربوبية لم ينازعوا فيها، وأنهم ما ادَّعوا إلا مثل ما ادَّعى هذا المشبه من طلب الشفاعة والقُرْب إلى الله بذلك، وأنَّ الله كفَّرهم بذلك.

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٣٨).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

والثالث: أنَّ معي نصوصًا لا تتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله جَلَّوَعَلَا، وأن المبطل يحتج بشيء هو حق ولا يدل على الباطل بحال(١).

فالجواب المجمل عرفناه بالاستمساك بالمحكم في ورود المتشابه، فإذا أتى استدلال متشابه ولم تعرف الجواب عليه، أو أجبت فأورَدَ عليك شبهة ثانية، فتمسَّك بالمحكم واترك الإصغاء للمتشابه(٢).

فالجواب المجمل عبارة عن ثلاث مقدمات ونتيجة. فيقول للمبطل الذي يريد أن يردَّ عليه:

أولًا: ثمة محكمات في الأدلة راسخات كالجبال، وهي التي اعتقدها، وهي التي عليها أهل التوحيد، وذلك مثل: أنَّ العبادة يجب أن تكون لله، وأنَّ الدعاء يجب أن يكون لله، ومن ذلك أن المشركين كانوا يقرون بالربوبية، ومن ذلك أن المشركين كان شركهم في العبادة، ومن ذلك أن شركَهم سببه طلب الشفاعة والزلفى عند الله، وهذه محكمات وأصول راسخات.

ثانيًا: ثمة متشابهات، وثمة مَن يُلبس بها، وهذا حالك يا أيها المشرك وحال إخوانك، تتبعون المتشابهات وتلبسون بها على الناس، تجعلون الاستدلال بالمتشابه وتردون المحكم إليه، ومن ذلك هذه الشبه التي تقولها وتذكرها لي.

ثالثًا: أنَّ النصوص لا تتناقض ولا تتعارض إذا كانت صحيحة، وأنا على

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٠).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٨٨).

يقين من ذلك.

ويمكن أن يُضاف أمر رابع، وهو: أنه ليس بعد الحق إلا الضلال، فمتى ما ثبت أنَّ هذا حقٌّ كان ما يعارضه باطلًا. وهذه الإضافة مفيدة تُبين ما أراده المصنف وإن لم يُصرِّح به.

والنتيجة: ما أنا عليه حقٌّ، وما أنت عليه وما تسوقه من استدلال باطل[1].

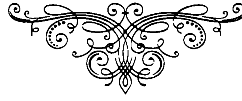
قال المصنف: (وهذا جوابٌ جيدٌ سديدٌ، ولكنْ لا يفهمهُ، إلا مَن وفَّقهُ الله تعالى، ولا تَسْتَهْوِنْهُ؛ فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥])، وهذا ثناءٌ من المصنف على هذا الجواب المجمل، وأنه أصلٌ أصيلٌ في دفع شُبه المشبه[2]؛ يعني: قول الإنسان لخصمه إنَّ كلام الله لا يتناقض، وإنَّ كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله، وإنَّ الواجب رد المتشابه إلى المحكم[3]، ولا شك أنَّ الذي يستمسك بالمحكم في رد المتشابه، فإنه قد أدَّى الذي عليه وامتثل قول الله جَلَّوَعَلَا، وخلُصَ من الابتلاء والفتنة بالمتشابه، ويكون حاله أنه ذو حظ عظيم؛ لأنه سلِم من الابتلاء بذلك وسلِم من الفتنة، فنجح حيث لم يتبع المتشابه، ورد المتشابه إلى المحكم، فلا بد في المتشابه من الصبر مثل ما قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له المثوبة، أن المتشابه يحتاج إلى صبر، فكثيرون جاءتهم الشبه فاتبعوها ولم يصبروا، ودخلوا فيها بأهوائهم وآرائهم، ولو صبر أحدهم زمنًا طويلًا وتمسَّك

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٠).

(٣) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٥٩).

بالمحكمات لكان قد أدَّى الذي عليه[١].



(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وأما الجواب المفصَّلُ: فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دين الرسل، يصدُّون بها الناس عنه؛ منها: قولهم: نحنُ لا نشركُ بالله [شيئًا][1]، بل نشهدُ أنه لا يخلُقُ، ولا يرزق، [ولا يحيي، ولا يُميتُ، ولا يدبر الأمر][2]، ولا ينفَعُ ولا يضُرُّ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيرِه، ولكن أنا مُذنبٌ، والصالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم.**

فجاوبه بما تقدَّم؛ وهو: أنَّ الذين قاتلَهم رسولُ الله ﷺ مُقرُّون بما ذكرتَ [لي أيها المُبطلُ][3]، ومقرون أنَّ أوثانهم لا تُدبر شيئًا، وإنما أرادوا [ممَّن قصدوا][4] الجاهَ والشفاعةَ، واقرأ عليه ما ذكرَ[5] اللهُ في كتابه، وَوَضَّحَهُ].

الشَّرْحُ

لما فرغَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكر الجواب المجمل، وضربَ له مثالًا يتبينُ به المقال؛ شرعَ يبين شُبه المشبهين من المبطلين في توحيد العبادة على وجه التفصيل، وابتدأ بُشبهٍ ثلاث أوردها واحدةً واحدةً، وألحقَ بكل شبهة ما ينقضُها ويُبين بطلانها، وهذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم[6].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش.

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٤) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني.

(٥) في نسخة القاسم: [ما ذكره].

(٦) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٧).

فذكر المصنف الجواب المفصل، وهو الذي يُجابُ به عن كل شبهة بجواب يخصها[١]؛ فقال: (**وأما الجواب المفصَّلُ: فإنَّ أعداء الله لهم اعتراضاتٌ كثيرةٌ على دين الرسل، يصدُّون بها الناس عنه؛ منها:**)، وأول هذه الشبه: (**قولهم: نحنُ لا نشركُ بالله شيئًا**)، وهذا القول من المشبه يريد به الإشراك بالله في الربوبية؛ ولهذا قال بعده[٢]: (**بل نشهدُ أنه لا يخلُقُ، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يُميتُ، ولا يدبر الأمر، ولا ينفَعُ ولا يضُرُّ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريك له، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن عبد القادر أو غيرِه، ولكن أنا مُذنبٌ، والصَّالحون لهم جاهٌ عند الله، وأطلب من الله بهم**)؛ ومضمون هذه الشبهة: حَصرُ الشرك في الربوبية؛ يعني: لا شركَ إلا في الربوبية، وعليه فمهما عبدَ الإنسان غير الله عَزَّوَجَلَّ فإنه لا يكون مشركًا إذا كان موحدًا في ربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو عندما يقول: (نحن لا نشرك بالله شيئًا)؛ فإنه يحصر مفهوم الشرك في الشرك في الربوبية؛ ولذا فإنه يقول: (بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت، ولا يدبر الأمر ولا ينفع ولا يضر إلا الله)[٣]؛ فهذا أخطأ في فهم توحيد الإلهية، فظنَّ أنَّ توحيد الإلهية هو أن يعتقد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله، وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا فضلًا عن عبد القادر أو غيره[٤].

فهذه هي الشبهة الأولى، يقولون: أنتم تُسمون فعلنا شركًا، وتحكمون

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩٧).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٣٧).

علينا بالشرك، ونحن في الحقيقة لا نشرك بالله، **ويحتجون على ذلك بثلاث حجج:**

الأولى: كيف تحكمون علينا بالشرك، ونحن نقر أنه لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله.

والثانية: كيف تحكمون علينا بالشرك، ونحن لا نعتقد أنَّ الأنبياء والصالحين يملكون النفع والضر، بل نعتقد أنَّ النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له.

والثالثة: نحن مذنبون، ولا شك أن الأنبياء والصالحين لهم جاه عند الله عَزَّوَجَلَّ، فنحن فقط نريد منهم أن يسألوا الله لنا، وأن نتوسل بهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ[1].

وهذه الشبهة عند التأمل مركبة من شبهتين:

الأولى: حصر الشرك في معنى الربوبية.

والثانية: أنَّ دعاء الصالحين إنما هو من باب الوساطة والشفاعة؛ لمنزلتهم وجاههم عند الله تعالى.

فهذه الشبهة مركبة، فهو يقول: إنه يؤمن بالله، ويقول: إنَّ الله واحد في ربوبيته، ولا ينفع إلا هو، ولا يخلق إلا هو، ولا يرزق إلا هو، ويقول: (ولكن أنا مذنب)، فأتوسل وأتقرب إلى الله بالصالحين بشفاعتهم، فأتقرب إليهم بالدعاء حتى يشفعوا لي عند الله جَلَّوَعَلَا، وهذا لا يجعلني مشركًا، فهذا

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

على حد قوله ليس شركًا بالله، فقدموا هاتين المقدمتين، يقول: (أنا مذنب) والمذنب لا يمكن أن يكون وليًّا لله أو مقربًا عند الله، فعلى اعتقاده أنه لا يمكن أن يصل إلى الله مباشرة؛ و(الصالحون لهم جاه عند الله)، وهذا الجاه بمعنى: أنه لو سألَ لم يُرد، وأنَّ من عباد الله مَن لو أقسم على الله لأبرَّه، فأتى من هذه الشبهة، باعتبار أن هذا الصالح الذي عند الله جَلَّوَعَلَا مقرب، وهذا الصالح الذي عند الله له الزلفى والمقام الأعظم بحيث إنه لو سألَ لم يُرد، وتكملة الشبهة قال: (وأطلب من الله بهم)؛ أي: أطلب من الله لا منهم؛ يعني: أني لا أسألهم؛ ولكن أطلب من الله بهم، وكلمة (بهم) هنا ليس معناها التوسل بهم؛ يعني: بجاههم؛ فليس مقصوده أنه يسأل الله بالنبي، أو يسأل الله بالولي؛ لأن سؤال الله بالصالحين هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك وليس شركًا أكبر؛ ولكن القصد من قوله: (وأطلب من الله بهم)؛ يعني: أطلب من الله بوساطتهم وبشفاعتهم وبتقريبهم إياي عند الله زلفى، فإذًا كلمة (بهم) لا يقصد بها التوسل بالجاه؛ لأن هذه بدعة وليست شركًا، وإنما يقصدون بها الشفاعة والتقريب زلفى[١]، فهو يعتقد أن هؤلاء أهل صلاح وأهل مكانة عند الله تعالى؛ ولهذا لا يطلب من الله مباشرة، وإنما يطلب من الله بواسطة هؤلاء، فاتخذهم شفعاء له عند الله[٢]؛ أي: يطلب من الله بشفاعتهم، فيجعل هؤلاء الصالحين شفعاء بينه وبين الله تعالى؛ فيسألهم ويدعوهم[٣].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٩٧، ٢٠٥).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١٤١).

(٣) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٤٥).

فالمقصود: أنَّ قول هذا المشرك هنا ليس متعلقًا بمسألة التوسل، فالتوسل يختلف عن الدعاء والاستغاثة، فالتوسل بالشيء هو: السؤال به والاستغاثة، والدعاء هو: سؤال الشيء، وفرقٌ بين سؤال الشيء والسؤال به، فكون الإنسان يقول: يا الله بجاه نبيك أعطني؛ هذا من التوسل البدعي ولا يصل إلى حد الشرك، لكن لو قال: يا رسول الله أعطني، فهذا هو الدعاء وهذا هو الشرك، إذًا عندما قال هذا المشرك: (وأطلب من الله بهم)، فهو لا يريد التوسل وإنما يريد الاستغاثة، فمراده هنا مسألة الوساطة ومسألة الوسيلة ومسألة التقرب، بمعنى أنه يقول: أنا أسأل النبي أو الولي وهو يسأل الله، فعاد الأمرُ إلى أني أنا السائل في الحقيقة؛ لأنه إنما سألَ لي، فلمَّا سألتُه فأنا أُريد ما عند الله ولكن بواسطته، فأسأله وهو يسأل الله، فعاد الأمر إلى أني أسأل الله بهم، وهم بهذا يريدون هنا شبهة تجدها في كتب المتأخرين منهم، وهي أنهم يقولون: إننا إذا استغثنا بغير الله عَزَّوَجَلَّ، فهذه الاستغاثة من قبيل المجاز العقلي، فالـمُستغاثُ به حقيقةً هو الله، والـمُستغاثُ به مجازًا هو النبي أو الولي، فجعلوا الاستغاثة بغير الله عَزَّوَجَلَّ من قبيل المجاز، وأما الحقيقة هاهنا فهي الاستغاثة بالله؛ يعني أنه: حينما يستغيث بنبي أو ولي فحقيقة الحال أنه مستغيثٌ بالله جَلَّوَعَلَا، وأما تلفُظُه بهذا اللفظ فهذا مجردُ مجاز، فإسنادُ الاستغاثة لغير الله مجازٌ باعتبار الوساطة والشفاعة، فلملاحظة هذا الأمر أُسندت الاستغاثة إلى النبي أو الولي مجازًا، ومسألة المجاز مسألة طويلة، ولكنْ طرد ما ذكروا في مسألة المجاز يقتضي أن لا يُشْرِكَ مشركٌ، وأن لا يكون المشركون الأولون مشركين؛ لأننا يمكن أن نقول: إنهم إنما كانوا يستعملون المجاز العقلي؛ لأننا يمكن أن نقول: إنهم

عندما كانوا يستغيثون باللَّات والعزى وهبل هذا كان على سبيل المجاز، فطرد ما ذكروا يُلغي باب الردة بالكلية؛ لأنه يمكن لكل مَن قال كلمة الكفر أن يدعي فيها المجاز، حتى ولو سبَّ الله تعالى، أو سبَّ رسوله ﷺ؛ فإنه لا يعجزه أن يدعي أن كلامه مجازي لا حقيقي، وأي فساد للدين أعظمُ من هذا الفساد، والحقيقة أنَّ هذا الذي ذكروه مخالفٌ لواقعهم ولا شك، فمَن سبرَ حال هؤلاء القبوريين علِمَ أنَّ المسألة أكبرُ من مجرد أنَّ القلوب معلقةٌ بالله ولكنْ هؤلاء مجرد وسائط، وهذا في حد ذاته شركٌ بالله، لكن حال هؤلاء أغرقُ في الضلال والوقوع في بحار الشرك، فقلوبهم ولا شك معلقة بهؤلاء الذين يستغيثون بهم لا بالله، فليست قلوبهم معلقة بالله[1]؛ ولذا فإن غالب شرك الناس اليوم لا يجعلون الأموات والرسول واسطة، بل يطلبون من الميت، بأن يأتي الصالحَ ويستغيث به، ويسألهُ قضاء الحاجات التي لا يقدر عليها إلا الله جَلَّوَعَلَا، فيطلب من الميت شفاء المريض، ونحو ذلك؛ فجحدوا توحيد الربوبية، فأصبح شركهم أشد من شرك أبي لهب وأبي جهل[2]؛ وقول القائل: يا رسول الله، أُريد أن ترد عيني أو أن يذهبَ مرضي، هذا من شرك التصرف، وهو شركٌ أكبر ناقل عن الملة؛ وأما قول القائل: اشفع لي في كذا سائلًا النبي ﷺ بعد موته، فهو من شرك التقريب والشفاعة، وكلا الأمرين شرك، ولكن الأول أعظم وأشد؛ لأن معناه إشراك رسول الله ﷺ في التصرف[3].

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) التعليق على شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم، تعليق: د. عبد المحسن القاسم (٧١).

(٣) هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١٦٨).

وخلاصة هذه الشبهة، أنه يقول: إنَّ المشركين إنما كفروا بسبب اعتقادهم في الملائكة والأنبياء والأولياء أنهم آلهة مع الله يضرون وينفعون بذواتهم[١]، أما أنا فأطلب منهم، وهم يسألون ويطلبون لي، ويقربوني إلى الله زلفى، لا أطلبهم ذواتهم[٢]، فأنا أتوسل بهم إلى الله، وأسألُ الله وأستشفع به، وأطلب شفاعتهم عند الله[٣]؛ والطلب من الأولياء على أنهم شفعاء ووسطاء لا يعتبر شركًا، إذا كان لا يُعْتَقد فيهم الربوبية ولا النفع ولا الضر ولا يُعتقد أنهم يُعطون من ذات أنفسهم.

وما ذكره هذا المشرك هو عين ما احتج به أعداء الرسل على رسلهم وأنهم لم يصرفوا العبادات لأجل هؤلاء، إنما صرفوها لأجل تحصيل الشفاعة منهم وأنَّ لهم جاهًا عند الله؛ ولذلك قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: (**فجاوبه بما تقدَّم؛ وهو: أنَّ الذين قاتلَهم رسولُ الله ﷺ مُقرُّون بما ذكرتَ لي أيها المُبطلُ، ومقرون أنَّ أوثانهم لا تُدبر شيئًا، وإنما أرادوا ممَّن قصدوا الجاهَ والشفاعةَ**)؛ يعني: جاوبه بما تقدَّم، وهو: أنَّ الكفار والمشركين الذين نزلَ فيهم القرآن، وكفَّرهم الله، وقاتلهم رسوله، كانوا مقرين بنفس ما أقررتَ به، وإنما تعلقوا بالأولياء والصالحين طلبًا للشفاعة، فما ذكرتَهُ لا يختلف عمَّا حكى الله عن المشركين[٥]، فالمشركون مقرون بأنَّ أوثانهم لا تُدبر شيئًا، وأنَّ الله هو النافع الضار وحده، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة فقط، فتعلَّقوا عليهم لأجل جاههم

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٢٨).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٢).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٢).
(٤) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٣٧).
(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٢).

عند الله، وحاصل هذه الشبهة: أنَّ هؤلاء ما زادوا على ما أقرَّ به المشركون الأولون، ولا زاد فعلهم على ما فعله المشركون، بل هؤلاء وهم سواء[١].

فالجواب عن هذه الشبهة من وجوه منها:

الأول: أنَّ هذه المقالة هي من مقالات المشركين الذين كفَّرهم النبي ﷺ وقاتلهم؛ فقَصدُ التسبب الذي زعمه هذا المشرك من أنه يستغيث بغير الله لأجل أن يستغيث هذا الذي سألَه بالله؛ هذا القصد هو عينه الذي كان عليه المشركون الأولون.

والثاني: أنَّ الجاه الذي يكون للصالحين عند الله هو جاهٌ يتعلَّق بهم، وأنت مأمور أن يكون سؤالك ودعاؤك واستغاثتك هي لله وبالله وحده[٢]، فمَن يريد الشفاعة يطلبها من الله، يقول: اللهم شفِّع فيَّ أنبياءك، اللهم شفِّع فيَّ عبادك الصالحين، ويسلك طريقهم، فيعبد الله كما عبدوه، ويدعوه كما دعوه، ويستغيث به كما استغاثوا به، فهم يعبدون الله ويتقربون إليه، فإن كنت صادقًا تريد أن تتبعهم فاعمل كأعمالهم، لا تعبدهم، فهم عبيد مثلك مخلوقون[٣].

قال المصنف: (واقرأ عليه ما ذكرَ اللهُ في كتابه، وَوَضَّحَهُ)؛ يعني: اقرأ عليه الآيات الدالة على إقرارهم بالربوبية؛ واقرأ عليه الآيات الدالة على أنَّ الله كفَّرهم بشركهم في الإلهية، وأنهم ما أرادوا إلا شفاعتهم وتقريبهم[٤].

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٣، ٧٤).

(٢) انظر: شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٧)؛ و(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٤٧).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٣، ٧٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[فإن قال: [إن][1] هؤلاءِ الآياتِ نزلت فيمَن يعبُدُ الأصنامَ، [ونحن لا نعبد الأصنام][2]، كيف[3] تجعلون الصالحين مثلَ الأصنامِ[4]؟ أم كيف تجعلون الأنبياءَ أصنامًا؟**

فجاوبهُ بما تقدَّم؛ فإنه إذا أقرَّ أن الكفارَ يشهدون بالربوبية كُلّها لله، وأنهم ما أرادوا ممَّا[5] قصدوا إلا [القُربَ، و][6] الشفاعةَ، ولكنْ أرَادَ أن يُفرق بين فعلِهِم وفعلِهِ بما ذكَرَ[7].

فاذكُر له: أن الكفار منهم مَن يدعو[8] الأصنام، ومنهم مَن يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧]، ويدعونَ عيسى ابنَ مريمَ، وأمَّهُ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة:٧٥]. واذكُر له قولَهُ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ:٤٠]. ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ [المائدة:١١٦].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) في نسخة القاسم: [فكيف].

(٤) في نسخة الشَّحري: [كيف تجعلونَ الصالحين أصنامًا؟].

(٥) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [ممن].

(٦) زيادة من نسخة دغش.

(٧) في نسخة الشَّحري: [بين فعلِهم وفعلِه بما ذكرَه]. وفي نسخة العصيمي: [فعلِهِ وفعلِهم بما ذكَرَ].

(٨) في نسخة الشَّحري؛ ودغش زيادة: [الصالحين، و].

فقل له: عرفتَ[1] أنَّ اللهَ كفَّرَ مَن قصَدَ الأصنام، وكفَّر أيضًا مَن قصَدَ الصالحينَ، وقاتلَهُم رسولُ اللهِ ﷺ].

الشَّرح

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **شبهتهم الثانية**، ومضمونها: حصرُ الشرك في عبادة الأصنام فقط[2]، فقال: (**فإن قال: إنَّ هؤلاءِ الآياتِ نزلت فيمَن يعبُدُ الأصنامَ، ونحن لا نعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثلَ الأصنامِ؟ أم كيف تجعلون الأنبياءَ أصنامًا؟ فجاوبهُ بما تقدَّم**)؛ أي: في جوابك عليه في الشبهة الأولى، وملخصه: أنَّ المشركين إنما عبَدوا مَن عُبِدوا لطلب الشفاعة والجاه[3]؛ يعني: فإن انتقل المشبه إلى هذه الشبهة، وهي: حصرُ عبادة غير الله في الأصنام، وأنَّ ما سواه فليس بعبادة، فليس مثلهم، وأنه إنما يدعو الصالحين وليس بمشرك؛ فجاوبه بما تقدَّم، وهو: أنَّ المشركين الأولين مقرون بالربوبية، وإنما كانوا مشركين باتخاذهم الوسائط[4]، وقول المشبه هنا: (كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الصالحين أصنامًا)؛ هذه حجة عاطفية، وليست حجة برهانية، وهذا مسلك من مسالكهم، وهو التنفير من أهل التوحيد، بدعوى أنهم ينتقصون الأولياء والأنبياء؛ والعجب من حال هؤلاء القوم كيف أنهم ثارت حميتهم وغاروا على حق الأنبياء والأولياء

---

(١) في نسخة الشَّحري: [أعرفتَ]؛ وفي نسخة دغش: [هل عرفت].

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٤٠).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٥).

الذين يدعونهم ويستغيثون بهم، فيا لله العجب أين غيرتهم على حق الله، وأين غضبهم على انتقاض ربنا جَلَّوَعَلَا حينما جمعوا غيرَه معه في خالص حقه(١).

قال المصنف: (**فإنه إذا أقرَّ أنَّ الكفارَ يشهدون بالربوبية كُلّها لله، وأنهم ما أرادوا ممَّا قصدوا إلا القُرْبَ، والشفاعةَ، ولكنْ أرَادَ أن يُفرق بين فعلِهِم وفعلِهِ بما ذكَرَ**)؛ يعني: أن هذه الشبهة مبنية على التفريق بين فعله وفعلهم من حيث ما يتعلقون به، فيقول: إنَّ هذه الآيات التي ذكرَ اللهُ فيها كفر المشركين؛ إنما كفَّرهم سبحانه؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والجمادات المنحوتة من أحجار أو معادن، ونحن إنما نتعلق ونتوسل بالصالحين، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ أم كيف تجعلون الأنبياء والأولياء مثل الأصنام؟ فالمشركون الأولون إنما يتعلقون بالأصنام المنحوتة بأيديهم، أما نحن فإنما نتعلق بأولياء الله وأنبيائه(٢)؛ فإذا أقرَّ المشبه بذلك، ولكن أراد التفريق بين فعلهم وفعله بأن المشركين يعبدون أصنامًا، وهو لا يعبد صنمًا(٣)؛ (**فاذكُر له: أنَّ الكفار منهم مَن يدعو الأصنام، ومنهم مَن يدعو الأولياءَ الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾** [الإسراء:٥٧]، **ويدعونَ عيسى ابنَ مريمَ، وأمَّهُ، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾** [المائدة:٧٥]. **واذكُر له قولَهُ تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾** [سبأ:٤٠]. **﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ**

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٣).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٦).

يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾ [المائدة:١١٦])؛ بل الذين عبدوا الأصنام لم يعبدوها لأنها صنم، وإنما عبدوا الرمز الذي يرمز له الصنم، وما كان هؤلاء بهذه السذاجة حتى يعبدوا حجرًا، وإنما هذه الأحجار وهذه الأصنام ترمز إلى ما يعظمونهم من الأولياء، وأول شرك وقع في الأرض كان من قوم نوح، حيث صوَّروا أصنامًا على هيئة الصالحين، ثم انقرض ذلك الجيل وأتت الأجيال بعده فعبدوهم من دون الله[1]؛ ومراد المصنف من إيراد هذه الآيات أن يُبيّن أنَّ من الكفار مَن يدعو الأنبياء والأولياء، وهم كفار بذلك؛ كما أنهم كفار بعبادة الأصنام، فلا فرق، فمَن قصد الأصنام فهو كافر، وكذا مَن قصد الأنبياء والأولياء، ومَن فرَّق بينهما في الحكم فقد فرَّق بين متماثلين[2]، فالنبي ﷺ بُعث إلى أناس يعبدون معبودات شتى، ولم يفرق بينهم في الحكم، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومَن بعدهم من التابعين فسروا هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾، بمَن يعبد عيسى أو عزيرًا أو الملائكة أو جنًّا أسلموا، والأقرب العموم، فالآية عامة، ويدل لهذا أنه جاء وصفهم في الآية بأنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا الوصف لا يمكن أن يُقال في حق الأصنام، فدلَّ هذا على أن المقصود بهذا غيره؛ وأيضًا الآية التي بعدها: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾،

---

(١) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٥٠).

هذه الآية في عبادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثم قال المصنف: (**واذكُر له قولَهُ تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾)، وهذه الآية فيها إثبات أنَّ من المشركين مَن كان يعبد الملائكة، ومن الأدلة أيضًا: قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢٠-٢١]، فهذه الآية ليست في الأصنام قطعًا، وإنما هي في الأولياء والصالحين، بدليل أنه قال: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وهذا الاسم الموصول إنما هو يستعمل في حق جمع المذكر العاقل، والأصنام ليست كذلك؛ وأيضًا: هذه الآية فيمَن يُبعث بعد موته، والأصنام ليست ممَّن يموت فيُبعث[1]؛ ويدل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾ [يونس:٢٨-٢٩]، والأحجار لا تتكلم، فهذه الآية صريحة في أنَّ هؤلاء أناس من الصالحين عُبدوا، وأن هؤلاء تعلَّقوا بهم، فيأتي المعبودون فيكفرون بهؤلاء، ويقولون: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾، فهذه الآية صريحة في أنها نزلت فيمَن كان يعبد الأولياء، كمَن يعبد الأنبياء والملائكة والصالحين فيتبرؤن منهم يوم القيامة[2].

وخلاصة هذه الشبهة: أنهم يقولون: إنَّ المشركين كانوا يتوسلون بالأصنام والأحجار؛ ولذلك أصبحوا وحكمَ الله عليهم بأنهم مشركون؛ أما نحن فنتوسل بالأنبياء والصالحين، فكيف تجعلون الأنبياء والصالحين كالأحجار

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

والجمادات التي لا تضر ولا تنفع ولا تملك شفاعة ولا وسيلة[١]؛ **فهذه الشُّبْهَة الثانية حاصلها أمران:**

أما الأمر الأول: فهو أنَّ الآيات التي يَتَحَجَّجُ بها الْمُوَحِّدون مع المشركين في زمن المصنف نازلة فيمَن يعبد الأصنام والأوثان أصالة؛ **وأما الأمر الثاني:** فهو إِذَا سُلِّمَ بتلك المقدمة، فكيف يُلحق بها ما ليس منها، وهو وضع أولياء لهم جاه ومقدار عند الله وسائط بين الخلق وبين الله، خلافًا لأولئك في زمن النبي ﷺ، فإنهم وضعوا أصنامًا وأوثانًا، **والجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة وجوه:**

الأول: بيان أنَّ المشركين الأولين لم يعبدوا كلهم الأصنام مباشرة، وإنما عبدوا الأصنام على أنها تماثيل لأولئك الصالحين، كما صنع قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عبدوا تلك الأصنام على أنها تماثيل لأولئك الصالحين[٢]، فعبادة الأصنام في واقع الأمر لم تنشأ إلا بسبب عبادة الصالحين، فقولهم: عبادة الصالحين غير عبادة الأصنام كلام باطل؛ لأن الأصنام أصلًا إنما نُصبت على صور الصالحين في المقام الأول[٣].

والثاني: أنَّ المشركين الأولين ليسوا كلهم يعبدون الأصنام فقط، وإنما منهم مَن يعبد الأنبياء، ومنهم مَن يعبد الصالحين، ومنهم مَن يعبد الملائكة؛ دون أن يوسط بينه وبينهم صورهم وتماثيلهم[٤]، وأنَ الآيات منها ما نزل فيمَن

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٣).

(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٣).

يعبد الأولياء، وبعضها فيمَن يعبد الأنبياء، وبعضها فيمَن يعبد الملائكة، وأنها ليست منحصرة فيمَن يعبد الأصنام فقط، فلا فرق بين المعبودات، بل الكل تسوية المخلوق بالخالق، فالكل شرك، والكل مشركون(١).

والثالث: أنَّ النبي ﷺ لم يخص إنكاره بمَن عبدَ الأصنام، بل أنكر على كل مَن دعا غير الله، فأنكر على مَن دعا الأنبياء، كعيسى؛ أو دعا الصالحين، كاللَّات؛ أو دعا الملائكة، كجبريل، فلم تكن دعوته ﷺ إبطال دعاء الأصنام فقط، بل إبطالُ دعاء كل أحد سوى الله، فدعاء هؤلاء الأولياء باطلٌ في دينه ﷺ كبطلان دعاء الأصنام(٢).

وخلاصة الجواب بصيغة أخرى: النفي والتسليم:

فالمقصود بالنفي: نفي ما ذكروا أنَّ الأولين كانوا يعبدون الأصنام فقط، بل كانوا يعبدون غير الأصنام من الأنبياء والأولياء، بل الأصنام ذاتُها كانت رمزًا على غيرها من المعظمين.

والمقصود بالتسليم: أننا لو سلمنا بأنهم كانوا يعبدون الأصنام فقط، فالكل باطل؛ لأن الشرع أبطل صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله مهما كان، فالأولون لم يكفروا بعبادة الأصنام؛ لاعتقادهم أنها ترزق وتنفع وتضر، فهذا يرده القرآن، ولكن لأجل صرف أنواع العبادات لها، كالدعاء والذبح وغيرها، وهذا ما يفعله المتأخرون عند القبور، فاستويا في العلة(٣).

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٧٩).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٨).

(٣) المشكاة في شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد العزيز الباتلي (٩٦).

فيكون الجواب عن هذه الشبهة من ثلاثة أوجه:

أولها: وهو جوابٌ بالمنع، فنقول: لا نسلم لهم أنَّ الشرك منحصرٌ في عبادة الأصنام، فلا فرقَ بين الأصنام وغيرها في هذا المقام، فزعمهم حصر الشرك في عبادة الأصنام هذا زعمٌ غير صحيح.

والثاني: لو سلمنا جدلًا أنهم ما عبدوا إلا الأصنام، فقد علمنا سابقًا أن الأصنام مقصودة لغيرها لا لذاتها، فهي عُبدت لغيرها لا لذاتها غالبًا.

والثالث: أن يُقال: إنَّ الأدلة جاءت مطلقة في الأمر بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، ولم تُقَيد بشيء، ولم يُسْتَثن منها شيء، كما جاءت ناهيةً، فجاءت الأدلة بالنهي العام الذي لم يُخص، ولم يُستَثن منه شيء في النهي عن عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ[١].

قال المصنف: (**فقل له: عرفتَ أنَّ اللهَ كفَّرَ مَن قصَدَ الأصنام، وكفَّر أيضًا مَن قصَدَ الصالحينَ، وقاتلَهُم رسولُ اللهِ ﷺ**)؛ حتى تكون العبادة لله وحده، ولم يُفرق ﷺ بين مَن عبدَ شجرًا أو حجرًا، ومَن عبد صالحًا[٢]؛ وبذلك انكشفت شبهته واندحضت حجته، وأنه في غاية الجهالة عما جاء به الرسول ﷺ[٣]؛ أي: أنَّ هذا إبطالٌ لشبهته، وهو يستلزم من هذا أنه لا فرق بين عبادة الصنم وبين عبادة الولي؛ وبين عبادة الملك وبين عبادة الرسول والنبي، وأن المشركين

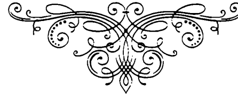
---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٠).

كانوا مختلفين؛ منهم مَن كان يعبد الملائكة، ومنهم مَن كان يعبد الأنبياء، ومع ذلك قاتلهم رسول الله ﷺ جميعًا ولم يفرق بين عابدِ صنم وعابدِ ولي، وعابدِ نبي وعابدِ ملك[1].



(١) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإن قال: الكفار يريدونَ منهمُ [النفعَ والضُّرَّ][(١)]، وأنا أشهدُ أنَّ اللهَ [هو][(٢)] النافعُ الضارُّ المدبرُ، لا أُريدُ إلا منهُ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيءٌ، ولكن أقصِدُهُم أرجو من الله شفاعتَهُم.

فالجوابُ: أنَّ هذا قولُ الكفارِ، سواءٌ بسواء.

فاقرأ عليه[(٣)] [قولَهُ تعالى][(٤)]: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، **وقولَهُ تعالى:** ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]].

الشَّرْح

ذكر المصنف **شبهتهم الثالثة**، وهي: شبهة اتخاذ الوسطاء والشفعاء؛ وهذه الشبهة هي شبهة المشركين التي اعتمدوا عليها قديمًا وحديثًا[(٥)]، ومضمونها: أنَّ التوجه بالعبادة لغير الله قصدًا للشفاعة ليس بشرك[(٦)]، فقال: (**فإن قال: الكفار يريدونَ منهمُ النفعَ والضُّرَّ، وأنا أشهدُ أنَّ اللهَ هو النافعُ الضارُّ المدبرُ، لا أُريدُ إلا منهُ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيءٌ، ولكن أقصِدُهُم أرجو من الله شفاعتَهُم**)، فإذا قال المشرك الذي يغلو في

(١) زيادة من نسخة العصيمي.

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٣) في نسخة القاسم: [واقرأ عليه].

(٤) في نسخة دغش: [قولَهُم].

(٥) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٥٣).

(٦) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

الصالحين، ويتعلق بهم، ويدعوهم من دون الله: الكفار كانوا يطلبون من أولئك الصالحين قضاء الحاجات، كشفاء المرضى، والنصر على الأعداء، وأنا أعلم أنَّ الله تعالى هو النافع الضار، وأن الصالحين ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أريد إلا الله، ولكني أتوجه إليهم أطلب من الله بشفاعتهم(١)، ومراد هذا المجادل: أنَّ دعاء هؤلاء الصالحين مجرد سبب، فهم طريق موصلٌ إلى رحمة الله(٢)؛ يعني: إذا قال: إنَّ الكفار الذين نزل فيهم القرآن يريدون من الآلهة التي يدعون، ويطلبون منهم؛ لأنهم أبواب حوائجهم إلى الله، فهم يباشرونهم بالعبادات، وأنا إنما أقصدهم ليطلبوا لي من الله الشفاعة(٣)؛ فالكفار يريدون من معبوديهم مباشرة، وأنا غير الكفار؛ فأنا أشهد أنَّ الذي ينفع ويضر هو الله، ولكن أنا أرجو بذبحي للصالحين، ودعائي لهم، وطوافي بقبورهم، وأنواع الدعاء التي أفعلها عند قبورهم؛ أرجو شفاعتهم، فأنا أختلف عن الكفار؛ لأن الكفار في زعمه يقولون: هؤلاء هم الذين ينفعون ويضرون استقلالًا(٤)، وسبب هذه الشبهة: أنهم لما ظنوا أولًا: أنَّ شرك الأولين هو اعتقاد الربوبية لغير الله؛ أي: اعتقاد النفع والضر لغير الله؛ ظنوا ثانيًا: أنهم إنما كانوا يعبدون غير الله لأجل النفع والضر(٥)، وخلاصة الشبهة: أنه يقول: الكفار السابقون يريدون من

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٥).

(٢) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (١٢١).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨١).

(٤) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٥) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣١).

معبوداتهم النفع والضر، وأنا لا أريد من الصالحين أن ينفعوني أو يضروني، إنَّما أعتقد أنَّ النافع والضار هو الله، لكني أريد من الصالحين الشفاعة والقربى فقط؛ فهم أقرب مني إلى الله، ولهم جاه ومنزلة عنده، فهم ينقلون حوائجي إليه، ويقربوني منه[(١)]؛ يعني: من شبهتهم أنهم يقولون: إذا أتيت إلى ميت وقلت له: يا فلان، اشفع لي عند الله أني أدخل الجنة، ولا أدخل النار، يقولون: هذا ليس بشرك، وإنما الشرك منحصر في عبادة الأصنام، وفي غير طلب الشفاعة، فلو طلبت أن يشفيني فهذا شرك، أما طلب الشفاعة فليس بشرك[(٢)].

قال المصنف: (فالجوابُ: أنَّ هذا قولُ الكفارِ، سواءٌ بسواء)؛ يعني: مقالتك هذه هي مقالة المشركين السابقين سواء بسواء؛ فالكفار السابقون لا يريدون منهم النفع والضر، ولا يعتقدون أنهم يخلقون أو يرزقون أو يدبرون، فهم يعتقدون أن الله هو الذي يدبر الأمر ويرزق ويحيي ويميت، ولكن يطلبون منهم الشفاعة والقربى[(٣)]، فهذه الدعوى هي دعوى المشركين الأولين الذين أكفرهم النبي ﷺ وقاتلهم، والشفاعة يختص ملكها بالله وحده، فالشفاعة كلها ملك لله، ولا تُطلب إلا منه، ولا تنفع الشفاعة إلا بإذنه[(٤)]، فالكفار الأولون يؤمنون بأن الصالحين لا ينفعون ولا يضرون، وإنما يتعلقون بهم ليشفعوا

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣١٢).

(٢) التعليق على شرح كشف الشبهات للشيخ محمد بن إبراهيم، تعليق: د. عبد المحسن القاسم (٧٨).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣١٢).

(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٤٨).

لهم عند الله[١]؛ يعني: فإن قال المشرك: الكفار يريدون منهم أن ينفعوهم أو يضروهم، وأنا لا أريد إلا من الله تعالى، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، وأنا لا أعتقد فيهم، ولكن أتقرب بهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ليكونوا شفعاء، فقل له: وكذلك المشركون الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ هم لا يعبدون الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر، ولكنهم يعبدونهم لتقربهم إلى الله زلفى؛ كما أن قول المشرك: ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم؛ يناقض دعواه أنه لا يريد إلا من الله تعالى، فمَن قصدَ غير الله تعالى فهو معرضٌ عن الله تعالى وعبادته ورجائه[٢].

قال المصنف: (فاقرأ عليه قولَهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، وقولَهُ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨])؛ يعني: واقرأ عليه هاتين الآيتين، فهاتان الآيتان تدلان على أنَّ المشركين يؤمنون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر، ولكنهم يتخذون الصالحين وسائط يطلبون شفاعتهم عند الله، والمشركون لا يريدون شفاعة مَن يعبدونهم من الأنبياء والصالحين يوم القيامة؛ لأن المشركين الأولين لا يقرون بالبعث، إنما يريدون شفاعتهم في الدنيا، فيعبدونهم ويتقربون إليهم، ويريدون شفاعتهم لقضاء حوائجهم في الدنيا[٣]، ففي الآية

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٥).

(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٥٣).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٥).

قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٨): (أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]؛ أي: إنما يحملهم على عبادتهم=

الأولى حصْرُ مطلوبهم، وهو شيءٌ واحد؛ يقولون: ليس لنا صلاحية السؤال من الله، فنطلب منهم، وهم يطلبون لنا من الله؛ ليقربونا إلى الله زلفى، وفي الآية الثانية: بيان أنه ليس لهم قصدٌ إلا شيء واحد، وهو طلب الشفاعة إلى رب الجميع(١)، ففي هذه الآية يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، فهم ما زعموا في هؤلاء الذين يعبدونهم أنهم يخلقون ويرزقون، وإنما عبدوهم على أنهم شفعاء، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢ﴾ [الأحقاف:٢٨]؛ أي: اتخذوا آلهة تقربهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ ما اتخذوهم على أنها تخلق وترزق وتدبر الأمر(٢)، فالمشركون الذين بُعث فيهم رسول الله هم لا يعبدون هؤلاء الأصنام لاعتقادهم أنها تنفع وتضر، ولكنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى(٣)؛ فهذا عين ما وقع فيه المشركون، ومن المشركين مَن كان يطلب منهم ويقصدهم، ومنهم مَن كان يطلب بهم، ولا فرق في ميزان الشارع بين أن تطلب به أو تطلب منه؛ فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ نهى العباد عن جميع صور الشرك وأنواعه(٤)؛ يعني: فإن قال المشبه: (الكفار يريدونَ منهمُ

= لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به).

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٢).

(٢) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

(٣) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٦٤).

(٤) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٤٢).

النفعَ والضُّرَّ)، فنقول له: الصواب أن الكفار يريدون منهم ما تريدون أنتم من أوليائكم ومعبوديكم سواء بسواء، وإن قال: (وأنا أشهدُ أنَّ اللهَ هو النافعُ الضارُّ المدبرُ)، فنقول له: وهذا ما قد قالوه قبلكم فلم ينفعهم ذلك؛ فإن قال: (لا أُريدُ إلا منهُ)، فنقول: هذه جملةٌ تُناقضُ الذي جاء بعدها، فكيف تقول يا هذا: لا أُريد إلا منه، ثم تقول: (ولكن أقصِدُهُم أرجو من الله شفاعتَهُم)، فلو كنت تريد أو لا تريد إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لقصدته، ولأسلمت له وجهك وجوارحك، ألا ترى أن الله يكفيك؟ أليس الله بكافٍ عبده؟ إذًا ما حاجتك أن تذهب إلى غيره فتسأله، وهل هذا إلا دليلٌ على كذبك في قولك: لا أريد إلا منه، فما قاله المتأخرون من المشركين هو ما قاله المتقدمون سواء بسواء؛ إذًا دعواكم أنَّ مَن توجَّه بالعبادة لغير الله زاعمًا أنه إنما يقصد الشفاعة، وزاعمًا أنه يدعو هذا الولي ويدعو هذا الشفيع من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليكون منه التسبب، وأما الإيجاد فمن الله، فهذه في الحقيقة هي دعوى المشركين الأولين، وإنما الفرق في التعبير، فأولئك يقولون: هذا يُقرب إلى الله زلفى، وهذه شفاعة؛ والمتأخرون يقولون: هذا تسبب، هذا توسل، هذا توسط، هذا طلبُ شفاعة[1].

وخلاصة هذه الشبهة: أنهم يقولون: إنَّ الأولين كانوا مشركين؛ لأنهم يريدون النفع من غير الله، وأما نحن فنريد النفع من الله، وإنما ندعو الصالحين ليشفعوا لنا عنده، **وخلاصة الجواب عليها:** أنَّ المشركين الأولين كذلك يريدون النفع من الله، وإنما دعوا الصالحين ليشفعوا لهم عنده؛ فعُلم بذلك أنه لا فرق

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

بين فعلهم وفعل المشركين الأولين(١).

وهذه الشبهة وأنهم ما قصدوا إلا الشفاعة تحتاج إلى شيء من التقرير: فإنَّ المشركين وأشباه المشركين والمدافعين عن المشركين يقولون: إنَّ الأسباب جعلها الله جَلَّوَعَلَا منتجة لمسبباتها، فجعلَ الأكسية سببًا في دفع الحر ودفع البرد، وجعل القلم سببًا للكتابة، وجعل الطعام سببًا لدفع الجوع، وجعل الشراب والماء سببًا لدفع الظمأ، إلى آخر ذلك، قالوا: فكيف يعقل أن تكون هذه الأسباب نافعة، والأنبياء والأولياء والصالحون بعد الموت لا ينفعون؟ فلا شك أنهم أعظم قدرًا وسببيّتهم أعظم من هذه الأشياء، فكيف يُقال: إن الطعام ينفع والنبي ﷺ لا ينفع كما يقولون؟ أو إن الأولياء والصالحين لا تنفع؟ فيدخلون لك في تقرير الشفاعة والتوسل من جهة الأسباب والارتباط بالمسببات؛ وجواب هذا يكون بمعرفة حال المشركين، فإن المشركين حين أشركوا، ما أرادوا إلا أن يتخذوا هذه الأسباب مسبِّبات، فحينما توجهوا إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإلى أمه، وإلى اللات، وإلى الصالحين وإلى القبور لم يتوجهوا إليها وهم يعتقدون فيها الاستقلالية، وإنما اعتقدوها أسبابًا، فإذًا شبهة السببية هي مقدمة شبهة الشفاعة، فإنهم يقررون السببية حتى يصلوا منها إلى أنه لا بأس أن تتشفع برسول الله ﷺ، أو تتشفع بالأولياء والصالحين، وفهمُك لعبادة المشركين يقضي على هذه الشبهة من أساسها، وتستطيع بفهمك لعبادة المشركين أن ترد على مَن أتى بهذه الشبهة التي هي مقدمة للقول بالشفاعة(٢).

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٦٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٢٣).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [**واعلم: أنَّ هذه الشُّبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندهم؛ فإذا عرفتَ أنَّ الله وضَّحَها في كتابه، وفَهِمتَها فهمًا جيدًا؛ فما بعدَها أيسرُ منها**].

الشَّرْح

بعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الشبه الثلاث والرد عليها، وبيَّن ضعفها؛ ناسب أن يذكر منزلة هذه الشبه بالنظر إلى الشبه الباقية[(١)]، فقال: (**واعلم: أنَّ هذه الشُّبهَ الثلاثَ هي أكبرُ ما عندهم؛ فإذا عرفتَ أنَّ الله وضَّحَها في كتابه، وفَهِمتَها فهمًا جيدًا؛ فما بعدَها أيسرُ منها**)؛ لأن هذه من أقوى الشبه التي يُلبسون بها[(٢)]، وهذا فيه إشارة إلى أنه ينبغي الحرص والاعتناء بمعرفة هذه الشبه الثلاث وفهمهما فهمًا جيدًا مع أجوبتها؛ لأن هذه الشبه هي أكبر ما عندهم، وإذا كانت هذه الشبه هي أكبر ما عندهم على وضوحها كما رأيت، وسهولة الرد عليها، فما بعدها من باب أولى أن تكون أيسر وأسهل؛ وهذا فيه تهوين لينشط لما سيذكره المصنف في رسالته، وهذا غاية الجودة والإتقان في فن التأليف والتصنيف[(٣)].

فهذه هي الشبهات الثلاث، وهي: شبهة انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية؛ وشبهة حصر الشرك في عبادة الأصنام؛ وشبهة أن الكفار يريدون منهم وأنه لا يريد منهم إلا الشفاعة[(٤)]، **فالشبهة الأولى**: قولهم: إنَّ الأولياء

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٦٣).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٦٥).

(٣) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١١٦).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٣).

والصالحين لهم جاه عند الله، ونحن نسأل الله بجاههم ومكانتهم عنده؛ **والشبهة الثانية:** قولهم: هناك فرق بيننا وبين مشركي قريش، فنحن ندعو الصالحين، ومشركو قريش يدعون الأصنام؛ **والثالثة:** قولهم: نحن نطلب الشفاعة، وطلبها ليس شركًا، والمشركون يطلبون جلب النفع ودفع الضر، وهذا هو الشرك، فالكفار يريدون المنفعة ودفع المضرة، ونحن نريد منهم الشفاعة فقط، وهذه الشبه الثلاث وضَّحها الله جَلَّوَعَلَا في كتابه، فمَن فهمها جيدًا، واعتنى بها، سهُل عليه فهم ما بعدها من الشبه[١]، فإذا عرفت بطلان هذه الشبه الثلاث عرفت أن ما بعدها أسهل منها، فإذا قال: المشركون يشركون مع الله في الخلق والرزق، وأنا لا أشرك بالله شيئًا، فأنا أعتقد أن الله هو الخالق الرازق: فتُبين له أنهم ما أشركوا في الخلق، فهم يعرفون أن الله هو الخلاق الرزاق؛ كذلك إذا قال: الشرك عبادة الأصنام: فتُبين له أن المشركين عبدوا الأصنام وغير الأصنام؛ فإذا قال: أنا لا أعبد الصالحين وإنما أتقرَّب إليهم ليشفعوا لي، فقل: هذا قصد المشركين، فهم لم يعبدوهم لأنهم يخلقون ويرزقون، وإنما عبدوهم ليشفعوا لهم، وليتقربوا إليهم، وليقربوهم إلى الله زلفى[٢].

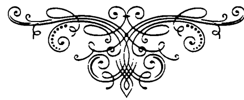
وهذه الشبه الثلاث قريبةٌ من بعض، ومترتبةٌ على بعض، وأصلها واحد، وهو الخلل في معرفة شرك كفار قريش[٣]، والشبهة الثالثة تشبه الشبهة الأولى، إلا أنَّ ألفاظها وعباراتها تختلف، ولعل المصنف كررها باعتبار أنهم

(١) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٤٨)؛ والتوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١١٦).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٥٤).

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٢).

تارة يعبرون بهذا، وتارة يعبرون بهذا[١]، فقد يكون المصنف كرَّرها ولاحظ اختلاف التعبير، فإنَّ المشركين قد يعبرون بما عُبر به سابقًا، وقد يعبرون بألفاظ أخرى كالتي بين أيدينا؛ وقد يُقال: إن بين الشبهتين فرقًا، فالشبهة الأولى مضمونها: انتفاء الشرك مع الإقرار بتوحيد الربوبية أو الرد على مَن زعم أن الشرك محصور في الشرك في الربوبية، وجرى ذكر الشفاعة وطلب القربى تبعًا لهذا المقصود، وإلا فالأصل والمقصود من هذه الشبهة هو الأمر الأول؛ أما في الشبهة الثالثة فالموضوع يتعلق بالرد على مَن زعم أن الدعاء والعبادة والتوجه بذلك لغير الله جَلَّوَعَلَا، إذا كان بقصد الشفاعة فإنه ليس بشرك[٢]، فالشبهة الثالثة قريبةٌ جدًّا من الشبهة الأولى، وهي: أنهم يعتقدون أنَّ الشرك هو في التوجه إلى الصالحين مع اعتقاد أنهم ينفعون ويضرون، وأمَّا إن توجهوا إليهم مع اعتقادهم أن الله هو النافع الضار وحده، وإنما أرادوا منهم أن يشفعوا لهم عند الله فقط لما لهم من الجاه والمكانة، فليس هذا بشرك، كما يزعمون[٣]، فالفرق بينهما: أنهم في الشبهة الأولى اعتمدوا على الجاه، وفي هذه الشبهة اعتمدوا على الشفاعة[٤].



(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٦).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣١).
(٤) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٤٢).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا الله، وهذا الالتجاءُ إلى الصالحين[١]، ودعاؤهُم ليس بعبادةٍ. فقل له: أنت تقرُّ أن الله فرضَ[٢] عليك إخلاصَ العبادة [لله][٣]، [وهو حقُّهُ عليك][٤]؟

فإذا قال: نعم. فقل له: بَيِّنْ لي هذا [الفرض][٥] الذي فرضَهُ[٦] اللهُ عليك، وهو إخلاصُ العبادة [لله][٧] [وحده][٨]، وهو حقُّهُ عليك؛ فإنه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَهَا؛ فبينها [له][٩] بقولك: قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥].

فإذا أعلمتَهُ بهذا[١٠]، [فقل له][١١]: هل هو عبادةٌ لله تعالى؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم، والدعاء مخُّ العبادة[١٢].

فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادةٌ، ودعوتَ اللهَ ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم

---

(١) في نسخة دغش، والعصيمي، والقحطاني: [وهذا الالتجاء إليهم].
(٢) في نسخة الشَّحري: [افترض].
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي.
(٦) في نسخة القاسم: [فرضَ]
(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(١٠) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إذا عَلِمتَ بهذا].
(١١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(١٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والدعاءُ مِنَ العبادةِ].

دعوتَ في تلك الحاجَةِ نبيًّا أو غيرَهُ؛ هل أشركتَ في عبادة الله غيرَهُ؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له[١]: قالَ اللهُ تعالى[٢]: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢]، [فإذا][٣] أطعتَ[٤] اللهَ ونحرت له؛ هل [هذه][٥] عبادةٌ؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له: [إذا][٦] نحرتَ لمخلوقٍ: نبي، أو جني، أو غيرهما؛ هل أشركتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلا بدَّ أن [يُقرَّ، و][٧] يقولَ: نعم.

وقل[٨] له أيضًا: المشركون الذين نزلَ فيهم القرآنُ؛ هل كانوا يعبدونَ الملائكةَ والصالحينَ واللاتَ وغيرَ ذلك؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتُهم إياهم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحوِ ذلك؟ وإلا فهُم مقرُّون أنهم عبيدٌ[٩] تحتَ قهرِ اللهِ[١٠]، وأنَّ اللهَ هو الذي يُدبر الأمرَ، ولكن دعَوْهُم والتجؤُوا إليهم للجاه والشفاعةِ، وهذا ظاهرٌ جدًّا].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٢) في نسخة دغش: [إذا قال الله:]. وفي نسخة الشَّحري: [فإذا قال الله].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.

(٤) في نسخة القاسم: [صَلَّيتَ].

(٥) في نسخة دغش؛ والقاسم: [هذا].

(٦) في نسخة دغش: [فإذا].

(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري.

(٨) في نسخة دغش: [فقل].

(٩) في نسخة دغش؛ والقاسم؛ والقحطاني: [عبيده]. وفي نسخة الشَّحري: [عبيد الله].

(١٠) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [وتحت قهره]؛ وفي نسخة القحطاني: [وتحتَ قهرِ الله].

الشَّرْحُ

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهة أخرى لبعضهم، وهي **الشبهة الرابعة** من شبه المشركين الذين يغلون في الصالحين[١]، ويقولون: إنَّ الالتجاء إليهم ودعاءهم والذبح لهم، ليس عبادة لهم[٢]؛ ومضمون هذه الشبهة: أنَّ الدعاء ليس عبادة[٣]، فيقولُ هؤلاء الجهال: إنَّ ما نفعله ليس بعبادة، فهذه الاستغاثة بغير الله، وهذا الدعاء، وهذا الذبح، وهذا النذر لغير الله، ليس بعبادة، فهم ينفون أن يكون ما هم عليه عبادة لغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتأتي إلى الرجل عند ضريحِ وليٍّ أو مَن يعتقد أنه ولي وهو يعبده من دون الله يذبح له وينحر له، ويطوف حول قبره، ويدعوه ويستغيث به ثم يقول: هذه ليست عبادة، أنا لا أعبد إلا الله[٤]، **وهناك شبهتان يُلبسُ بهما القبوريُّون في هذا المقام ويعتمدون عليهما في إضلال الناس:**

الأولى: شبهة عامة تتعلق بمعنى العبادة عمومًا، فيقولون: العبادة هي: التوجه بالطاعة مع اعتقاد استقلال التأثير والتدبير في المتوجَّهِ له، وبعبارة أخرى يقولون: العبادة: الخضوع مع اعتقاد الربوبية. وعليه فمَن عبَد؛ أي: توجه بعبادةٍ لغير الله عَزَّوَجَلَّ وهو لا يعتقد الربوبية، ولا يعتقد الاستقلال بالتأثير والتدبير دون الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ هذا لا يكون شركًا أكبر، وإنما يكون شركًا إذا

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥٦).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٤).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٥٦).

اجتمع الأمران، فلا عبادة إلا مع اعتقاد الاستقلال بالتأثير، ولا يقع الشرك إلا ممن وقعت منه العبادة بهذا القيد، قالوا: وهذا هو مُعتقد المشركين الذين جاء تكفيرهم في الكتاب والسنة، فالمشركون ما كفروا لكونهم عبدوا غير الله، وإنما لكونهم عبدوا غير الله مع اعتقاد الربوبية في الآلهة التي عبدوها.

وكل الذي ذكروه باطل، فهذا الذي ذكروا من جهة التعريف غير صحيح ولا دليل عليه، بل هو بدعة لغوية وبدعة شرعية، فلا يوجد في لغة العرب أنَّ العبادة بهذا المعنى، وإنما العبادة في لغة العرب: الخضوع والذل، وكذلك في الشرع، بل كلُّ ما تدل عليه النصوص أنَّ مَن توجَّه بالطاعة التي أمرَ الله بها لله فإنه يكون عابدًا له، ومَن توجَّه بهذه الطاعة التي أمرَ الله بها أو رسوله ﷺ لغير الله فإنه يكون مشركًا، والمسلمون مجمعون على أنَّ مَن عبد غير الله مع اعتقاد التأثير أو مع عدم اعتقاد التأثير، فإنه يكون مشركًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والثانية: شبهة خاصة تتعلق بالدعاء خاصة، وهي زعمهم أنَّ الدعاء ليس عبادة، وإنما العبادة عندهم: السجود، والصلاة، والصيام؛ أما الدعاء فليس عبادة، وهذا يكررونه كثيرًا، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابتدأ به في بيان هذه الشبهة[1]، فقال: (**فإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ، وهذا الالتجاءُ إلى الصالحين، ودعاؤهُم ليس بعبادةٍ**) لهم؛ يعني: إذا كان يعترف أن العبادة حق لله جَلَّ وَعَلَا، وأنه لا يجوز عبادة غير الله، ولكنه يقول: الالتجاء ليس من العبادة، فهو جائز[2]؛ فهنا جحدَ أنه صادرٌ منه شرك[3]، وقول هذا المشبه: (أنا لا أعبد إلا الله) يوضح لك سبب

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٨٠).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٤).

وقوعهم في مثل هذه الشبهة، وهو عدم إدراكهم للمعنى الصحيح للعبادة؛ فمنهم مَن لا يعرف معنى العبادة مطلقًا، ومنهم مَن يظن أن معنى العبادة هو اعتقاد الربوبية لله تعالى(١)، فهو يزعم ويدعي ويقول: (أنا لا أعبد إلا الله)؛ أي: أنَّ عبادتي كلها خالصة لله، لا أجعل معه شريكًا في شيء منها، ويلتجئ لغير الله ويدعو غير الله، ويُخْرج الالتجاء لغير الله ودعاء غير الله من مفهوم العبادة، ويزعم أنه ليس داخلًا في العبادة(٢)، وهذا هو أصل الشبهة، والجديد هو قولهم: (ليس بعبادة)، وهو إنكار أنَّ الالتجاء إلى الصالحين عبادة، وهذه الشبهة تشبه بعض الشبه المتقدمة، لكنها صيغت بعبارة أخرى، فقوله: (أنا لا أعبد إلا الله)، مثل ما تقدم من قوله: (أنا لا أشرك بالله)، فإذا قال ذلك(٣)، **(فقل له: أنت تُقرُّ أنَّ الله فرضَ عليك إخلاصَ العبادة لله، وهو حقُّهُ عليك؟ فإذا قال: نعم)**، فتسأله وتقول له: هل تقر بذلك(٤)، ولا بد أن يقول: نعم، فلا يمكنه جحد ذلك، وإن جحد ذلك كفانا مؤنةَ الرد عليه(٥)، فإنه إذا قال: لا، فيكون مكذبًا لما جاء في الكتاب والسنة، وهذا مكابرة(٦)، فلا يمكن لأحد يؤمن بالله ورسوله ينكر أنَّ الله افترض عليه إخلاص العبادة؛ لأنَّ الله نصَّ في كتابه فقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]، وأما كون إخلاص

---

(١) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١١٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (١٥٨، ١٥٩).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٨).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٣٢).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٤).

(٦) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٥٧).

العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حقه، فكما جاء في حديث معاذ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» فهو أمره وحقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[١].

وهذه الشبهة ترتَّبت على مرتبتين: الأولى: زعمه أنه لا يعبد إلا الله، **والمرتبة الثانية**: زعمه أنَّ الالتجاء للصالحين ودعاء الصالحين بأنواع الدعاء من الاستغاثة والاستعانة والاستشفاع إلى آخره أنه ليس بعبادة، والثانية هي التي قادتهم إلى الأولى؛ فلأجل عدم وضوح الثانية قالوا: إنهم لا يعبدون إلا الله؛ فلهذا ابتدأ المصنف بالثانية؛ لأنها وسيلةُ إثبات خطأ المرتبة الأولى[٢]، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فقل له: بَيّنْ لي هذا الفرض الذي فرضَهُ اللهُ عليك، وهو إخلاصُ العبادة لله وحده، وهو حقُّهُ عليك**)؛ يعني: قل له: أنت الآن تُقر أنَّ الله قد فرض عليك أن تعبده وحده لا شريك له، وأن تخلص له العبادة، فيقول: نعم، فقل له: بيِّن لي هذه العبادة؛ فإنَّ الذي لا يعرف العبادة، ولا يعرف أنواعها لا يمكن أن يحكُمَ على نفسه بأنه ليس بمشرك[٣]؛ فإذا سألته عن حقيقة ما فرضه الله عليه، وهو يعلم ويقر أنَّ الله افترض عليه إخلاصها؛ (**فإنه لا يعرفُ العبادةَ، ولا أنواعَهَا**)؛ إذ لو عرفها وأنواعها لما نفاها عن نفسه، ولما قدَّم على عبادة الله غيره؛ لكنه من أجهل الجاهلين[٤]، وأكثر المشركين جُهَّال لا يعلمون معنى العبادة، ولا يعلمون معنى الإخلاص، ولا يعلمون معنى الذي فرض

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٤٤).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٣٢).

(٣) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٥٨).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٤).

الله جَلَّوَعَلَا عليهم؛ ولهذا فإذا سألته عن هذه فإنه لن يجيب؛ بل سيقول: لا أعرف معنى العبادة أو لا أعرف جواب هذا، بل إخلاص العبادة لله أن أُصلي لله وأزكي لله وأشباه ذلك، فإنه يجعل الإخلاص في بعض الصور[١]، فحينئذٍ (**فبينها له بقولك: قال الله تعالى:** ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف:٥٥])؛ يعني: بينْ له أنَّ الدعاء والطلب عبادة، فالعبادة حقيقتها: ما أُمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، وقد أمرنا الله تعالى بدعائه وحده، وهذه الآية تُفيد ذلك[٢]، فإذًا تبين لك بهذا الدليل أنَّ الدعاء عبادة[٣]، (**فإذا أعلمتَهُ بهذا، فقل له: هل هو عبادةٌ لله تعالى؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم**)؛ يعني: فإذا أعلمته أن الآية تدل على أنه عبادة، فلا يمكنه أن يجحد، فإذا جحد سقط الكلام معه[٤]، (**والدعاء مخُّ العبادة**)، وهذه جملة استطرادية؛ يعني: أنَّ الدعاء لب العبادة، فإن العبادة أنواع، وأعظم أنواعها الدعاء، والخصم لا بد أن يُقرَّ أنَّ دعاء الله وحده عبادة؛ ولهذا قال المصنف: (**فقل له: إذا أقررتَ أنها عبادةٌ، ودعوتَ اللهَ ليلًا ونهارًا، خوفًا وطمعًا، ثم دعوتَ في تلك الحاجَةِ نبيًّا أو غيرَهُ؛ هل أشركتَ في عبادة الله غيرَهُ؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم**)، إلا أن يكون مكابرًا؛ لأنَّ عين الشيء سأله الله جَلَّوَعَلَا، ودعا به الله وحده طمعًا وخوفًا ورجاءً ليلًا ونهارًا، ثم توجه به إلى غير الله في الحاجة عينها[٥]، فإن كان عنده التفات إلى

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٣٣).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٥).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٩).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٥).
(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٤٠).

الدليل؛ فإنَّ من لازم إقراره بالأولى إقراره بالثانية، فبذلك انكشفت شبهته(١)، فإذا سلَّم أنَّ الدعاء عبادة، وأنه إن دعا الله، ودعا معه غيره؛ فقد أشرك معه في عبادته، فإنه قد اعترف بأن هؤلاء مشركون(٢)، وإذا كان مَن دعا غير الله ولو مرة واحدة في العمر يكون مشركًا مع أنه يدعو الله في الليل والنهار، فكيف بالذي يلهج دائمًا بذلك(٣).

والخلاصة: أنك إذا أردت أن تُفسِّر العبادة، فقل لهذا الذي لا يعرف تفسيرها: أليس المشركون كانوا عابدين للأصنام؟ وهذا معلومٌ من الدين بالضرورة ولا يمكن إنكاره؛ فإذا تقرَّر ذلك فما هي الأفعال التي فعلوها عند الأصنام وسُمِّيت عبادة؟ هل كان المشركون يذهبون للأصنام ويقولون: أنتم خلقتمونا، أنتم رزقتمونا وأنتم أطعمتمونا ويذهبون؟ أم كان بالذبح والنذر والطواف والاستغاثة والدعاء والاستسقاء ونحو ذلك، والجواب الثاني، فهذه كلها عبادة المشركين لأصنامهم، ومعنى هذه أنها لو فعلت لغير الله لكانت عبادة ولو فعلت لله عَزَّوَجَلَّ لكانت عبادة لله وحده، إذًا هذا طريق الإلزام لهم بتعريف العبادة إن عجزوا عن بيانها(٤).

ثم قال المصنف: (**فقل له: قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾** [الكوثر: ٢]، **فإذا أطعتَ اللهَ ونحرت له؛ هل هذه عبادةٌ؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم**)؛ فدليله واضح لا

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٦).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٨٣).
(٤) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.

يمكنه أن يجحده؛ (**فقل له: إذا نحرتَ لمخلوقٍ: نبي أو جني، أو غيرهِما؛ هل أشركتَ في هذه العبادة غيرَ الله؟ فلا بدَّ أن يُقرَّ، ويقولَ: نعم**)؛ فلا يمكنه أن يجحد الثاني بعد الأول، بل إقراره بالأول يلزمه الإقرار بالثاني، وكذلك سائر العبادات، إما أن يقر أنها عبادة أو لا، فإن أنكر كونها عبادة أُقيمت عليه الحجة، فإن أقرَّ خُصم(١)؛ لأنه إذا سلَّم أن النحر لله عبادة، فلا بد أن يكون لغير الله شركًا(٢)، وهذه صورة ثانية، الصورة الأولى في الدعاء، والصورة الثانية في النحر(٣).

وخلاصة هذه الشبهة: أنه يقول: أنا لا أعبد غير الله تعالى، ودعائي الصالحين ليس بعبادة، **وسبب هذه الشبهة**: جهلهم بمعنى العبادة(٤)، **وقد بيَّن المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إبطال هذه الشبهة بأمور أربعة مرتبة تواليًا:**

أولها: تقريرُ المشبه أنَّ الله أمره بعبادته؛ أي: حمْلُه على الإقرار أنه مأمور بجعل العبادة لله، وأنَّ العبادة فرضٌ عليه.

وثانيها: بيان حقيقة العبادة الواردة في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾، فإنه أمرٌ بالتوجه إلى الله سبحانه بالدعاء، والدعاء اسمٌ يقع على العبادة كلها.

وثالثها: إيضاح أنَّ مَن جعل شيئًا منها لغير الله فقد أشرك.

ورابعها: تحقيق أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن كانت عباداتهم

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٦).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٤٩).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٤٠).

(٤) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٦٦).

لمألوهاتهم في الدعاء والذبح والنذر والالتجاء.

ومنتهى هؤلاء الأربع: بأن يقر أن الالتجاء إلى الصالحين هو عبادة شركية[١].

فبهذا ظهر واتضح جهله وضلاله، وانكشفت شبهته، وأنَّ قوله: (أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة)؛ محضُ جهل منه، وأنَّ هذا عبادةٌ لغير الله، وتبيَّن أنه عابدٌ غيرَ الله، وأنَّ ما يصنعه معهم عبادة لهم، وأنه عابد الله وعابد غيره[٢].

قال المصنف: (**وقل له أيضًا: المشركون الذين نزلَ فيهم القرآنُ؛ هل كانوا يعبدونَ الملائكةَ والصالحينَ واللاتَ وغيرَ ذلك؟ فلا بدَّ أن يقولَ: نعم**)، وقد تقدَّم الجواب الأول، وهو جوابٌ كافٍ وافٍ، وأَرْدَفَه المصنف بهذا الجواب الثاني عن شبهته السابقة، كما هو شأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يذكر جواب الشبهة وافيًا ثم يزيده الجواب والجوابين والثلاثة، وهنا لا يمكنه كذلك أن ينكر شيئًا أثبته القرآن[٣]؛ لأن القرآن أوضح ذلك أتم إيضاح بما سبق بيانه في هذا الشرح، وهذا وجه آخر من الحجة[٤]، قال: (**فقل له: وهل كانت عبادتُهم إياهم إلا في الدعاء والذبحِ والالتجاءِ ونحوِ ذلك؟ وإلا فهُم مقرُّون أنهم عبيدٌ تحتَ قهرِ اللهِ، وأنَّ اللهَ هو الذي يُدبر الأمرَ، ولكن دعَوْهُم والتجؤُوا إليهم للجاه والشفاعةِ، وهذا ظاهرٌ جدًّا**) في كشف شبهته، وهذا كله تفريع على ما تقدم،

---

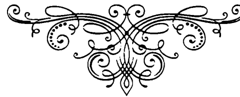
(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٢).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٧).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٨٨).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٤٢).

والمراد منه: تساوي فعل المتقدمين والمتأخرين، وبالتالي يكون الحكم واحدًا، إما أن يُقال: إذا صدر هذا من المتقدمين فهو شرك، وإذا صدر من المتأخرين فليس بشرك، فهذا من العجب، ومن التفريق بين متماثلات، فإذا كان ما صرفه المتقدمون شركًا من الذبح والدعاء، فإذا صرف المتأخرون نفس العبادات لغير الله فلا بد أن يكون شركًا، ولا سيما مع قولنا: إنَّ صرفهم العبادة لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان على أنواع: فمنهم مَن يصرف للملائكة، ومنهم مَن يصرف للأنبياء، ومنهم مَن يصرف للصالحين؛ فصار الحكم واحدًا، وإلا فهذا من التفريق بين المتماثلات[١].



(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإن قال: أَتُنكرُ شفاعةَ رسُولِ الله ﷺ وتتبرأُ[1] منها؟ فقل: لا أُنكرها، ولا أتبرأُ منها، بل هو ﷺ: الشافعُ المُشفَّعُ [في المحشَرِ][2]، وأرجو شفاعتَهُ، ولكنَّ الشفاعةَ كُلَّها لله[3]، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، ولا تكونُ إلا [مِن][4] بعدِ إذنِ الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ولا يشفعُ في أحدٍ إلا [مِن][5] بعدِ أن يأذنَ اللهُ فيه، [ولا يأذَنُ إلا لأهل التوحيد والإخلاص][6]؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كُلُّها لله، ولا تكونُ إلا [مِن][7] بعدِ إذنِهِ، ولا يشفعُ النبي ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذنَ اللهُ فيه، ولا يأذَنُ إلا لأهل التوحيد؛ تبين [لك][8]: أنَّ الشفاعة كُلَّها لله، و[أنا][9] أطلبها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعتَهُ، اللهمَّ شفِّعهُ فيَّ، وأمثَالَ هذا].

---

(١) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ والقحطاني: [وتبرأُ].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) في نسخة الشَّحري: [ولكن الشفاعةُ لله كُلُّها]؛ وفي نسخة دغش: [لكنِ الشفاعةُ كلها لله].

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي.

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

الشَّرْحُ

هذه **الشبهة الخامسة** في صيغة اعتراض، فإذا قال المشرك بعد المحاورة السابقة وبعد الإنكار، عليه الالتجاء إلى الصالحين، وطلَب الشفاعة منهم[١]: إنكم تُنكرون شفاعة النبي ﷺ. وهذا من البهتان الذي رموا به دعوة التوحيد، فجعلوا إنكار الشرك يلزم منه إنكار الشفاعة[٢]؛ فهذه مسألة الشفاعة، وهي من المسائل الكبار التي شُنَّ على المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ زورًا وبهتانًا بسببها حملة؛ بسبب زعمهم أنه كالمعتزلة ينكر الشفاعة، يقولون: أتنكر شفاعة رسول الله؟ لأنَّ منكر شفاعة رسول الله منكرٌ للنصوص[٣].

قال المصنف: (**فإن قال: أتُنكرُ شفاعةَ رسُولِ الله ﷺ وتتبرأ منها؟ فقل: لا أُنكرها، ولا أتبرأُ منها**)، بل أُثبتها، وهي أصلٌ لأهل التوحيد دون غيرهم[٤]، (**بل هو ﷺ: الشافعُ الـمُشفَّعُ في المحشَرِ، وأرجو شفاعتَهُ**)؛ فأهل السنة والجماعة لا ينكرون شفاعته ﷺ؛ فيعتقدون أنه يشفع عند الله جَلَّ وَعَلَا، وأنه يكون له من الشفاعات ما لا يكون لغيره، لكنهم يعتذرون عن سؤال النبي ﷺ الشفاعة؛ لأنها ليست ملكًا له، فما ذكره المشبه من إعطاء النبي ﷺ الشفاعة حق[٥]، (**ولكنَّ الشفاعةَ كُلَّها لله، كما قال تعالى**: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾ [الزمر:٤٤])، فإنَّ النبي ﷺ لا يملكها استقلالًا، بل لا يشفع إلا في أناس مخصوصين، وهذه

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥١).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩١).
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٥).

الآية بينت أنَّ الشفاعة ملك لله وحده[١]، فالشفاعة ملكٌ لله، وهذا أساس متين يجب اعتقاده، فهو سبحانه يأذن بها إذا شاء، لمَن شاء، في الوقت الذي يشاء، فيمَن شاء، فالأمر منه وإليه تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فحقيقة الشفاعة أنَّ الأمر فيها ابتداء وانتهاء راجعٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فحقيقة الأمر في الشفاعة كما ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَشْفَع بنفسه إلى نفسه؛ ليرحم عبده، فيأذن هو لمَن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره، بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، فالله جَلَّوَعَلَا هو الذي أهَّلَ الشافع من أجل أن يشفع، وهو الذي حرَّك الشافع من أجل أن يشفع، وهو الذي أذن له أن يشفع، وهو الذي أمره أن يشفع، وهو الذي خلقَ فعله، وهو الذي أهَّلَ المشفوع له بأن يكون أهلًا للشفاعة، وهو الذي تفضَّل بقبول الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾، فهذه الآية وحدها كافية في نزع جذور الشرك في باب الشفاعة من القلب لمَن أعطاها حقها من التأمل والتدبر[٢].

قال المصنف: (ولا تكونُ إلا مِن بعدِ إذنِ الله؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]**، ولا يشفعُ في أحدٍ إلا مِن بعدِ أن يأذنَ اللهُ فيه، ولا يأذنُ إلا لأهل التوحيد والإخلاص؛ كما قال تعالى:** ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]**، وهو لا يرضى إلا التوحيد؛ كما قال تعالى:** ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٨٥]**)**، فالشفاعة في الدنيا تحصل

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩١).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

بإرادة الشافع، فيؤذن له كونًا بالشفاعة بحسب إرادته، فيبتدئ بالشفاعة ثم تُردُّ عليه شفاعته إن لم تكن موافقة للإذن الشرعي، مثل ما حصل من شفاعة نوح في ابنه، ومثل شفاعة إبراهيم في أبيه؛ أما بعد الممات فـ(لا تكون إلا من بعد إذن الله)؛ يعني: أنه يوم القيامة وفي البرزخ، فإنه لا يبتدئ أحدٌ الشفاعة حتى يأذن الله للشافع الإذن الكوني القدري، (ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه)؛ يعني: يأذن فيه الإذن الشرعي[١]، وهو مَن رضي الله قوله وعمله، والله لا يرضى من عباده إلا عملًا واحدًا هو الإسلام، وأساسه التوحيد[٢]؛ فالشفاعة يوم القيامة لا تكون إلا بشرطين: إذن الله للشافع؛ ورضاه عن المشفوع له، فالشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند الخلق؛ لأنَّ الشفاعة عند المخلوق تكون بغير إذنه، وإن كان غير راضٍ عن المشفوع له فقد يقبل الشفاعة من الشافع؛ لأنه محتاج إليه، أما الله جَلَّوَعَلَا فله الملك كله، وليس بحاجة إلى أحد من الخلق؛ ولهذا فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمَن ارتضى الله تعالى، وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد[٣]؛ (فإذا كانت الشفاعة كُلُّها لله) كما في الآية الأولى، (ولا تكونُ إلا مِن بعدِ إذنِهِ) كما في الآية الثانية، (ولا يشفعُ النبي ﷺ ولا غيرُهُ في أحدٍ حتى يأذنَ اللهُ فيه) كما في الآية الثالثة، (ولا يأذَنُ إلا لأهل التوحيد) كما في الآية الرابعة؛ (تبيَّن لك: أنَّ الشفاعة كُلَّها لله)؛ أي: ملك له وحده، وأنها لا تُطلب من غير الله، بل تُطلب من الله[٤].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٥٠).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٢).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥٢).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٢).

قال المصنف: (**وأنا أطلبها منه، فأقولُ: اللهم لا تحرمني شفاعتَهُ، اللهمَّ شفعهُ فيَّ، وأمثَالَ هذا**)؛ وهذا هو الطريق الشرعي في سؤالها؛ ولذا فإن النبي ﷺ لم يرشد أمته -وهو الذي لم يترك خيرًا إلا أرشدهم إليه- إلى سؤاله الشفاعة، لا حيًّا ولا ميتًا، وإنما ذكر لهم الأسباب التي ينالون بها شفاعته، فقال لما سُئل: مَن أسعد الناس بشفاعتك: «**مَن قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، وقال ﷺ كما في البخاري: «**مَن سمع النداء، فقال: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة والقائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلَّت له شفاعتي**».

فالجواب عن هذه الشبهة من أربعة أوجه:

الأول: أنَّ أهل التوحيد والسنة لا يُنكرون شفاعة النبي ﷺ، بل هم يُثبتونها في كتبهم، ويحكمون على مَن أنكرها بالكفر والضلال؛ لأنها ثابتةٌ في النصوص الشرعية.

والثاني: أنَّ الأدلة دلَّت على أنَّ لهذه الشفاعة شرطان: الإذن من الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، والله جَلَّوَعَلَا لا يرضى عن أهل الشرك.

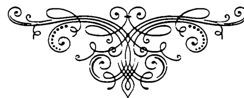
والثالث: أنَّ الشفاعة ليست ملكًا للشافع، بل هي ملك لله عَزَّوَجَلَّ.

والرابع: أنَّ الله تعالى بيَّن في كتابه أن بعض الناس لا تنفعهم الشفاعة، فالشفاعة لا تنفع كل أحد، بل هي خاصة بأهل التوحيد، فمَن أراد الشفاعة فعليه أن يكون من أهل التوحيد حتى تنفعه شفاعة النبي ﷺ[1].

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

وخلاصة الموضوع: أنَّ أساس الخلط في مفهوم الشفاعة هو عدم التفريق بين الشفاعة في الدنيا والشفاعة في الآخرة، فالشفاعة الدنيوية المعروفة في الناس وهي الوساطة في قضاء الحوائج؛ منفيةٌ في الآخرة، والثابتُ في الآخرة شفاعةٌ مِلْكٌ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لا تكون إلا بإذنه فيمَن رضي عنه، وهذا الأمر ترتَّب عليه خلل آخر، وهو عدم التفريق بين الشفيع من دونه والشفيع بإذنه، فالمشركون اعتقدوا الشفيع من دونه؛ يعني: اعتقدوا الشفيع غيره، والموحدون اعتقدوا أنَّ الشفيع يكون من بعد إذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والفرق بينهما: الفرق بين الشريك والعبد المأمور، فالمشركون قديمًا وحديثًا اعتقدوا أنَّ الشافع هو الذي حرَّك المشفوع عنده ليفعل، والمؤمنون اعتقدوا أنَّ الله تعالى هو الذي حرك الشفيع ليشفع، فالشفاعة الدنيوية، والشفاعة التي نفاها الله، والشفاعة التي اعتقدها المشركون في شفعائهم، هذه الشفاعة حقيقتها مشاركةٌ بين الشفيع والمشفوع عنده في حصول المقصود، هذا بشفاعته، وهذا بفعله وأمره وقراره، فالشفيع من دونه شريك، والله لا شريك له، ولذا تكرَّر في القرآن نفي الشفيع من دونه، أما الثابت فهو ما بيَّنه الله في القرآن، وما اعتقده المسلمون، أن ثمَّت شفيع وشفعاء، ولكن من بعد إذنه جَلَّ وَعَلَا[1].



(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فإن قال: النبيُّ ﷺ أُعطيَ الشفاعةَ، وأنا أطلُبهُ(١) مما أعطاهُ اللهُ؟ فالجوابُ: أنَّ الله أعطاهُ الشفاعةَ، ونهاكَ أن تدعوَ معهُ أحدًا(٢)، فقال(٣) تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، [وطلَبُكَ من الله شفاعةَ نبيه عبادَةٌ، والله نهاك أن تُشركَ في هذه العبادةِ أحدًا](٤)، فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشفعهُ(٥) فيكَ؛ فأطعهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وأيضًا: فإنَّ الشفاعةَ أُعطيها غيرُ النبي ﷺ، فصحَّ أنَّ الملائكةَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعون، أتقولُ: إنَّ الله أعطاهُمُ الشفاعةَ فأطلُبُها(٦) منهم؟ فإن قلتَ هذا، [وجوَّزت دعاءَ هؤلاءِ](٧)؛ رجعتَ إلى عبادةِ الصالحينَ التي ذكَرَ(٨) اللهُ في كتابه(٩). وإن قلتَ: لا؛ بطلَ قولُكَ: (أعطاهُ اللهُ الشفاعةَ، وأنا أطلُبُهُ(١٠) مما أعطاهُ اللهُ)].

الشَّرح

---

(١) في نسخة الشَّحري: [وأنا أطلبُ منهُ].

(٢) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [ونهاكَ أن تدعو مع الله أحدًا]؛ وفي نسخة دغش؛ والقحطاني: [ونهاك عن هذا].

(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وقال].

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.

(٥) في نسخة الشَّحري: [أن يشفع نبيه].

(٦) في نسخة الشَّحري: [وأطلُبُها].

(٧) زيادة من نسخة العصيمي.

(٨) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ذكرَهَا].

(٩) في نسخة الشَّحري زيادة: [أنها الشرك الذي لا يغفره].

(١٠) في نسخة الشَّحري: [وأنا أطلب منه].

ذكر المصنف **شبهة سادسة** من شبهات المشركين الذين يتعلقون على الأنبياء والصالحين[١]، وخلاصتها: جواز طلب الشفاعة من النبي ﷺ؛ لأنَّ الله أعطاه إياها[٢]، وهذه الشبهة من أهم شبه القوم في الدعاء الشركي في طلب الشفاعة، فإنهم يقولون: ما الضير في أن نسأل النبي ﷺ وهو في قبره ما أعطاه الله إياه وهو الشفاعة[٣].

قال المصنف: (فإن قال: النبيُّ ﷺ أُعطيَ الشفاعةَ، وأنا أطلُبُهُ مما أعطاهُ الله؟)؛ يعني في زعمه: أنه كما أنَّ من أُعطي المال يُعطي مَن شاء، فكذلك من أُعطي الشفاعة[٤]، (**فالجوابُ: أنَّ الله أعطاهُ الشفاعةَ**)، وهو سيد الشفعاء، لكن الذي أعطاه الشفاعة، (**و**) هو الله[٥]: (**نهاكَ أن تدعوَ معَهُ أحدًا، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، وطلَبُكَ من الله شفاعةَ نبيه عبادَةٌ، والله نهاك أن تُشركَ في هذه العبادةِ أحدًا**)، فالشفاعة طلب، والطلب دعاء، فالشفاعة هي الدعاء، فإذا طلب أحدٌ من النبي ﷺ وهو في البرزخ، مع حياته الكاملة التي هي أكمل من حياة الشهداء، إذا طلب منه أن يشفع، فهذا الطالب سأله، والسؤال دعاء، فحقيقة طلب الشفاعة أنها سؤال الميت، والله نهانا أن ندعو غيره، فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ﴾ هذا نهيٌ عن الدعاء، ومن المتقرر أن الفعل المضارع لاشتماله على مصدر يُنزَّلُ منزلة النكرة في سياق النهي أو النفي،

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥٣).

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٦).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٤).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٥).

فهذا يعم جميع أنواع الدعاء، فلا يُدعى مع الله أحدٌ، سواء دعاء استغاثة، أو دعاء استعانة، أو دعاء شفاعة، وكذلك الآية دلَّت على عموم آخر؛ لأن قوله: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة جاءت في سياق النهي، فدلَّت على عموم كل أحد، كالملائكة والأنبياء والرسل، وكذلك الصالحون ممَّن انتقلوا عن الدنيا لا يُدْعون، فطلبُ الشفاعة من الميت داخل في سؤال الميت وفي دعائه[1]، فلو كان النبي ﷺ حيًّا فيجوز لك أن تطلب منه الشفاعة، أما بعد موته، فلا يجوز طلب الدعاء منه؛ لأنه وإن كان يسمع سلام المؤمن، فلا يلزم منه أن يسمع ممن يطلب منه الدعاء، ولو فرض أنه يسمع، لكنه في قبره، فليس حاله كحاله في الدنيا؛ ولهذا لم يكن الصحابة يأتون إلى قبره ويسألونه الدعاء، وإنما كان المسلمون بعد وفاته يرجون شفاعته يوم القيامة، فإذا قال المشبه: إن النبي ﷺ أعطاه الله الشفاعة، فنقول له: نعم، أعطاه الله الشفاعة، وأمرَك أن لا تدعو مع الله أحدًا[2].

ثم قال المصنف: (**فإذا كنتَ تدعو الله أن يُشفعهُ فيكَ؛ فأطعهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]**)؛ أي: فإن كنت ترجو أن تكون أهلًا لشفاعة سيد الشفعاء فوحِّد الله وأخلص له العمل، تنَلْ شفاعة المصطفى[3]، فالله جعل نبيه شفيعًا من الشفعاء، لكن الله الذي أعطاه الشفاعة نهى أن نسأله إياها، فلا نسألها إلا من الله سبحانه؛ لأنه هو الذي يملك الشفاعة[4].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٦٠).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٥٤).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٥).
(٤) انظر: شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٦).

ثم ذكر المصنف جوابًا ثانيًا لكشف الشبهة السابقة[1]، فقال: (**وأيضًا: فإنَّ الشفاعةَ أُعطيها غيرُ النبي ﷺ، فصحَّ أنَّ الملائكةَ يشفعونَ، والأفراطَ يشفعون، والأولياءَ يشفعون**)، فجنس الشفاعة أُعطيها غير النبي ﷺ، ولكن هذا الإعطاء مقيد[2]؛ (**أتقولُ: إنَّ الله أعطاهُمُ الشفاعةَ فأطلُبُها منهم؟ فإن قلتَ هذا، وجوَّزت دعاءَ هؤلاءِ؛ رجعتَ إلى عبادةِ الصالحينَ التي ذكَرَ اللهُ في كتابه. وإن قلتَ: لا؛ بطلَ قولُكَ: (أعطاهُ اللهُ الشفاعةَ، وأنا أطلُبُهُ مما أعطاهُ اللهُ)**)؛ يعني: فإن زعمَ هذا المشبه أنَّ هؤلاء أُعطوا الشفاعة وأنه يطلبها منهم، فيطلب الشفاعة من الملائكة والأولياء والأفراط؛ فحينئذٍ يكون أقرَّ على نفسه بوقوعه في الشرك الذي هو عبادةُ الصالحين مما وقعَ فيه أهل الجاهلية الأولى؛ وإن امتنع عن سؤالهم إياها فقال: لا أطلب الشفاعة من الملائكة ولا من الأولياء ولا من الأفراط؛ قيل له: بطل قولك؛ لأن الباب واحدٌ، فالله أعطاه وأعطاهم، ونهانا أن نسأله أو نسألهم[3]، فالذي احتج بأن النبي ﷺ أُعطي الشفاعة هل يقول بأن كل مَن أُعطي الشفاعة يُسأل الشفاعة؟ فنقول: إذا مات فرطٌ صغير فاسأله الشفاعة، ولا قائل بأن الأطفال الصغار يؤتى إلى قبورهم ويطلب منهم الشفاعة، مع أن الحجة التي احتجوا بها في حق النبي ﷺ هي الحجة التي تسوغ في حق هؤلاء الصبيان، كذلك الملائكة يشفعون، فهل يطلب المسلم من الملائكة، ويقول: يا جبريل اشفع لي، فهذا لا قائل به، حتى عباد القبور لا يقولون بهذا؛ لأنهم لو قالوا به صاروا إلى دين الجاهلية بالاتفاق، فهذه

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٦).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٦).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٦).

الحجة حجة إلزامية، فهذا الإلزام إن التزمه فهذا يُرجعه بالاتفاق إلى دين المشركين، وإن لم يلتزمه تناقض، فإنْ فرَّق بين هذا وهذا فيتناقض؛ فيدل على بطلان حجته التي ادعاها بقوله: (أطلبه مما أعطاه)[1]، فيقال له: الصالحون والملائكة أعطوا الشفاعة، فهل ستطلب من الملائكة ومن الصالحين؟! فإن قلت ذلك، فقد عدنا إلى الطلب من الصالحين كما طلب قوم نوح من ودٍّ وسواعٍ ويغوث، وكما طلب كفار قريش من اللات، وهكذا[2].

فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أجاب عن هذه الشبهة من خلال وجهين:

أحدهما: أنَّ الله أعطى نبيه محمدًا ﷺ الشفاعة، ونهاك عن سؤاله ودعائه الشفاعة.

والثاني: أنَّ الله تعالى أعطى الشفاعة غير نبينا محمد ﷺ، فالملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، كما جاءت به الأدلة، فهل تطلب الشفاعة من هؤلاء؟ فإن قال الخصم: نعم، رجع إلى القول بعبادة الصالحين ودعائهم؛ وإن قال: لا أطلبُ الشفاعة منهم، بطل قوله: (إنَّ الله أعطى محمدًا ﷺ الشفاعة فأنا أطلبه مما أعطاه الله)، حيث فرَّق بلا ضابط ولا دليل.

ويمكن أن يضاف **وجه ثالث** في الجواب عن هذه الشبهة: وهو أنَّ الله سبحانه أعطاه الشفاعة، ولكنه ﷺ لا يشفع إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا لمَن

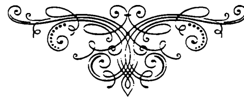
---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٦٣).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

ارتضاه، فقولهم: إنَّ الله أعطى نبيه الشفاعة لا يعني أنه ملكها بإطلاق، فهو تمليكٌ معلق على الإذن والرضا، وأيضًا فإنه سبحانه يُعطي رسله وأولياءه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أفيقال إن الله أعطاهم ذلك، وملَّكهم إياه، فيُطْلَبُ منهم ويُرْغَبُ إليهم فيه، فإن كان ذلك مشروعًا وسائغًا، فالشفاعة قُيدت بقيود لم تقيد بها هذه العطايا والمواهب السنية(١).

وهناك **وجه رابع**، وهو: أنَّ طلب الشفاعة في الدنيا من النبي ﷺ بعد موته فيه تسويةُ النبي ﷺ بالله جَلَّ وَعَلَا؛ فإنَّ سماع الأصوات على اختلاف الأماكن والأوقات خاصٌّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فهذا الفعل من الشرك الأكبر(٢).



(١) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٦٨).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [فإن قال: أنا لا أشركُ بالله شيئًا، حاشا وكلا، ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصالحينَ ليس بشركٍ. فقل له: إذا كنت تُقرُّ أنَّ الله حرَّم الشرك أعظمَ من تحريم الزنا، وتُقرُّ أن الله لا يغفرهُ، فما هذا الأمر الذي عظَّمهُ اللهُ، وذكرَ أنه لا يغفرُهُ؟ فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تُبرئُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ [أم][1] كيفَ يُحرم اللهُ عليك هذا، ويذكُرُ أنه لا يغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفهُ؟ أتظنُّ أن الله عَزَّوَجَلَّ يحرمهُ ولا يُبينهُ لنا؟

فإن قال: [إنَّ][2] الشركَ [بالله][3] عبادةُ الأصنامِ، ونحن لا نعبدُ الأصنامَ.

فقل له: [و][4] ما معنى عبادةِ الأصنامِ؟ أتظنُّ أنهم [كانوا][5] يعتقدونَ أن تلك الأحجارَ والأخشابَ [والأشجارَ][6] تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ مَن دعاها؟ فهذا يُكذبهُ القرآنُ؛ [كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:٣١]][7].

[وإن قال: إنهم يقصدونَ خشبةً][8]، أو حجرًا، أو بُنيَةً على قبرٍ............

---

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٢) زيادة من نسخة دغش.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٨) في نسخة الشَّحري: [أو هو قصدُ أثرِ عبدٍ صالحٍ؛ خشبةً]؛ وفي نسخة القاسم: [وإن قال: هو قَصْدَ خَشَبةٍ]؛ وفي نسخة دغش: [وإن قال: هو من قصد خشبة]؛ وفي نسخة القحطاني: [فإن قال: إنهم يقصدون خشبةً].

أو غيرِهِ[١]، يدعون ذلك[٢] ويذبحونَ له؛ يقولون[٣]: إنه يُقربنا إلى الله زلفى، ويدفعُ عنَّا اللهُ ببركته[٤]، ويعطينا[٥] ببركتِهِ.

فقل[٦]: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجار [والبِنَا الذي][٧] على القبور وغيرِها.

فهذا [قد][٨] أقرَّ أنَّ فعلَهُم هذا هو عبادةُ الأصنام، وهو[٩] المطلوبُ.

و[يقال له][١٠] أيضًا: قولُك: الشركُ: عبادةُ الأصنام؛ هل مُرادُكَ أنَّ الشرك مخصوصٌ بهذا، وأنَّ الاعتماد على الصالحين ودُعاءَهُم لا يَدْخُلُ في ذلك[١١]؟ فهذا يردُّه ما ذكرَ[١٢] اللهُ تعالى في كتابه مِنْ كُفرِ مَنْ تعلَّقَ على الملائكة أو عيسى أو الصالحين. فلا بُدَّ أن يُقرَّ لك: أنَّ مَن أشركَ في عبادةِ اللهِ أحدًا من الصالحين؛ فهو الشركُ المذكورُ في القرآن؛ وهذا هو المطلوبُ].

---

(١) في نسخة الشَّحري: [أو غيرَهَا].
(٢) في نسخة الشَّحري زيادة: [الصالحَ عندها].
(٣) في نسخة الشَّحري: [ويقولون].
(٤) في نسخة الشَّحري: [ويدفع الله عنَّا ببركته]؛ وفي نسخة القاسم: [ويدفع عنَّا ببركته].
(٥) في نسخة القاسم: [أو يُعطينا].
(٦) في نسخة الشَّحري: [فقد].
(٧) في نسخة الشَّحري: [والأبنية التي]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [والبنايا التي].
(٨) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٩) في نسخة الشَّحري: [فهو].
(١٠) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ وفي نسخة دغش: [ويُقال].
(١١) في نسخة الشَّحري: [لا يدخل في هذا].
(١٢) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [ما ذكرَه]

الشَّرْحُ

هذه **الشبهة السابعة**، وخلاصتها: أنَّ الخصم يتبرأ من الشرك ويُنكره[(١)]، فذكرَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهة أخرى لهؤلاء، وهي أنهم يدَّعون البراءة من الشرك، ويقولون: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك[(٢)]، ويمكن أن تُعنون بقولهم: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، وأنَّ الشرك مخصوصٌ بعبادة الأصنام[(٣)]؛ فبعد أن تكلم المصنف عن شبهة المشركين المتعلقة بالشفاعة انتقل إلى الكلام عما هو أعم من ذلك، وهو البحث مع المشركين في الشرك، وأنهم ينفون عن أنفسهم تهمة الشرك، ووجه ذلك هنا أن الشرك إنما هو عبادة الأصنام، فمضمون هذه الشبهة: أن الشرك عبادة الأصنام[(٤)]، وهذه الكلمة مرَّت في شبهة قبل ذلك، لكنها مرتبطة بطائفة ممن يقولون: الالتجاءُ إلى الصالحين، ودعاؤهُم ليس بعبادةٍ، والمصنف كرَّر؛ لأن المقام يحتاج هذا؛ لأن هؤلاء يدخلون تحت مظلة مَن يقول: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، وأولئك يدخلون تحت مظلة طلب الشفاعة من الأموات[(٥)]، فمضمون هذه الشبهة: انحرافهم في تعريف الشرك، فلا يجعلون الدعاء والالتجاء يدخل في تعريف الشرك، وهذا الانحراف في تعريف الشرك هو مثل انحرافهم في

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٦٨).
(٤) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٧٣).

الشبهة الرابعة في تعريف العبادة، فهذه الشبهة والجواب عليها، مثل: الشبهة الرابعة والجواب عليها، إلا أن تلك في العبادة، وهذه في الشرك، والمؤدى واحد، ولو جاء به المصنف بعدها لكان أنسب[١]، وهذه الشبهة في الحقيقة مركبةٌ من ثلاثة أقسام: الأول: أنَّ المخالف يزعم التبرؤ من الشرك وأهله، والثاني: أنه يزعم أنَّ الكفار كانوا يعبدون الأصنام، والثالث: أنه يزعم أنه يعبد الله وحده[٢].

قال المصنف: (**فإن قال: أنا لا أشركُ بالله شيئًا، حاشا وكلا، ولكنَّ الالتجاءَ إلى الصالحينَ ليس بشركٍ**)، فإذا نفى عن نفسه الشرك، (**فقل له**)، مجيبًا بالاستفصال والتحدي حتى تنكشف شبهته: (**إذا كنت تُقرُّ أنَّ الله حرَّم الشرك أعظمَ من تحريم الزنا، وتُقرُّ أن الله لا يغفرهُ**)، وهو لا يمكنه أن يجحده، (**فما هذا الأمر الذي عظَّمهُ اللهُ، وذكرَ أنه لا يغفرُهُ؟**)؛ يعني: فسّر لي حقيقة الشرك بالله، وما معنى عبادة الله؛ (**فإنه لا يدري**) عن الشرك، ولا عن التوحيد، فإذا طلبت منه بيان هذا وهذا وَقف، فأين هذا من التوحيد؟[٣]، فتكون حاله كما أخبر المصنف أنه لا يدري، ولا يميز حقيقة العبادة، فلم يعرف ما لله وما لغيره، فحينئذٍ[٤]: (**فقل له: كيف تُبرئُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟**)؛ فإنَّ الحكم على الشيء نفيًا وإثباتًا لا بد أن يكون بعد العلم والتصور؛ فلا

---

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٩).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٨).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٩).

عرفتَ الشرك حتى تنفيه، ولا عرفت التوحيد حتى تثبته[١]؛ فالمدعي براءته من شيء لا تصح براءته مع جهله به، فإنه لا بد أن يكون عالمًا بمعنى المدَّعى عليه حتى يمكنه نفيُه عن نفسه، ثم اسأله مستنكرًا[٢]: (**أم كيفَ يُحرم اللهُ عليك هذا، ويذكُرُ أنه لا يغفره، ولا تسألُ عنه ولا تعرفهُ؟**)، فإنَّ عدم معرفتك له وعدم مبالاتك به، يدل على أنك لا تعرف دينك، وأنك لست من التدين في شيء، فحقُّك السكوت، ولا شيء تتكلم، (**أتظنُّ أن الله** عَزَّوَجَلَّ **يحرمهُ ولا يُبينهُ لنا؟**)، فإن ظنَّ ذلك فقد ضل ضلالًا أعظم من ضلاله الأول؛ فإنَّ الله قد بيَّن لنا الدقيق والجليل، وأكمل لنا الدين[٣]؛ لأنَّ ما حرَّمه الله وغلَّظ تحريمه لا بد أن يكون بيانه واقعًا على وجه الوضوح، حتى يتهيأ للخلق اجتنابه[٤]، ولا شك أنه سيقول: لا، إنَّ الله إذا حرَّم علينا هذا فهو سيبينه لنا، فإذا قال ذلك، فتنتقل معه إلى التعليم، وتبدأ معه في بيان التوحيد، والشرك، ومعنى لا إله إلا الله، والعبادة، والكفر بالطاغوت، إلى غير ذلك[٥].

وخلاصة الجواب على هذه الشبهة، بالتدرج معه في عدة أمور:

الأول: تقريره أن الشرك محرم، وأنه من أعظم الذنوب، وهذا أمر لا ينكره.

والثاني: سؤاله عن معنى الشرك وضابطه، والغالب على مَن يعتقد هذا الاعتقاد أنه لا يعرف حقيقة الشرك، وعندها نبين له معنى الشرك، ونغلظ عليه

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٨).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٩).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (٩٨، ٩٩).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٩).
(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٧٣).

بسبب جهله بأهم ما يجب عليه، ونقول له: كيف تبرِّئ نفسك من شيء لا تعرفه[١].

فلا يخلو حال الخصم من أمرين:

أحدهما: أنه لا يعرف معنى الشرك، فيُقال له: كيف تدعي البراءة من الشرك، وأنت لا تعرف؟ أوَتظن أن الله حرَّم الشرك، وحذَّر منه، ولم يبينه لعباده؟ فهذا ممتنع.

والأمر الآخر: أن يُعرِّف الشرك، فيقول: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام[٢].

ثم انتقل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى جواب ثانٍ، والجواب الأول يعتمد على دعوى مجردة بلا برهان، فهو يقول: أنا لست بمشرك، ولا يدري ما هو الشرك، فهذا جواب عاميٍّ جاهل، أما الجواب الثاني فهذا من صاحب شبهة عنده شيء من العلم، ولكنه علم لا ينفع؛ فقال المصنف: (**فإن قال: إنَّ الشركَ بالله عبادةُ الأصنامِ، ونحن لا نعبدُ الأصنامَ**)؛ يعني: فإن زعم المشبه أنَّ الشرك هو عبادة الأصنام؛ قاصدًا حصر الشرك في عبادتها، وأنه هو لا يعبد الأصنام[٣]، وقد يكون لُقن هذه الحجة فيكون عاميًّا؛ وقد يكون عنده شبهة في هذه المسألة بأن الشرك إنما هو عبادة الأصنام؛ ولذلك احتاج إلى التفصيل[٤]؛ فإن انتقل إلى

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٩).
(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٧١).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٥٩).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٧٤).

هذه الشبهة، وزعم أن الشرك عبادة الأصنام بخصوصه: (**فقل له: وما معنى عبادةِ الأصنامِ؟**)، التي حصرت الشرك فيها، وهنا عاد المصنف إلى أسلوب الاستفصال، فقال: ما معنى عبادة الأصنام، وأجاب المصنف بجوابين: جواب على سبيل التسليم، وجواب على سبيل المنع، كما سيأتي، وبدأ ذلك بالجواب الذي هو على سبيل التسليم الجدلي، فقال: هب أن الشرك عبادة الأصنام فحسب كما تقول، ما معنى عبادة الأصنام؟[1].

قال المصنف: (**أتظنُّ أنهم كانوا يعتقدونَ أن تلك الأحجارَ والأخشابَ والأشجارَ تخلقُ وترزقُ وتدبرُ أمرَ مَن دعاها؟**)، فإن قال: نعم (**فهذا يُكذبهُ القرآنُ**) ويرده؛ فإن القرآن دال على أنهم لا يعتقدون فيها ذلك أصلًا، (**كما في قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٣١]؛ **وإن قال: إنهم يقصدونَ خشبةً، أو حجرًا، أو بُنيَةً على قبرٍ أو غيرِهِ، يدعون ذلك، ويذبحونَ له؛ يقولون: إنه يُقربنا إلى الله زلفى، ويدفعُ عنَّا اللهُ ببركته ويعطينا ببركتِهِ**)، فهذا تفسيرٌ لعبادة الأصنام صحيح[2]، (**فقل: صدقتَ، وهذا هو فعلُكم عند الأحجار والبِنَا الذي على القبور وغيرِها؛ فهذا قد أقرَّ أنَّ فعلَهُم هذا هو عبادةُ الأصنام، وهو المطلوبُ**)؛ يعني: فإن قال ذلك، فقل له: فهذا فعلكم تمامًا، وقد لزمكم أنَّ ما تفعلونه مثل شرك المشركين الأولين في عبادة الأصنام، وهو المطلوب، والضمير في قول المصنف: (فهذا قد أقرَّ أنَّ فعلهم...) يحتمل أن يراد به: فعل المشركين الأولين عُباد الأصنام؛ أي: أنَّ هذا هو عبادة الأصنام؛

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٠).

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: (فعلَهم)؛ أي: فعل أولئك القبوريين، وقصدهم إلى تلك الأبنية التي على القبور والذبح لها أو دعاءها منهم مثل عبادة الأصنام، فيكون بعد هذا الحوار قد أقرَّ بأن التعلق بالصالحين ودعاءهم شرك[١]؛ وهو لم يعبد صنمًا بالمعنى الذي أراده مَن عرَّف الشرك، وإنما عبد صنمًا من جهة المعنى؛ لأن الذي فُعِلَ عند الأصنام من الذبح ونحو ذلك من أجل القربى فُعِلَ عند الأضرحة، حينئذٍ وُجِدَتْ عبادة الأصنام، والحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا؛ ولهذا يقول الشهرستاني، وهو من المتكلمين: «نعلم قطعًا أن عاقلًا ما لا ينحت جسمًا بيده ويصوره صورة ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه، وإله الكل وخالق الكل؛ إذ كان وجوده مسبوقًا بوجود صانعه، وشكله يحدث بصنعة ناحته، لكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها؛ كان عكوفهم ذلك عبادة، وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها، وعن هذا كانوا يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]»[٢]؛ وبه تعرف حقيقة معنى عبادة الأصنام، وأنها ليست الاستقلال بالتدبير والنفع والضر، وإنما كانوا يجعلونها شركاء مع الله في العبادة[٣].

والخلاصة: أنه إذا قال: (الشرك هو عبادة الأصنام)، فنجيبه بجوابين:

الأول: نقول له: إن كنت تظن أن عبادة الأصنام هو باعتقاد أنها تخلق وترزق وتضر وتنفع، فهذا باطل؛ لأن الله أخبر عن المشركين الذين يعبدون

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦١).

(٢) الملل والنحل (٣/ ١٠٤).

(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

الأصنام أنهم يعتقدون ذلك لله وحده؛ وإن كنت تظن أن عبادتهم لها هو بصرف الدعاء والطواف والذبح وغير ذلك لها، فهذا هو فعلكم عند قبور الأولياء[١]، فإن كنت تريد بعبادة الأصنام أنه يقصد غير الله كخشبة أو حجر أو بنية ونحوه، فيسأله ويذبح له بدعوى أنه يقربه إلى الله زلفى، فيُقال: صدقت: وهو عين فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور[٢]؛ فإن فسَّرها بذلك فهو المطلوب كما قال المصنف؛ لأنه بذلك قد خصمه[٣]، والذي سبق هو الجواب الأول على التسليم.

وأما الجواب الثاني: الذي هو جوابٌ بالمنع وعدم التسليم، فهو ما ذكره المصنف هنا بقوله: (**ويُقال له أيضًا: قولُك: الشركُ: عبادةُ الأصنام؛ هل مُرادُكَ أنَّ الشرك مخصوصٌ بهذا، وأنَّ الاعتماد على الصالحين ودُعاءَهُم لا يَدْخُلُ في ذلك؟ فهذا يردُّه ما ذكرَ اللهُ تعالى في كتابه مِنْ كُفرِ مَنْ تعلَّقَ على الملائكة أو عيسى أو الصالحين. فلا بُدَّ أن يُقرَّ لك: أنَّ مَن أشركَ في عبادةِ اللهِ أحدًا من الصالحين؛ فهو الشركُ المذكورُ في القرآن؛ وهذا هو المطلوبُ**)، فيُقال له: إن قولك: (الشرك عبادة الأصنام) إن كان مرادك أن الشرك محصور بهذا دون عبادة مَن سواهم، فهذا أمر باطل؛ فإن القرآن العزيز بيَّن كفر مَن تعلَّق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين، وأنَّ عبادة الأصنام قسم من أقسام الشرك، فلا بد حينئذٍ أن يقرَّ بذلك، وبهذا تنكشف شبهته، وتندحض حجته[٤]،

---

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٣٩).

(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٧٢).

(٣) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١٣٧).

(٤) انظر: شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٢).

فهذا المشرك إذا أقر أن الاعتماد على الصالحين، والقصد إلى قبورهم فعل المشركين؛ فإنه سيقرُّ بأن هذا هو الشرك، ويلزمه أن يقر بأن ما يفعلونه عند قبور الصالحين من جنس فعل المشركين الأولين، وبهذا تبطل هذه الشبهة، ويتبين بهذا أن الشرك ليس مخصوصًا بعبادة الأصنام[1].

وخلاصة هذه الشبهة: أنه يقول: إن المسلمين لا يعبدون إلا الله، بخلاف هؤلاء المشركين الذين يسجدون للأصنام، أو يقول: أنا لا أشرك بالله، ودعائي الصالحين ليس بشرك، وسبب هذه الشبهة: جهلهم بمعنى الشرك، والجواب عليها: أن يُسألَ ما معنى الشرك؟ فإن لم يُجب، فيقال له: كيف تنفي عن نفسك شيئًا وأنت لا تعرفه؟ وكيف يُحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، وأنت لا تعرفه ولا تسأل عنه؟ فإن أجاب، فقال: هو عبادة الأصنام، **فيردُّ عليه من وجهين:**

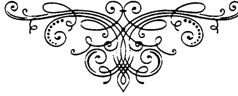
الوجه الأول: أن يُقال له: إن كنت تظن أن عبادة الأصنام هو باعتقاد أنها تخلق وترزق وتنفع وتضر، فهذا باطل؛ لأن الله تعالى أخبر عن المشركين الذين يعبدون الأصنام أنهم يعتقدون ذلك لله وحده؛ وإن كنت تظن أن عبادتهم لها هو بصرف الدعاء والذبح وغير ذلك لها، فهذا هو فعلكم عند قبور الأولياء.

والوجه الثاني: أن يُقال له: هل قولك: الشرك عبادة الأصنام، تقصد أنه مخصوص بهذا، وأن عبادة غير الأصنام ليست بشرك؟ فهذا باطل؛ لأن الله

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٢).

تعالى أخبر عن المشركين أنَّ منهم مَن يدعو الملائكة أيضًا، ومنهم مَن يدعو الأنبياء، ومنهم مَن يدعو الصالحين.

فعُلم بذلك أن دعاء الصالحين شرك(١).



(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٧٣، ٧٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وسرُّ المسألةِ: أنه إذا قال: أنا لا أشركُ بالله [شيئًا](١)؛ فقل له: وما الشرك بالله؟ فسِّرهُ لي. فإن قال: هو عبادةُ الأصنام، فقل له: وما [معنى](٢) عبادةِ الأصنامِ؟ فسرها لي. وإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ [وحده](٣)، فقل [له](٤): ما معنى عبادةِ اللهِ [وحده](٥) [لا شريك له](٦)؟ فسرها لي. فإن فسَّرَها بما بيَّنَتْهُ(٧) فهو المطلوب، وإن لم يعرفهُ، فكيفَ يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ؟ وإن فسَّر ذلك بغير معناه(٨)؛ بيَّنْتَ له الآياتِ الواضحاتِ في معنى الشركِ بالله، وعبادةِ الأوثانِ؛ [أنه](٩) الذي يفعلونه(١٠) في هذا الزمان بعينه، وأنَّ عبادَةَ اللهِ وحدَهُ لا شريك له؛ هي التي(١١) يُنكرونَ علينا، ويَصيحُونَ [منه](١٢)، كما صاحَ إخوانهم حيثُ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥](١٣)].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي.

(٢) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٧) في نسخة الشَّحري: [فإن فسَّرها بما بينه الله في القرآن]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [فإن فسَّرها بما بينه القرآن].

(٨) في نسخة العصيمي: [وإن فسَّرها بغير معناها].

(٩) في نسخة الشَّحري: [وأنه].

(١٠) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [يفعلون].

(١١) في نسخة دغش: [الذي].

(١٢) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني. وفي نسخة الشَّحري: [علينا].

(١٣) ما بعد هذا إلى قوله: [ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين]. غير موجود في نسخة القاسم.

الشَّرْحُ

ذكر المصنف: (سر المسألة)؛ يعني: خالص وحاصل الأجوبة عن الشبه الثلاث، فالمصنف خص كل شبهة بجواب وبعضها بجوابين، ثم ذكر جوابها هنا على سبيل اللَّف بعد النشر[١]؛ أي: على سبيل الطي المجمل بعد النشر المرسَل، فضمَّ مُتفرق جوابه بعد بسطه، فبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما تقدم سر المسألة؛ يعني: الأصل الذي يجمعها وترجع إليه، فأعاد جواب شبهة أنَّ الشرك عبادة الأصنام[٢]؛ فقال: (**وسر المسألة**)؛ يعني: سر مسألة جواب هذه الشُّبه[٣]؛ أي: خلاصتها ولبُّها، والكلام المختصر الذي يجمع ما تقدم: (**أنه إذا قال: أنا لا أشركُ بالله شيئًا؛ فقل له: وما الشرك بالله؟ فسرهُ لي. فإن قال: هو عبادةُ الأصنام، فقل له: وما معنى عبادةِ الأصنامِ؟ فسِّرها لي. وإن قال: أنا لا أعبدُ إلا اللهَ وحده، فقل له: ما معنى عبادةِ اللهِ وحده لا شريك له؟ فسرها لي**)؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يستطيع أحد أن يحكم على شيء بحكم صحيح حتى يتصوره تصوُّرًا مطابقًا للواقع، فإذا فسَّر الشرك تفسيرًا صحيحًا، وفسَّر عبادة الأصنام تفسيرًا صحيحًا، وفسَّر العبادة تفسيرًا صحيحًا؛ فلا بد أن يقر بأنه مشرك أو أن يُقلع عما هو عليه[٤]، (**فإن فسَّرَها بما بيَّنْتُهُ فهو المطلوب، وإن لم يعرفهُ، فكيفَ يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفهُ؟ وإن**

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٣).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٢).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٨١).

(٤) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (٩٠).

فسَّر ذلك بغير معناه؛ بَيَّنْتَ له الآياتِ الواضحاتِ في معنى الشركِ بالله، وعبادةِ الأوثانِ؛ أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأنَّ عبادَةَ اللهِ وحدهُ لا شريك له؛ هي التي يُنكرونَ علينا، ويَصيحُونَ منه، كما صاحَ إخوانهم حيثُ قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥])، فاستنكروا على الرسول لما دعاهم إلى التوحيد أن يجعل الآلهة إلهًا واحدًا[١]، وهذه طريقة الاستفصال عن الكلام المجمل والمبهم، وهي من أحسن الطرق لإفحام الخصم؛ وذلك بأن تقول له إذا قال كلامًا مجملًا: فسِّر كلامك حتى يتضح الأمر والحقيقة، فإذا قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده، فهذا مثل قوله: أنا لا أشرك بالله، فقل له: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي؟ وهنا بداية الاستفصال والسؤال، فإن فسَّرها بما بينه القرآن ألزمناه به، وإن قال: لا أدري، قلنا: إذًا كيف تدعي شيئًا أنت لا تعرفه؟ وإن فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، وأن الذي يفعلونه في هذا الزمان من القصد إلى قبور الصالحين والاستغاثة بهم والالتجاء إليهم وذبح القرابين عند قبورهم، هو نفس الشرك الذي فعله المشركون، وأنكره الله عليهم، وبين له أن عبادة الله وحده لا شريك له، وترك الغلو في الصالحين؛ هي التي يُنكرون علينا[٢].

وحاصل الجواب عن الشبه الثلاث أنك تتحداه؛ **فالمشبه له فيها ثلاث أحوال:**

أولاها: أن يتوقف ويمسك عن الجواب، فقل له: أنت لا تعرف الحق من الباطل، وهذا كافٍ في رد شبهته، وهذا حال كثير ممن يتعلق بالصالحين، ولا

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٤).

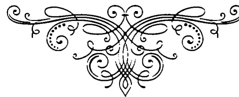
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٢).

يدري حقيقة الشرك، ويظن أنه عبادة الأصنام فقط.

وثانيهما: أن يُفسرها بما فسَّره الله في القرآن، وهذا أيضًا قد كفانا مؤونته؛ لأن آيات القرآن كفيلةٌ ببيان أنَّ الشرك لا ينحصر في عبادة الأصنام، فإذا فسرها بما دل عليه القرآن فهذا هو المطلوب والمقبول، وبه يتبين أنه لم يحقق عبادة الله وحده، حيث أشرك به.

وثالثها: أن يفسرها بمعنى باطل يخالف ما أخبر الله عنه؛ فتُبين له الآيات الواضحات في معنى الشرك وعبادة الأوثان، وأنه هو الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه[1].

فخلاصة السر في هذه المسألة، وسر المسألة في كيفية كشف مثل هذه الشبهات: أن يُسأل عن معنى التوحيد، ومعنى الشرك، ومعاني ما يتعلق بهما من المسائل، وهو إما أن لا يجيب، فكيف يدعي شيئًا وهو لا يعرفه؟ وإما أن يجيب، وإجابته: إما أن تكون خطأً فيُصوب له بالأدلة؛ وإما أن تكون صوابًا فتَثبُت عليه الحجة[2].



(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٤)؛ وشرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٢)؛ وشرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٧٥).

(٢) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٧٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: [فإن قال: إنهم [لم][(١)] يكفُروا بدعاء الملائكةِ والأنبياءِ، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، ونحن لم نقل: [إنَّ][(٢)] عبدَ القادرِ [ابنُ الله][(٣)]، ولا غيرَهُ ابنُ اللهِ[(٤)].

فالجواب: أنَّ نسبةَ الولدِ إلى الله كفرٌ مستقلٌّ؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١-٢]، والأحدُ: الذي لا نظيرَ لهُ، والصَّمدُ: المقصُودُ في [جميع][(٥)] الحوائج، فمَن جحَدَ هذا فقد كفَرَ، ولو لم يجحد آخِرَ السُّورةِ.

[ثم قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣]، فمَن جحدَ هذا فقد كفرَ، ولو لم يجحد أوَّلَ السورة][(٦)]، وقال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، ففَرَّقَ بين النوعين، وجعلَ كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا، وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٠]، ففَرَّقَ بين الكفرين.

والدليل على هذا أيضًا: أنَّ الذين كفروا بدعاء اللات مع كونِهِ رجلًا صالحًا؛ لم يجعلوه ابنَ اللهِ، والذين كفروا بعبادة الجن، لم يجعلُوهُم كذلك.

وكذلك العلماءُ أيضًا في جميع المذاهب الأربعة[(٧)]، يذكرونَ في باب

(١) في نسخة الشَّحري: [لا].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) في نسخة الشَّحري: [ابنٌ لله].

(٥) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٧) في نسخة دغش؛ والقحطاني: [وكذلك العلماء أيضًا، وجميع المذاهب الأربعة].

حُكم المرتد: أنَّ المسلمَ إذا زعمَ أنَّ لله ولدًا؛ فهو مرتدٌّ، وإنْ أشركَ باللهِ، فهو مرتدٌّ، فيُفرقون بين النوعينِ، وهذا [واضحٌ][(١)] في غاية الوضوحِ].

الشَّرْحُ

ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهة أخرى لهؤلاء، وهي **الشبهة الثامنة**، وخلاصتها: أنَّ الكفار لم يكن سبب كفرهم دعاء الملائكة، ولكن لأنهم قالوا: الملائكة بنات الله[(٢)]، فيقولون: إنَّ المشركين الأولين ما كفروا لكونهم يدعون ويعبدون غير الله، وإنما كفروا لأنهم ادعوا لله الولد، حيث قالوا: إن الملائكة بنات الله[(٣)]؛ فإنه لما أُورِدَ على المشرك المتأخر أنه قد توجَّه بالعبادة من الاستغاثة والنذر وإراقة الدماء عند القبور والتوسل بها واللجأ إليها كما فعل أولئك المتقدمين، فحينئذٍ لا بد من التشكيك في سبب كفر المتقدمين، فقالوا: إن أولئك الذين نزل فيهم القرآن لم يكفروا من أجل أنهم استغاثوا بغير الله تعالى أو أنهم التجئوا لغير الله تعالى، وإنما السبب في كفرهم وهو سببٌ حقيقي أنهم ادعوا البنوة لله تعالى.

قال المصنف: (فإن قال: إنهم لم يكفُروا بدعاء الملائكةِ والأنبياءِ، وإنما كفروا لما قالوا: الملائكةُ بناتُ اللهِ، ونحن لم نقل: إنَّ عبدَ القادرِ ابنُ الله، ولا غيرَهُ ابنُ اللهِ، فالجواب:)؛ يعني: إن قال هذا المشبه: إنهم إنما كفروا لاعتقادهم أنَّ تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، هي ولد الله، فالنصارى اعتقدوا

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٢) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤٠).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

أن المسيح ابن الله، واليهود اعتقدوا أن العزير ابن الله، وهؤلاء قد اعتقدوا أن الملائكة بنات الله، فيقول المبطل: إنما كفروا لاعتقادهم أن هؤلاء المعبودين أولاد الله سبحانه، وليس بدعاء غير الله[1]، **فجواب باطلهم من ثلاثة أو من أربعة وجوه:**

الوجه الأول: (أنَّ نسبةَ الولدِ إلى الله كفرٌ مستقلٌّ)، ويدل على ذلك: أنَّ مَن لم يعتقد أنَّ الله ليس له ولد فقد كفر[2]، كما **(قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾** [الإخلاص:١-٢]، **والأحدُ: الذي لا نظيرَ لهُ، والصَّمدُ: المقصُودُ في جميع الحوائج، فمَن جحَدَ هذا فقد كفَرَ، ولو لم يجحد آخِرَ السُّورةِ، ثم قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾** [الإخلاص: ٣]، **فمَن جحدَ هذا فقد كفر، ولو لم يجحد أوَّلَ السورة)، فبيَّن المصنف في هذا الجواب أن الواجب على كل أحد أن يعتقد أمرين:**

الأول: كونُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحدًا؛ يعني: كونه متوحدًا بجميع الكمالات، فهو الواحد في ذاته وفي صفاته وفي عبادته.

والثاني: أن يُعتقد تنزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أن يكون والدًا أو أن يكون مولودًا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وادعاء كون الله عَزَّوَجَلَّ مولودًا لوالد هذا ما افتراه أحدٌ من الناس فيما نعلم، وأما زعم نسبة الولد إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا قد افتراه كثيرٌ من الناس.

---

(١) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٨١).

(٢) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٦٦).

فهما أمران مستقلان: إثبات وحدانية الله سبحانه، وإثباتُ كونه غيرَ والد لمولود، ولا كونه غير مولود لوالد، والمصنف ذكر أن سورة الإخلاص قد أرشدت إلى اعتقاد الأمرين، فمَن جحد واحدًا من هذين الأمرين، فهذا كافٍ في كفره ولو لم يجحد الأمر الآخر، فمَن جحد كون الله أحدًا صمدًا فهو كافر، وهذا يتضمن توحيد الله في العبادة؛ لأن من أحديتِه أحديته في العبادة، ولأن الصمد يقتضي كونه المعبود المطلوب المقصود وحده لا شريك له[1]؛ فنسبة الولد إلى الله كفر، لكنها ليست كل الكفر، فالله تعالى قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾، و(الأحد: الذي لا نظيرَ له)؛ يعني: لا نظير له في ذاته، ولا نظيرَ له في أسمائه، ولا نظير له في صفاته جَلَّوَعَلَا، فهو واحد في ألوهيته لا شريك له، وواحد في ربوبيته لا شريك له، وواحد في أسمائه وصفاته لا سميَّ له، و(الصمد: المقصود في الحوائج)؛ يعني: يُقْصَد وحده دون ما سواه؛ **فدلَّت الآية على كفر نوعين من الناس:**

النوع الأول: مَن لم يجعل الله واحدًا مختصًّا بالأحدية، فجَعلَه اثنين، كاعتقاد طائفة من النصارى، أو جعله ثلاثة، كاعتقاد طائفة أخرى من النصارى وغيرهم، ودلَّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾، وفي الآية ردٌّ على مَن اعتقد البنوة.

والنوع الثاني: مَن لم يجعل الله مختصًّا بالصمدية، ودلَّ عليه قوله جَلَّوَعَلَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّـمَدُ﴾، وهذا رد على مَن يصمد في الحوائج إلى غيره[2].

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٨٤).

فالذي يدعو غيرَ الله يعترف بأنَّ الله هو الصمد على الاختصاص، وأنه لا يوجد صمدٌ غيره جَلَّ وَعَلَا، ولكنه يصمُد إلى غير الله في حاجته، فهذا يعترف بأن الله الصمد قولًا؛ ولكنه لا يعترف به عملًا، فمَن جحد هذا فقد كفر ولو لم يجحد آخر السورة؛ ومَن أنكر أن الله أحدٌ، أو أن الله هو الصمد المتفرد بقضاء الحوائج، فقد كفر ولو لم يجحد آخر السورة، **وكذلك العكس**: فمَن جحد آخر السورة، وقال: إن لله ولدًا أو والدًا؛ فقد كفر، ولو اعترف أن الله هو الصمد[١].

والوجه الثاني: أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا فرَّق بين مَن اتخذ ولدًا، وبين مَن جعل مع الله إلهًا آخر، وجعل كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا[٢]، **وقد استدل المصنف على هذا بدليلين، فقال:**

(وقال الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، **ففَرَّقَ بين النوعين، وجعلَ كلًّا منهما كفرًا مستقلًّا)**، والعطف يقتضي المغايرة، وقد غاير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين النوعين: اتخاذ الولد، واتخاذ الآلهة[٣]، فهذه الآية من الأدلة على أن الشرك ونسبة الولد كلٌّ منهما كفر على حِدَة[٤]؛ فالله فرَّق فيها بين نوعين من الكفر: عبادة غيره، ونسبة الولد إليه، فدعوى أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ اتخذ الولد هذا كفر مستقل، ودعوى أن مع الله إلهًا هذا أيضًا كفر

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (٩٥).
(٢) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٦٦).
(٣) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٨٣).
(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٤).

مستقلٌّ، والدليل أنَّ الآيات فرَّقت بين الكفرين[١].

(**وقال الله تعالى**: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٠]، **ففرَّق بين الكفرين**)، فجعل الشرك بالجن هذا نوعًا، وجعل خرق البنين والبنات له سبحانه نوعًا آخر[٢]، ففي هذه الآية أيضًا نفس الآية السابقة، فقد ذكر الله أنَّ الكفرين مستقلَّان، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ هذا كفر، ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ هذا كفرٌ مستقلٌّ، فكفروا من الجهتين: أنهم زعموا لله الشريك، وأنهم جعلوا لله البنين والبنات[٣]، فهؤلاء جعلوا لله شركاء الجن ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾؛ أي: وقد خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الجن، فالجن مخلوقون، وهؤلاء قد عبدوهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، قال: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ [الأنعام:١٢٢]؛ يعني: اختلقوا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنين وبنات بغير علم، فعطف سبحانه بين النوعين، فدلَّ ذلك كما تقدَّم على المغايرة[٤].

ويمكن جعل ما سبق ذكره من الوجهين السابقين وجهًا واحدًا، فيُقال في الجواب: إنَّ نسبة الولد إلى الله كفرٌ مستقلٌّ، والالتجاء إلى الصالحين ودعائهم كفرٌ مستقلٌّ، وقد فرَّق الله بين الكفرين في عدة آيات، منها: (قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾)، فالله وحده مَن يصمد إليه،

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٨٧).

(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٤) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٨٤).

ومَن قصد غيره فقد كفر، ثم قال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، فمَن زعم أنَّ لله ولدًا فقد كفر؛ و(قال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١])؛ و(قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٠])، فكلٌّ واحد كفرٌ مستقل(١)، فمَن جعل له ولدًا فهو كافرٌ؛ لتكذيبه بالآيتين، وما في معناهما(٢).

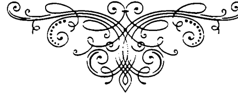
والوجه الثالث: قول المصنف: (**والدَّليل على هذا أيضًا: أنَّ الذين كفروا بدعاء اللات مع كونِهِ رجلًا صالحًا؛ لم يجعلوه ابنَ اللهِ، والذين كفروا بعبادة الجن؛ لم يجعلُوهُم كذلك**)، وهذا مما يبطل هذه الشبهة: أنَّ الذين كانوا يدعون (اللات)، الذي كان يلت السويق للحاج في الطائف؛ كفروا بشركهم، مع أنهم لم يجعلوه ابنًا لله؛ وكذلك الذين عبدوا الجن لم يزعموا أنهم أبناء الله، فكانوا بهذا مشركين(٣)؛ فإنه وإن كان في العرب مَن يزعم أنَّ الجنَّ أبناء الله، ففيهم مَن لا يزعم ذلك ويدعوهم من دون الله(٤)؛ فاستدلَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الأول على إبطال هذه الشبهة بأنَّ هذا القول كفر مستقل ولو لم يضف إليه الشرك بالله، واستدل هنا بواقع المشركين، فإن من المشركين مَن كان يعبد غير الله ولا يدّعيه ولدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما كانوا يعبدون اللَّات ولم يقولوا: إنه ابن الله، وكما كانوا يعبدون الجن ولم يقولوا: إنهم أبناء الله(٥).

والوجه الرابع: قوله: (**وكذلك العلماءُ أيضًا في جميع المذاهب الأربعة،**

---

(١) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤٠).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٦).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٥).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٦).
(٥) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٥٥).

يذكرونَ في باب حُكم المرتد: أنَّ المسلمَ إذا زعمَ أنَّ لله ولدًا؛ فهو مرتدٌّ، وإنْ أشركَ بالله، فهو مرتدٌّ، فيُفرقون بين النوعينِ، وهذا واضحٌ في غاية الوضوحِ)؛ فالعلماء جعلوا كلًّا من الأمرين موجبًا للردة[1].



(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٤).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[وإن قال:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]. **فقل: هذا هو الحقُّ، ولكنْ لا يُعْبَدُونَ، ونحن لا نُنكر إلا عبادَتَهُم معَ اللهِ، وإشراكَهُم معهُ، وإلا فالواجبُ [عليكَ]**[١] **حُبُّهُم، واتباعهم، والإقرارُ بكراماتِهم، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ، ودينُ الله وسطٌ بين طرفين، وهدى بينَ ضلالتين، وحقٌّ بين باطلينِ].**

الشَّرح

هذه **الشبهة التاسعة**، وهي: الاستدلال بمكانة الأولياء وكراماتهم، ومضمونها: إنَّ مكانة الأولياء وعظيم منزلتهم وما ثبتَ لهم من الكرامات مسوغٌ بالتوجه إليهم بالدعاء والنذر والذبح وغير ذلك، لكونهم أولياء لهم منزلة عظيمة عند الله[٢]، وخلاصة هذه الشبهة: جواز دعاء الأولياء والصالحين لما لهم من المكانة والمنزلة عند الله تعالى، كما بيَّن الله ذلك في كتابه[٣]، والجواب على هذا الاستدلال تقدَّم في الجواب المجمل[٤]، فإنَّ عُبَّاد الأموات وعُبَّاد غير الله جَلَّ وَعَلَا في الأعصر المتأخرة يروِّجون كرامات الأولياء ليدلُّوا الناس بذلك على أنَّ هذا الولي الذي صار له من الكرامات كذا وكذا أنه يستحق أن يُدعى، وأن يستشفع به، وأن يستنصر به، وأن يستعاذ به، وأن يتوكل عليه، إلى آخر أنواع العبادة، فجعلوا حصول الكرامات ورؤية مَن رأى هذه الكرامات

---

(١) في نسخة الشَّحري: [علينا].

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤١).

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٥).

والإقرار بذلك، وأنَّ أهل السنة يقرون بكرامات الأولياء، جعلوا ذلك سُلَّمًا لدعوة الناس لعبادة غير الله جَلَّوَعَلَا، وهذه حجةٌ كثيرًا ما يرددها الخرافيون، فينبغي لأهل التوحيد وللدعاة إليه أن يقفوا عند هذه الشبهة كثيرًا، وهذا الوقوف بيَّنه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أتم بيان[١]؛ فقال: **(وإن قال:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢])؛ والملائكة من أولياء الله، والصالحون من أولياء الله، واللات من أولياء الله[٢]؛ يعني: قال ذلك بعد ما تقدم؛ يُعَرِّضُ بذكر ما لهم من مقامٍ كريمٍ، فإنَّ قصدَه مَن ذكر ذلك التعريض بمقامهم[٣]؛ فوجه الاستدلال عنده هنا: كأنه يقول: إنَّ أولياء الله لا بد أن يُرضيهم الله بنجاة مَن يتعلق بهم، ويتوجه إليهم؛ لأن من كمال أمنهم من الحزن والخوف أنَّ الذين يتعلَّقون بهم؛ لا بدَّ أن ينالوا مرادهم[٤]، **(فقل:)**؛ مبينًا قدرهم[٥] **(هذا هو الحقُّ)**، فما استدللتم به حق وصواب[٦]، ولكن هذا المدح فيه مصلحة لهم، وليس هذا لغيرهم[٧]، فالأولياء لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، **(ولكنْ لا يُعْبَدُونَ)**؛ لأن الآية دلت على أنَّ هؤلاء الأولياء لهم الكرامة، ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولكن ليس في الآية أنهم يُعبدون، ولا أنهم يُستغاث بهم، ولا أنهم يُدعَون من دون الله جَلَّوَعَلَا[٨]، **(ونحن**

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٩٠).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (٨٢).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٧).

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٥).

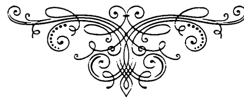
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٧).

(٦) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤١).

(٧) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (٩٥).

(٨) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٢٩٢، ٢٩٣).

لا نُنكر إلا عبادَتَهُم معَ اللهِ، وإشراكَهُم معهُ)؛ يعني: لـمَّا أنكرنا عبادة الأولياء لم ننكر فضلهم ولا منزلتهم ولا مكانهم ولا ما أعده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لهم؛ إنما أنكرنا صرف العبادة لهم دون الله[1]، (**وإلا فالواجبُ عليكَ حُبُّهُم، واتباعهم، والإقرارُ بكراماتِهم، ولا يجحدُ كراماتِ الأولياءِ إلا أهلُ البدع والضلالاتِ)**؛ فيُحْفَظُ بهذا حقُّ الله وحقُّهم، وهذه القسمة بالسوية هي العدل في القضية؛ بإثبات حق الأولياء لهم، وإثبات حق الله جَلَّ وَعَلَا، فالأمر كما قال المصنف: (**ودينُ الله وسطٌ بين طرفين، وهدى بينَ ضلالتين، وحقٌّ بين باطلينِ**)، وهي من جواهر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].



(١) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٥٦).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٦٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا عرفت أنَّ هذا الذي يسميه المشركون في [وقتنا][(١)]: «الاعتقادَ»؛ هو الشركُ الذي أُنزِلَ[(٢)] فيه القرآنُ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناسَ عليه؛ فاعلم: أنَّ شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتنا[(٣)] بأمرين:

أحدُهما: أنَّ الأوَّلينَ لا يُشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ، أو الأولياءَ، أو الأوثانَ[(٤)] مع الله؛ إلا في الرخاء، وأما في [الضُّر و][(٥)] الشدة فيُخلصون لله الدين[(٦)]، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام:٤٠] إلى قوله: ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ الآيةُ [الزمر:٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢].

فمَن فهم هذه المسألَةَ، التي وضَّحَها اللهُ في كتابه؛ وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيرَهُ في الرخاء، وأمَّا في

---

(١) في نسخة الشَّحري: [وقتنا هذا كَبِيرَ]؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [زمننا].

(٢) في نسخة القاسم؛ ودغش: [نزلَ]؛ وفي نسخة الشَّحري: [أَنزَلَ الله].

(٣) في نسخة القاسم؛ ودغش: [أهلِ زمانِنا].

(٤) في نسخة الشَّحري: [والأولياء أَوثانًا]؛ وفي نسخة القاسم: [والأولياء والأوثان].

(٥) زيادة من نسخة دغش.

(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [فيُخلصون الدين لله].

[الضَّراء و][1] الشدة فلا يَدْعُون إلا اللهَ وحدَهُ، [لا شريكَ له][2]، وينسون ساداتِهم؛ تَبيَّن له الفرقُ بين شركِ أهلِ زماننا وشركِ الأوَّلينَ، ولكن أين مَن يفهَمُ قلبُهُ هذه المسألةَ فهمًا [جيدًا][3] راسخًا؟ والله المستعانُ، [وبه التوفيق][4].

والأمر الثاني: أنَّ الأوَّلينَ يدعونَ مع الله أُناسًا مُقرَّبين عند اللهِ؛ إما أنبياءَ وإما أولياءَ[5]، وإما ملائكةً، أو يدعونَ أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله، ليست عاصيةً[6]، وأهلُ زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونَهم: هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وتركِ الصلاةِ وغيرِ ذلك.

والذي يعتقدُ في الصالح والذي لا يعصي -مِثلَ الخشبِ والحجرِ-؛ أهونُ ممَّن يعتقدُ فيمَن يُشَاهِدُ [بنفسِهِ][7] فِسقَهُ وفسادَهُ ويشهدُ به].

الشَرْح

ذكر المصنف أولًا: الشُّبه الثلاث التي هي أكبر ما عند الذين يفعلون الشرك في زمانه، وأجاب عليها، ثم ذكر بعد ذلك: شبهًا أخرى، وأجاب عليها،

(١) زيادة من نسخة دغش؛ وفي نسخة الشَّحري: [وأما في الضُّر].
(٢) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ ودغش؛ والقاسم.
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) زيادة من نسخة دغش.
(٥) في نسخة العصيمي: [إما نبيًّا، وإما وليًّا].
(٦) في نسخة الشَّحري: [أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعةً لله، وليست عاصية]؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ليست بعاصيةٍ].
(٧) زيادة من نسخة الشَّحري.

واتضح بالجواب على هذه الشبهات أنَّ فعل هؤلاء الذين يدَّعون التوحيد، وينفون الشرك عن أنفسهم، موافق تمامًا لفعل المشركين الأولين، ثم ذكر هنا زيادة على ذلك أنَّ هناك فرقًا بين شرك الأولين وشرك أهل هذا الزمان، وهو أنَّ شرك الأولين أخف من شرك أهل هذا الزمان[١].

فهذا المقطع لا يتضمَّن شبهة، وإنما فيه التنبيه على فائدة مهمة، وهي: الفرق بين شرك الأولين وشرك المتأخرين، وهذه هي القاعدة الرابعة ضمن رسالة المصنف (القواعد الأربع)[٢].

وخلاصة هذا المقطع: بيان أن شرك المتأخرين أعظم من شرك الأولين؛ فبعد أن بين المصنف بالأدلة الواضحة ضلال هؤلاء المشركين الذين يدَّعون التوحيد، وبيَّن أنَّ فعلهم هو عينه فعل كفار قريش الذين قاتلهم النبي ﷺ؛ استطرد وأراد أن يزيد على ذلك، وبين أنَّ هؤلاء المشركين المتأخرين أعظم شركًا من الذين قاتلهم النبي ﷺ[٣]، فقال: (**فإذا عرفت أنَّ هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا: «الاعتقادَ»**)؛ يعني: الاعتقاد في الصالحين، وقد يسمونه كبير الاعتقاد، فكبير الاعتقاد أو الاعتقاد عند القبوريين، هو: الالتجاء إلى الصالحين[٤]: (**هو الشركُ الذي أُنزِلَ فيه القرآنُ، وقاتلَ رسولُ الله ﷺ الناسَ عليه**)، فهذا الاعتقاد هو نفس الشرك الذي كان عليه المشركون الأولون، وبهذا يُعلم أن أولئك الذين يعتقدون في الصالحين؛ حكمهم حكم المشركين

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٧٩).
(٢) المشكاة في شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد العزيز الباتلي (١٣١).
(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤٣).
(٤) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٩٠).

الأولين الذين قاتلهم الرسول ﷺ، فإذا عرفت ذلك، (**فاعلم: أنَّ شركَ الأولين أخفُّ من شرك أهلِ وقتنا بأمرين:**)، وإن شئت قل: فاعلم أن شرك أهل زماننا أغلظ شركًا من الأولين، كما عبَّر المصنف بذلك في القواعد الأربع، فالمصنف هنا بعدما قرَّر أن شرك أهل زماننا هو نفس ما كان عليه المشركون الأولون؛ أراد أن يبين أن شرك أهل زماننا أشد من شرك الأولين بأمرين[١]، وكون شرك أهل زماننا أغلظ وأكبر بهذين الأمرين، ليس دليلًا على أنه لا يتغلظ إلا بهذين الأمرين، بل يريد أنه تغلَّظ بهذين الأمرين[٢].

قال المصنف: (**أحدُهما: أنَّ الأوَّلينَ لا يُشركونَ ولا يدعونَ الملائكةَ، أو الأولياءَ، أو الأوثانَ مع الله؛ إلا في الرخاء، وأما في الضُّر والشدة فيُخلصون لله الدين، كما قال تعالى:** ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، **وقال تعالى:** ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام:٤٠] **إلى قوله:** ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤١]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر:٨] **الآيةُ، وقال تعالى:** ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان:٣٢])، فالفرق الأول: أنَّ الأولين يشركون بالله في الرخاء، ويخلصون له في الشدة، أما المتأخرون فإنهم يشركون بالله في الرخاء والشدة، فهم أقبح شركًا، وأسوأ أمرًا[٣]؛ وإنما كان هذا حال المشركين

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٨).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٦).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٠).

الأولين؛ لأنهم أصح عقولًا وأفهم في هذه الأمور؛ لعلمهم أنه لا يُنجي في المضايق والكروب إلا الله، فيخلصون لله الدين، وهذه الآيات ونظائرها دالة على أنهم في الرخاء يشركون، وفي الشدة يخلصون، فلا يدْعون إلا الله وحده لا شريك له[(١)]، فهذه الأدلة دالة على أن المشركين الأولين كانوا يخلصون لله في حال الشدة؛ لأنه هو الإله الأعظم عندهم، وإنما يشركون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حال الرخاء[(٢)]، ثم قال المصنف: (**فمَن فهم هذه المسألَةَ، التي وضَّحَها اللهُ في كتابه؛ وهي: أن المشركين الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيرَهُ في الرخاء، وأمَّا في الضَّراء والشدة فلا يَدْعُون إلا اللهَ وحدَهُ، لا شريكَ له، وينسون ساداتِهم؛ تَبيَّن له الفرقُ بين شركِ أهلِ زماننا وشركِ الأوَّلينَ**)؛ يعني: أن شرك أهل زماننا أعظم وأكبر وأطم، وإنما ضلوا بتركهم القرآن والإعراض عنه، فأهل زماننا شركهم في الحالتين جميعًا، بل إذا كانوا في الشدة نسوا الله بالكلية ولهجوا بمعبوداتهم من دون الله[(٣)]، فحريٌّ بالمسلم أن يعرف الحق من الباطل، ويعرف أنواع الباطل والكفر والشرك، وحريٌّ به أن يعرف أن أحوال المشركين متفاوتة، فمَن عنده بصيرة فرَّق بين هذه الأصناف[(٤)]؛ (**ولكن أين مَن يفهَمُ قلبُهُ هذه المسألةَ فهمًا جيدًا راسخًا؟ والله المستعانُ، وبه التوفيق**)؛ وهذا صحيح، فإنَّ كثيرين ممَّن عارضوا الدعوة استغربوا من المصنف أن يقول: شرك هؤلاء أعظم من شرك الأولين أهل الجاهلية، ولا شك أن مَن

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٦).
(٢) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٩١).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٠٩).
(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٦٩).

فهم هذه المسألة فهمًا راسخًا علم أن الذي قاله المصنف حق، لكن عليه أن يفهم ذلك بقلبه، فإن العقل إدراكه من جهة القلب[١]، وأكثر الناس في غفلة عن هذا، وأكثر الناس يلبس عليهم الحق الباطل، فيظنون الباطل حقًّا، كما يظنون الحق باطلًا[٢].

قال المصنف: (**والأمر الثاني: أنَّ الأوَّلينَ يدعونَ مع الله أُناسًا مُقرَّبين عند اللهِ؛ إما أنبياءَ وإما أولياءَ، وإما ملائكةً، أو يدعونَ أحجارًا وأشجارًا مطيعةً لله، ليست عاصيةً، وأهلُ زماننا يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس، والذين يدعونَهم: هم الذين يحكون عنهم الفجور؛ من الزنا والسرقة وتركِ الصلاةِ وغيرِ ذلك**)، وهذا الفرق الثاني وهو: أن المشركين الأولين يلجؤون إلى المقربين عند الله أصحاب الأعمال الصالحة، أو الأشجار والأحجار التي هي طائعة لله؛ وأما المتأخرون فيلجؤون إلى المقربين، وإلى أصحاب الفسق والفجور أيضًا[٣]، ومعلوم أنَّ مَن دعا مع الله غيره من أيِّ شيء فهو كافر، ولكنه أهون من الثاني، فإنه عظَّم مَن لا يُعَظَّم بوجه، فصار شركه أعظم، وإن كان الكل شركًا وكفرًا وضلالًا، فالذي يدعو فاسقًا أو كافرًا، يطلب ممَّن كان ممقوتًا مذمومًا في الشرع ويعبده، فكان معاندًا للشرع، فاستويا في أنَّ الكل شرك، وافترقا فيمَن هو مُعظَّم في الجملة، والثاني عظَّم مَن ليس معظَّمًا بحال فصار أعظم شركًا[٤].

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٠٤).

(٢) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٧٨).

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٤٣).

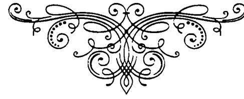
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١١١).

قال المصنف: **(والذي يعتقدُ في الصالح والذي لا يعصي -مِثلَ الخشبِ والحجرِ-؛ أهونُ ممَّن يعتقدُ فيمَن يُشَاهِدُ بنفسِهِ فِسقَهُ وفسادَهُ ويشهدُ به)**؛ لأنَّ مثل هذا إذا كان من عامة الناس، وخفيت عليه النصوص، ولم يتمكَّن من التفريق بين الحق والباطل، فقد يُقال إنَّ له شبهة؛ إذا عبد شيئًا مقرَّبًا من الله، من ولي أو نبي أو ملَك؛ لكن الذي يعبد فاجرًا بعيدًا كلَّ البعد عن الله جَلَّوَعَلَا، فما وجه عبادته إيَّاه؟ مع أن كليهما في النهاية مشرك شركًا أكبر[١]، ومراده بقوله: (أهون) إنما هو في معرض النظر، فالشبهة في دعاء الصالح أقوى من الشبهة في غيره، وكذلك فإن قيامها في دعاء الشجرة والحجر هو أقوى من دعاء فاسق أو كافر، فهذه مقارنة من باب النظر والعقل، وإلا فهي في حكم الله سواء، ذلك بأن العقول السليمة تشهد أنَّ المشرك إذا دعا مَن يزعم أنه يقربه إلى الله من نبي أو ولي أو ملَك وهم من أفضل خلق الله، أو على أقل تقدير إذا دعا أشجارًا أو أحجارًا مما ليس لها معاصٍ أصلًا؛ أصح عقلًا وأقوم فطرة ممَّن دعا وتوسَّل بأبعد الخلق إلى الله، وهذا ظاهر[٢].

وثمة فرق ثالث أيضًا: وهو أنَّ المتقدِّمين شركهم في الألوهية؛ ومشركي العصور المتأخرة من المنتسبة إلى الإسلام كما أنهم أيضًا يشركون في الألوهية، فهم أشركوا أيضًا في باب الربوبية، فاعتقدوا أنَّ لهؤلاء الأولياء أو الأقطاب أو الأوتاد تأثيرًا وتصرُّفًا وتدبيرًا للكون، وهذا شركٌ في الربوبية، ولما ذكر ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قال: (وشرك الأوَّلين لم يصل إلى هذه الغاية)؛ يعني: أن

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (١٠٢).
(٢) الكلمات الواضحات شرح كشف الشبهات، د. عبد العزيز بن علي القصير (١٧٩).

يُعتقد أن هذا له تأثيرٌ في الكون، وتصرفٌ فيه، وتدبيرٌ له[١].



---

(١) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (٩٤)؛ وشرح كشف الشبهات، عبد الرزاق البدر (٢٢٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [إذا تحقَّقتَ أن الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء؛ فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبهةً يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شُبهِهِم، فأصغِ سمعكَ لجوابها؛ وهي أنهم يقولون: إنَّ الذين نزل فيهم القرآنُ لا يشهدون أَلَّا إله إلا الله [وأن محمدًا رسولُ اللهِ][1]، ويُكَذبونَ رسولَ الله ﷺ[2]، ويُنكرونَ البعثَ، ويُكذبونَ القرآنَ ويجعلونهُ سحرًا، ونحن نشهدُ أَلَّا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ونُصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعث، ونصلي ونصومُ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟ فالجواب: أنه لا خلافَ بين العلماءِ كلهِم؛ أنَّ الرجلَ إذا صدَّقَ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ وكذَّبه في شيءٍ؛ أنه كافرٌ، لم يدخل في الإسلام.

وكذلك إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضَهُ، كمَن أقرَّ بالتوحيد وجحدَ وجوبَ الصلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاةِ وجحدَ وجوبَ الزكاةِ، أو أقرَّ بهذا كُلِّهِ وجحدَ [وجوبَ][3] الصومِ، أو أقرَّ بهذا كلِّه وجحدَ [وجوب][4] الحج.

ولما لم يَنْقَد أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج، أنزلَ اللهُ تعالى في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي.

(٢) في نسخة الشَّحري: [ويكذبون الرسول].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

ومَن أقرَّ بهذا كلِّه، وجحدَ(١) البعثَ؛ كفرَ بالإجماع، وحلَّ دمُهُ ومالُهُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠]، فإذا كان اللهُ تعالى قد صرَّح في كتابه: أنَّ مَن آمنَ ببعضٍ، وكفَرَ ببعضٍ؛ فهو الكافرُ(٢) حقًّا، [وأنه يستحقُّ ما ذُكرَ](٣)؛ زالت هذه الشبهةُ.

وهذه هي التي ذكرها بعضُ أهلِ الأحساءِ في كتابه الذي أرسلَ(٤) إلينا.

ويقالُ [أيضًا](٥): إذا كنتَ تُقرُّ أنَّ مَن صدَّقَ الرسول ﷺ في كل شيءٍ، وجحَدَ وجوبَ الصلاةِ؛ [فهو](٦) كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيءٍ إلا البعثَ، وكذلك لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ، وصدَّق(٧) بذلك [كله](٨)، [لا يَجْحَدُ هذا](٩)، ولا تختلفُ المذاهبُ فيه، وقد نطق به القرآنُ كما قدمنا.

فمعلومٌ أنَّ التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظمُ من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحدَ الإنسانُ شيئًا من هذه الأمور: كفَرَ؛ ولو عملَ بكل ما جاء به الرسول ﷺ؛ وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دين

---

(١) في نسخة الشَّحري زيادة: [وجوب].
(٢) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [فهو كافرٌ].
(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٤) في نسخة الشَّحري: [أرسلَهُ].
(٥) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم.
(٦) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [أنه].
(٧) في نسخة القاسم: [وأقرَّ]؛ وفي نسخة القحطاني: [وكذَّبَ].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والقحطاني.

الرسلِ كُلِّهِم: لا يكفرُ؟ سبحان الله ما أعجبَ هذا الجهلَ.

ويُقال أيضًا: هؤلاء[١] أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أَلَّا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، ويصلُّون ويؤذنون[٢].

فإن قال: إنهم [يقولون][٣]: إنَّ مسيلمةَ نبيٌّ.

قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان مَن رفعَ رجُلًا في[٤] رتبةِ[٥] النبي ﷺ كفرَ، وحلَّ مالُهُ ودمُهُ، ولم تنفعهُ الشهادتانِ ولا الصلاةُ، فكيف بمَن رفع شمسانَ أو يُوسُفَ أو صحابيًّا أو نبيًّا [أو غيرهُم][٦] في[٧] مرتبةِ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ؟ سبحان الله[٨]، ما أعظمَ شأنَهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩].

ويُقال أيضًا: الذين حرَّقهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار؛ كُلُّهم يَدَّعُون الإسلامَ، وهم من أصحاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعلَّمُوا العلمَ من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلَ الاعتقادِ في يوسُفَ وشمسانَ وأمثالِهما، فكيف

---

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [لهؤلاء].

(٢) في نسخة دغش زيادة: [ويصومون].

(٣) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [يشهدونَ].

(٤) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إلى].

(٥) في نسخة القاسم: [مرتبة]

(٦) زيادة من نسخة العصيمي.

(٧) في نسخة الشَّحري: [إلى].

(٨) في نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني: [سبحانه].

أجمعَ الصحابةُ على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أنَّ الصحابةَ يُكَفِّرونَ المسلمين؟ أم تظنون [أنَّ][(١)] الاعتقادَ في[(٢)] تاجٍ وأمثالِهِ لا يضُرُّ، والاعتقادَ في علي بنِ أبي طالبٍ يُكَفِّرُ؟

ويُقالُ أيضًا: بنو عبيدٍ القدَّاح الذين مَلَكوا المغربَ ومصرَ في زمان بني العباسِ: كُلُّهم يشهدون [بألسنتهم][(٣)] ألَّا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويَدَّعونَ الإسلامَ، ويُصلُّونَ الجمعةَ والجماعةَ، فلمَّا أظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحن فيه؛ أجمعَ [جميعُ][(٤)] العلماء على كفرهم وقتالِهِم، وأنَّ بلادهم بلادُ حربٍ، وغزاهمُ المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمينَ.

ويُقال أيضًا: إذا كان [المشركونَ][(٥)] الأوَّلون لم يكْفُرُوا إلَّا لأنهم جمعوا بين الشركِ وتكذيبِ الرسولِ والقرآنِ وإنكارِ البعثِ وغيرِ ذلك، فما معنى البابِ الذي ذكره العلماءُ في كل مذهبٍ: «بابُ حكمِ المرتدِّ»، وهو: المسلم الذي يكفُرُ بعد إسلامه، ثم[(٦)] ذكروا أنواعًا[(٧)] كثيرةً، كُلُّ نوعٍ منها يُكفرُ، ويُحِلُّ دمَ الرجُلِ ومالَهُ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند مَن فعلها، مثلَ: كلمةٍ يذْكُرُها

(١) زيادة من نسخة دغش؛ والقاسم؛ والعصيمي؛ والشَّحري.

(٢) في نسخة دغش زيادة: [يوسف، وفي].

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) زيادة من نسخة العصيمي.

(٦) في نسخة الشَّحري: [وقد].

(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أشياءَ].

بلسانه دون قلبِهِ، أو كلمَةٍ يذْكُرُها على وجه المزحِ واللعبِ.

ويُقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]، أما سمعتَ اللهَ كفَّرهم بكلمَةٍ؛ مع كونهم في زمنِ رسولِ الله ﷺ، و[هم][1] يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فهؤلاء الذين صرَّح اللهُ فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، [وهم][2] مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزحِ [واللعب][3].

فتأمل هذه الشبهةَ، وهي قولُهُم: تُكَفرُون المسلمينَ؛ [تكفرون][4] أُناسًا يشهدون ألَّا إله إلا الله، ويُصلُّون، ويصومون، [ويحجُّون][5]، ثم تأمَّل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراقِ.

ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللهُ عن بني إسرائيلَ -مع [إسلامِهم][6] وعلمِهم وصلاحِهم- أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]،

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٢) في نسخة الشَّحري: [كانوا].
(٣) زيادة من نسخة دغش.
(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي.
(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

وقولُ أُناسٍ(١) من الصحابة: [يا رسول الله](٢) اجعل لنا ذات أنواط، فحَلَفَ رسولُ الله ﷺ: أنَّ هذا [مثلُ](٣) قولِ بني إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾.

ولكنْ للمشركين شبهةٌ(٤) يُدلون بها عند هذه القصةِ، وهي أنهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفُرُوا [بذلك](٥)، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعلَ لهم ذاتَ أنواطٍ(٦)؛ لم يكفروا.

فالجواب: أن تقولَ(٧): إنَّ بني إسرائيلَ لم يفعلوا [ذلك](٨)، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا [ذلك](٩)، ولا خلاف [في](١٠) أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك؛ لكفروا، و[كذلك](١١) لا خلاف [في](١٢) أنَّ الذين نهاهم النبي ﷺ:

---

(١) في نسخة العصيمي: [وقال أُناسٌ].
(٢) زيادة من نسخة القاسم؛ وفي نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [اجعل لنا يا رسولَ الله ذاتَ أنواطٍ].
(٣) في نسخة الشَّحري: [نظيرُ].
(٤) في نسخة الشَّحري زيادة: [أخرى].
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ والقحطاني.
(٦) في نسخة الشَّحري: [وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط]؛ وفي نسخة القاسم: [وكذلك الذين قالوا لرسول الله ﷺ: اجعل لنا ذاتَ أنواط]؛ وفي نسخة دغش: [وكذلك الذين قالوا: اجعل لنا ذات أنواط].
(٧) في نسخة الشَّحري: [أن نقُولَ].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٩) زيادة من نسخة العصيمي.
(١٠) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.
(١٢) زيادة من نسخة الشَّحري.

لو لم يُطيعوه، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعد نهيهِ؛ لكفروا، وهذا هو المطلوبُ].

الشَّرح

هذه **الشبهة العاشرة**؛ فلمَّا كشف المصنف عن الشبهات المتقدم ذكرها، واتضح بذلك أنَّ فعل هؤلاء موافق تمامًا لفعل المشركين الأولين، ثم زاد على ذلك أنَّ شرك الأولين أخف من شرك هؤلاء؛ ناسب أن يذكر بعد ذلك الشبهة العظيمة التي يتشبثون بها لنفي الشرك والكفر عن أنفسهم(١)؛ ومضمون هذه الشبهة: أنَّ مَن قال: لا إله إلا الله، ودخل في الإسلام فإنه لا يكفر وإن فعل ما فعل(٢)؛ فهذه شبهة جديدة ذكرها المصنف مما يورده الخصوم، وهذه الشبهة شبهة العلماء؛ لأن الذي يوردها هم من أهل العلم؛ فإن الجواب عن الشبه السابقة قد أقرَّ بحسنه جمع كثير من أهل العلم، فوافقوا المصنف في معنى العبادة، وفي معنى التوحيد، وفي معنى الشرك، لكنهم خالفوه في التكفير والقتال(٣)، وخلاصة هذه الشبهة: أن المخالفين يزعمون أن الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ كفروا لأنهم لم يقولوا الشهادتين، ولأنهم جحدوا النبوة والبعث(٤)، فهذه الشبهة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكثر الشبهات التي يثيرونها، يقول: كيف تجعلني مثل المشرك، وأنت تراني وأنا أقر باليوم الآخر وهو لا يقر، وأنا أقر بشهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ وهو لا يقر، وأنا

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٨٣).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣١٢).

(٤) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

أصلي وهو لا يصلي، وأنا أزكي وهو لا يزكي، وأنا أصوم وهو لا يصوم؛ فلا يجوز أن تجعلنا مثل المشرك، فضلًا على أن تقول: إنَّ شركنا أغلظ من شرك المتقدمين، هذا هو المقصود بهذه الشبه(١)، والحقيقة أنَّ هذه الفروق المذكورة غير مؤثرة، بل هذه الفروق مما يتغلظ كفرهم بها؛ فإن الكافر الأصلي الذي ما أقرَّ بشيء من ذلك، أهون كفرًا ممَّن أقر بالحق وجحده؛ ولذلك المرتد أعظم كفرًا من الكافر الأصلي في أحكامه، وقد أجاب المصنف عن هذه الشبهة بتسعة أجوبة، كل واحد منها كافٍ شافٍ في ردِّها؛ لكن كثَّرها لمزيد كشف وإيضاح(٢).

والشبه المتعلقة بتوحيد العبادة المذكور جوابها في هذا الكتاب ترجع إلى أصلين:

أحدهما: شبهٌ يراد بها أنَّ ما عليه المتأخرون ليس بشرك.

والآخر: شبهٌ يراد بها دفعُ التكفير والقتال عمَّن فعل شيئًا من ذلك.

وهذه الجملة الطويلة هي في إبطال الشبه المتعلقة بالأصل الثاني، وهي من أنفع ما في هذه الأوراق، كما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإن كثيرًا من أهل العلم كانوا يوافقونه على أنَّ أفعال أولئك شركٌ، ولكنهم يُحجمون عن تكفير أولئك وقتالهم(٣).

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١١٢، ١١٣).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٦).

قال المصنف: (إذا تحققَّتَ أن الذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ أصحُّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء؛ فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبهةً يوردونها على ما ذكرنا)؛ يعني: على ما سبق بيانه من أن شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأولين، وأن الأولين كانوا أصح عقولًا من هؤلاء[١] **(وهي من أعظم شُبهِهِم، فأصغِ سمعكَ لجوابها)**؛ وهذا فيه حث على الاهتمام بما سيأتي، فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهيئ القارئ لما سوف يأتيه من الأشياء المهمة؛ حتى يستعد لها ذهنيًّا، ويحرص على فهمها وتدبر ما فيها[٢]، والمصنِّف لم يقل: أصغ سمعك لها؛ أي: للشبهة؛ لأن الشبهة لا يُحْفل بها ولا يُهتَم بها، وإنما يُهتَم لجوابها، والمصنف طلب الإصغاء لجوابها ولم يذكر عليها جوابًا واحدًا، بل ذكر تسعة أجوبة، وهذه هي الشبهة التي أجاب عنها بأجوبة كثيرة[٣]، وذلك لأهميتها وقوة اللبس فيها، وهي كما قال المصنف: من أعظم شبههم؛ فأصبحت الشبه الكبار أربعًا، الشبه الثلاث الأولى، وهذه هي الرابعة، وهي كبيرة لكثرة مَن يقتنع بها، لا لأن أدلتهم عليها قوية[٤]، وهذه الشبهة حقيقتها: التفريق بين بعض الدين وبعض، وأنَّ الكفر لا يكون إلا إِذَا وقع في جميع أصول الديانة، وأما إِذَا وقع في بعض أصول الديانة فلا يكون شركًا مخرجًا من الملة موجبًا لصاحبه ما أوجبه المصنف في رسالته.

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٣٠).
(٢) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١٥٩).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٣١).
(٤) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١٦٠).

قال المصنف: (**وهي أنهم يقولون: إنَّ الذين نزل فيهم القرآنُ لا يشهدون أَلَّا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ اللهِ**)؛ يعني: لا ينطقون بالشهادتين، (**ويُكَذبونَ رسولَ الله ﷺ**)، ويمتنعون عن طاعته، (**ويُنكرونَ البعثَ**)، ولا يصدقون به، (**ويُكذبونَ القرآنَ ويجعلونهُ سحرًا، ونحن نشهدُ أَلَّا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ونُصدقُ القرآنَ، ونؤمنُ بالبعث، ونصلي ونصومُ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟**)، وتسوون بين مَن يُقر بهذه الأمور العظيمة، وبين مَن يجهلها؛ فأنتم بهذا ساويتم بين المتفارقين، وجمعتم بين المختلفين، ولم تقتصروا على ذلك، بل جعلتمونا أعظم جهلًا وضلالًا منهم، وهم يريدون بهذا معارضة ما قرَّره المصنف، ونفيه، وهذه الشبهة لا تزال تثار عند المشبهين من المعاصرين، فيقول قائلهم: (كفار قريش الذين لا يقولون: «لا إله إلا الله» ولا يرضون قولها، ولا يؤمنون بيوم القيامة ولا البعث ولا جنة ولا نار، ولا يؤمنون بنبي، ويعبدون الأصنام، ويقتلون ويظلمون ويشربون الخمور، ويزنون، ويأكلون الربا، ويرتكبون المحرمات؛ مثلهم مثل المسلمين المصلين الصائمين الحاجِّين المزكّين المتصدقين المجتنبين للمحرمات والفاعلين مكارم الأخلاق... لا، ليسوا سواء، لا تجوز المساواة بين مَن يقوم بأركان الإسلام مع مَن ينكرها).

وقد أجاب المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن هذه الشبهة فقال: (**فالجواب:**) أنَّ هذه الفروق المذكورة لا تؤثر؛ والدليل: (**أنه لا خلافَ بين العلماءِ كلهِم؛ أنَّ الرجلَ إذا صدَّقَ رسولَ الله ﷺ في شيءٍ وكذَّبَه في شيءٍ؛ أنه كافرٌ، لم يدخل في**

الإسلام)، فإنَّ مَن صدَّقه في شيء وكذَّبه في شيء، فهو كافر[١]، فمَن كَذَّبَ النبي ﷺ في شيء ثابت عنه، معلوم من دينه بالضرورة؛ فإنه كافر، ولو أقرَّ واعترف وعمل بما عدا ما كذَّب به، فالذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض، والذي يكفر بالجميع حكمها واحد؛ لأن الكفر إذا حُكم به على صاحبه لم يقبل التجزئة[٢]، فمَن أراد الدخول في الإسلام، فقال: أنا أدخل مصدقًا بأشياء ومكذبًا بأشياء فإنه لا يدخل في الإسلام، وإن نطق بالشهادتين؛ لأنَّ تصديقه ببعض الأشياء في الدين، وتكذيبه بالبعض الآخر لا يدخله في الإسلام أصلًا[٣].

قال المصنف: (**وكذلك إذا آمنَ ببعضِ القرآنِ وجحدَ بعضَهُ، كمَن أقرَّ بالتوحيد وجحدَ وجوبَ الصَّلاة، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاةِ وجحدَ وجوبَ الزكاةِ، أو أقرَّ بهذا كُلِهِ وجحدَ وجوبَ الصومِ، أو أقرَّ بهذا كله وجحدَ وجوب الحج، ولما لم يَنْقَد أناسٌ في زمن النبي ﷺ للحج، أنزلَ اللهُ تعالى في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]**)، قال: (ولما لم يَنْقَد أناس)، فعبَّر بالانقياد الذي معناه الالتزام، وإلا فإن عدم الحج مع الانقياد للحكم؛ يعني: مع اعتقاد وجوبه على المخاطب به، ليس بكفر، وإنما يكفر مَن جحده أو مَن لم يلتزم به؛ يعني: قال: لا يجب عليَّ، وإنما يجب على غيري[٤]، فمَن لم ينْقَد أو لم يلتزم وجوب الحج فإنه

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١١٢-١١٤).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (١٠٧).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣١٧).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٢١).

يكون كافرًا، بخلاف الذي يلتزم ولا يفعل، فيترك الحج وهو ملتزمٌ بوجوبه؛ أي: يعتقد تكليفه به، فإنه لا يكفر[١].

ثم قال: (**ومَن أقرَّ بهذا كله، وجحدَ البعثَ؛ كفرَ بالإجماع، وحلَّ دمُهُ ومالُهُ؛ كما قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٠]، **فإذا كان اللهُ تعالى قد صرَّح في كتابه: أنَّ مَن آمنَ ببعضٍ، وكفرَ ببعضٍ؛ فهو الكافرُ حقًّا، وأنه يستحقُّ ما ذُكرَ؛ زالت هذه الشبهةُ، وهذه هي التي ذكرها بعضُ أهلِ الأحساءِ في كتابه الذي أرسلَ إلينا**)، ولعلَّه يقصد ببعض أهل الأحساء: أحمد بن عبد الكريم، فقد كتب لهذا الرجل رسالة جوابًا عما وقع فيه من الاشتباه والإشكال، حيث يفهم من هذه الرسالة أن أحمد بن عبد الكريم تلبَّس بهذه الشبهة، فزعم أنَّ مَن أظهر الإسلام لا يكفر ولا يقتل، وإن وقع في ناقض من نواقض الإسلام، فأجاب المصنف عن هذه الشبهة وأورد الأدلة الشرعية والوقائع التاريخية التي تقرَّر أنَّ مَن أظهر الشرك أو الكفر فهو كافر حلال الدم والمال[٢].

وهذا الجواب الأول: وهو أنَّ مَن آمن ببعض الأحكام وكفر ببعضها هو كافرٌ بالجميع؛ كمَن أقرَّ بالصلاة وأنكر الصيام، أو أقر بالحج وأنكر الزكاة؛ فإنه لا يُقبل منه إيمانه بشيءٍ وكُفرُه بشيءٍ آخر من الدين، ولا يكون بذلك مسلمًا، بل يكون كافرًا[٣].

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٨٨).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٦).

ومن حيث التفصيل للجملة السابقة؛ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذلك[١]: **(ويُقالُ أيضًا: إذا كنتَ تُقرُّ أنَّ مَن صدَّقَ الرسول ﷺ في كل شيءٍ، وجحَدَ وجوبَ الصلاةِ؛ فهو كافرٌ حلالُ الدمِ والمالِ بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيءٍ إلا البعثَ، وكذلك لو جحدَ وجوبَ صومِ رمضانَ، وصدَّق بذلك كله، لا يَجْحَدُ هذا، ولا تختلفُ المذاهبُ فيه، وقد نطق به القرآنُ كما قدمنا؛ فمعلومٌ أنَّ التوحيدَ هو أعظمُ فريضةٍ جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظمُ من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحدَ الإنسانُ شيئًا من هذه الأمور: كفَرَ؛ ولو عملَ بكل ما جاء به الرسول ﷺ؛ وإذا جحدَ التوحيدَ الذي هو دين الرسلِ كُلِهِم: لا يكفُرُ؟ سبحان الله ما أعجبَ هذا الجهلَ)**.

وهذا جوابٌ ثانٍ، للشبهة السابقة: أنَّه إذا كان الخصم لا يُنكر ما قُرر من وجوب هذه المذكورات، وأنه لا يستقيم الإسلام، بل ينتقل الإسلام كله ويزول من أساسه؛ وهذا فيمَن جحد واحدًا من أركان الإسلام، فكيف بمَن جحد التوحيد الذي هو أساس الملة والدين، فإنه أعظم، فلا ينفعه تصديقه بكل ما جاء به الرسول، حيث جحد الأصل، فإذا صار جحدُ فرع من فروع الدين كفرًا، فكيف بجحد الأصل، وهو التوحيد، الذي هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وجهلُ هؤلاء بهذا من أعجب الجهل، وهو كون الواحد منهم يُقرُّ أنَّ جحد الصلاة كفر بالإجماع، أو أنَّ جحد غيرها من أركان الإسلام كفر، وجحد التوحيد ليس بكفر، فلو قُدر أنها لا تُكفر، فجحد التوحيد وحده يُكَفر، فلا أعجب ولا أقبح ولا أعظم ممَّن جهل هذا[٢]، فإذا كان يقرُّ أن مَن

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٢٤).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١١٨).

صدَّق الرسول في كل شيء وجحد وجوب الصلاة فهو كافر؛ فكيف بمَن كان الخلل عنده في التوحيد الذي هو الأصل(١).

قال المصنف: (ويُقال أيضًا: هؤلاء أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون ألَّا إله إلا الله وأن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، ويصلُّون ويؤذنون.

فإن قال: إنهم يقولون: إنَّ مسيلمةَ نبيٌّ.

قلنا: هذا هو المطلوب؛ إذا كان مَن رفعَ رجُلًا في رتبةِ النبي ﷺ كفَرَ، وحلَّ مالُهُ ودمُهُ، ولم تنفعهُ الشهادتانِ ولا الصلاةُ، فكيف بمَن رفع شمسانَ أو يُوسُفَ أو صحابيًّا أو نبيًّا أو غيرهُم في مرتبةِ جبَّارِ السماواتِ والأرضِ؟ سبحان الله، ما أعظمَ شأنَهُ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

ويُقال أيضًا: الذين حرَّقهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار؛ كُلُّهم يَدَّعُون الإسلامَ، وهم من أصحاب عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتعلَّمُوا العلمَ من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلَ الاعتقادِ في يوسُفَ وشمسانَ وأمثالِهما، فكيف أجمعَ الصحابةُ على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أنَّ الصحابةَ يُكفِّرونَ المسلمين؟ أم تظنُّون أنَّ الاعتقادَ في تاجٍ وأمثالِهِ لا يضُرُّ، والاعتقادَ في عليِّ بنِ أبي طالبٍ يُكفِّرُ؟

ويُقال أيضًا: بنو عبيدٍ القدَّاح الذين مَلَكوا المغربَ ومصرَ في زمان بني

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الكريم بن عبد الله الخضير (١١١).

العباسِ: كُلُّهم يشهدون بألسنتهم أَلَّا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويَدَّعونَ الإسلامَ، ويُصلُّونَ الجمعةَ والجماعةَ، فلمَّا أظهروا مخالفةَ الشريعةِ في أشياءَ دون ما نحن فيه؛ أجمعَ جميعُ العلماء على كفرهم وقتالِهِم، وأنَّ بلادهم بلادُ حربٍ، وغزاهمُ المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمينَ).

وهذا جواب ثالث: وهو إطباق العلماء ومنهم الصحابة على تكفير مَن وقعت منه بعض أعمال الكفر وقتالهم، فهو استدلالٌ بالإجماع العملي الذي وقع من الصحابة وتتابع عليه العلماء في وقائع عدة، **وذكر المصنف منها ثلاث وقائع**[1]**: تدل على أنَّ العلماء في كل زمان يُكفرون مَن آمن ببعض وكفر ببعض**[2]**:**

فالواقعة الأولى: واقعة الصحابة مع بني حنيفة؛ فإنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويصلون ويؤذنون، لكنهم كانوا يزعمون أنَّ مسيلمة نبيٌّ، فأكفرهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقاتلوهم، وهذا وقع من الصحابة في قوم رفعوا عبدًا إلى مقام الرسالة التي ليست له، فكيف بمَن يدعي لأحد من العباد مقام الألوهية، فيجعل له الدعاء والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة، فهو أحق بالكفر والقتال من مسيلمة وقومه[3]، وهذا من قياس الأولى؛ يعني: إذا كان جنس ما احتجوا به كفرًا، فبطريق الأولى هذا، فهذا ردٌّ عليهم من نفس ما احتجّوا به، وإلا فالأدلة في ذلك معلومة،

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٩٨).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٧).

فكيف يُتصور أن مَن رفع رجلًا إلى رتبة رجل فهو كافر، وإذا رفع رجلًا في رتبة جبار السماوات والأرض لا يكفر[١]، وخلاصة هذا أنَّ بني حنيفة الذين قاتلهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومعه أصحاب رسول الله ﷺ لم يكفروا بكل أمور الدين؛ بل كفروا بأنَّ محمدًا خاتَمُ الأنبياء والمرسلين، فرفعوا مسيلمة الكذَّاب إلى مقام النبي ﷺ في تبليغ الرسالة، وهذا النوع من كُفرهم تبعه معه أنهم أطاعوا مسيلمة فيما أمرهم به، وجعلوا رسالة مسيلمة الكذاب لهم، فمَا أمرهم به ائتمروا به، وما نهاهم عنه انتهوا عنه، وهذا هو الذي جعلهم كفَّارًا، وذلك لأنهم جعلوا مسيلمة الكذاب نبيًّا بعد محمد ﷺ، ولم يجعلوا رسالة النبي ﷺ خاتمة الرسالات، وهذا الاستدلال كما قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (هو المطلوب)؛ لأن كفر هؤلاء دون ما يُكفَّر به غيرهم من عبدة القبور والأوثان، وعبدة الصالحين، وعبدة الأولياء وغير الأولياء، والأشجار والأحجار؛ لأنَّ مَن عبد هؤلاء واستغاث بهم وأنزل بهم حاجَتَه وطلب منهم دفع الضر ودفع المدلهمات، فإنه في الواقع قد رفع منزلة هذا المدفون إلى منزلة رب العالمين، فقتال الصحابة -رضوان الله عليهم- لبني حنيفة الذين اتَّبعوا مسيلمة الكذاب يدلُّ بدلالة الأولى على أن مَن رفع شخصًا مسلمًا كان أو غير مسلم إلى مرتبة جبار السماوات والأرض في استحقاق العبادة أو الطاعة المطلقة الدينية؛ فإنه أعظمُ كفرًا من أولئك الذين لم يشركوا بالله جَلَّ وَعَلَا أحدًا[٢]، فقول المصنف: (قلنا: هذا هو المطلوب)؛ يعني: المطلوب أن تصلوا إلى هذه المعلومة، وهي

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢٢).
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٣٠).

أنَّ مَن رفع أحدًا من البشر إلى مرتبة رسول الله ﷺ، فإنه كافرٌ ولا شك، فكيف بالذي يرفع أحدًا من البشر أو غيرهم إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، وبمعنى آخر: إذا كان مَن لم يقم بشهادة أن محمدًا رسول الله كافرًا، فكذلك الذي لم يقم بشهادة أنْ لا إله إلا الله، فهو أحرى أن يكون كافرًا(١).

والواقعة الثانية: واقعة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تكفيره الغالين فيه، الزاعمين فيه ما زعموا من الألوهية، فأكفرهم، وحرَّقهم بالنار، ووافقه الصحابة على تكفيرهم(٢)، وكلّهم يدَّعون الإسلام، ويعملون أعمال الإسلام، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويُصلون ويصومون، وهم في جند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، ولا فرقَ بين اعتقاد أولئك وهؤلاء، فأولئك قالوا: عليٌّ له صفات الألوهية، وهؤلاء قالوا: هؤلاء الموتى يُغيثون، ويعطون العطايا، ويتصرَّفون في الأرض، ويغفرون الذنوبَ، إلى آخر ذلك، ومنهم مَن يعتقد فيهم الاستقلال؛ يعني: أنه يعطي ويمنع ويغفر استقلالًا بتفويض من الله جَلَّ وَعَلَا له بهذه الأمور؛ ومنهم مَن يقول: هو يعطي ويمنع بتوسُّطه عند الله جَلَّ وَعَلَا، مثل ما قال الأولون: ما نعبدهم إلَّا ليقربونا إلا الله زلفى(٤).

والواقعة الثالثة: واقعة ظهور العبيديين واستيلائهم على مصر وغيرها من البلدان، ووقع ما وقع منهم فيما خرجوا به عن حُكم الشَّرع، فأكفرهم العلماء

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٧).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (٩٨).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٣٩).

إجماعًا[١]، ولم يجعلوا الشهادتين والصلاة والزكاة والجمعة فرقًا مؤثرًا، بل رأوه لاغيًا، وذلك أنه وُجد مكفرٌ فلم ينفعهم ما هم فيه[٢]، وقول المصنِّف: (فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه)؛ يعني: بإظهار مخالفة الشريعة، فأظهروا عدم الالتزام، وأظهروا جحد الشريعة في الأحكام الشرعية التي هي دون ما نحن فيه من مسألة التوحيد والعبادة، فالمقصود أنَّ كُفرهم جاء من جحدهم للشريعة، وتكذيبهم لتفسير الأئمة للنصوص، وتفسيرهم لآيات القرآن، وأحاديث النبي ﷺ بتفسيرات باطنية مبتدعة، فلا شك أن هذا إظهار للكفر[٣]، وما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنهم أنهم يشهدون الشهادتين ويصلون الصلوات، فلعله باعتبار أنهم يتظاهرون بذلك، لكن حقيقتهم أنهم أعظم كفرًا من اليهود والنصارى[٤]؛ ولذا بيَّنَ المصنف في بعض كتبه: أنهم أظهروا شرائع الإسلام، وإقامة الجمعة والجامعة، ونصبوا القضاة والمفتين، لكن أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم، فأجمع أهل العلم أنهم كفار، وأن دارهم دار حرب[٥]، فالذي يظهر أنَّ كلام المصنف في قوله: (فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه) محمولٌ على حالهم في ابتداء أمرهم، ثم تفاقم حالهم بعد ذلك، فإنهم

---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٧).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢٧).
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٤٥).
(٤) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (٩٥).
(٥) مختصر سيرة الرسول، محمد بن عبد الوهاب (٨)؛ ويُنظر: تاريخ ابن غنام (٢/ ١٩٨، ٢٤٧).

في ابتداء أمرهم أظهروا مخالفات من أمور تتعلق بالتزام الشريعة، فأبطلوا بعض العبادات كصلاة التراويح، وأباحوا نكاح الأختين والجمع بينهما، وعطَّلوا بعض الحدود؛ فكفَّرهم أهل العلم، لكن الأمر تفاقم بعد ذلك، فلعل المصنف أراد تكفير أهل العلم لهم في ابتداء أمرهم، وفي بدوِّ ما ظهر منهم، وأما بمجموع ما كان من حالهم، فلا شك أنه لا أحد من المنتسبين للإسلام يضاهي هؤلاء العبيديين في الكفر والضلال إلا مَن كان على شاكلتهم، فالقوم اعتقدوا الربوبية في غير الله عَزَّوَجَلَّ، وادعى بعضهم الربوبية، وادعوا الإلهية، وادعى بعضهم النبوة، فهم من أكفر الكفار، وكفرهم أشد من كفر أتباع مسيلمة، وعداؤهم للإسلام أشد من عداء التتار، والمقصود من هذا أن الاستدلال به استدلال صحيح مستقيم، بإجماع العلماء على تكفير العبيديين وقتالهم على الردة، من أنَّ مَن أظهر الإسلام وفعلَ مكفرًا أو أكثر فإنه يكفر، ولا تنفعه (لا إله إلا الله)[1].

فهذه الوقائع الثلاث تدل على تحقيق الإجماع العملي في أنَّ مَن وقعت منه أفعال كفرية أوجبت كفره؛ فإنه يكفر، وإن زعم أنه مسلم[2]، فالنطق بالشهادتين لا يكفي مع ما انضمَّ إليه من فعل الطاعات إذا وُجد أحد المكفرات[3].

وقول المصنف: (مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وتاج): هذه أسماء

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٧).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢٨).

أناس كفرة طواغيت، فأما **تاج** فهو من أهل الخرج تُصْرف إليه النذور، ويُدْعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه، وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يُدَّعى فيهم الدعاوى الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة، ومما ينسب إلى تاج أنه أَعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده؛ وأما **شمسان** فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يعتقد فيهم؛ وأما **يوسف** فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يُفهم من بعض رسائل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ذكرهم في كثير من رسائله؛ لأَنهم من أَشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أَهل نجد وما يقاربها، وكانوا يعتقدون فيهم الولاية، ويصرفون لهم شيئًا من العبادة، وينذرون لهم النذور، ويرجون بذلك نظير ما يرجوه عباد اللات والعزى[1].

قال المصنف: (ويُقال أيضًا: إذا كان المشركونَ الأولون لم يكْفُرُوا إلا لأنهم جمعوا بين الشركِ وتكذيبِ الرسولِ والقرآنِ وإنكارِ البعثِ وغيرِ ذلك، فما معنى البابِ الذي ذكره العلماءُ في كل مذهبٍ: «بابُ حكمِ المرتد»، وهو: المسلم الذي يكفُرُ بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعًا كثيرةً، كُلُّ نوعٍ منها يُكفرُ، ويُحِلُّ دمَ الرجُلِ ومالَهُ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرةً عند مَن فعلها، مثلَ:

(١) يُنظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/ ١٣٤، ١٣٥).

كلمةٍ يذْكُرُها بلسانه دون قلبهِ، أو كلمَةٍ يذْكُرُها على وجه المزحِ واللعبِ).

وهذا جواب رابع: وهو أنَّ العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كل مذهب عقدوا بابًا يُقال له: باب الردة، يذكرون فيه نواقض الإسلام، ومقصودهم من عقد هذا الباب: بيان أنَّ المسلم قد يكفر بقول أو فعل أو اعتقاد أو شك، يخرج به من الإسلام، ولو زعم أنه مسلم، وإلا فما فائدة هذا الباب من كتبهم[١]، فهذا المذكور في هذا الباب إجماعٌ منهم أنه يخرج من الملة، ولو معه الشهادتان؛ لأجل اعتقادٍ واحد أو عمل واحد أو قول واحد[٢]، فمَن وقع في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ فإنه يكون كافرًا بالله، ولا يُشترط مع هذا أن يجمع ما جمعه المشركون الأولون من التكذيب بالنبي ﷺ، والتكذيب بالقرآن ونحو ذلك، فكون كفار قريش جمعوا أنواعًا من الكفر؛ كلُّ واحد منها كفرٌ باستقلال لو انفرد؛ فإن ذلك لا يعني أنَّ أفرادها ليست مكفرة[٣].

قال المصنف: (ويُقال أيضًا: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعتَ اللهَ كفَّرهم بكلمَةٍ؛ مع كونهم في زمنِ رسولِ الله ﷺ، وهم يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكُّون، ويحجُّون، ويوحدون).

وهذا جواب خامس: وهو أنَّه حُكم بكفر أناس لكلمة تكلموا بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]؛ فأكفرهم الله

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٨).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٢٩).
(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

مع كونهم مع رسول الله ﷺ يصلون ويصومون ويجاهدون[١]، فدلت هذه الآية على أنَّ الكفر يكون بكلمة ولا يُحتَاجُ في الحكم به إلى اجتماع المكفرات، وهذه الآية وإن كانت في المنافقين كما في سياق الآية، فإن الاستدلال بها مستقيم؛ لأن المنافقين تصدرُ عنهم مكفرات، والله عَزَّوَجَلَّ ذكر هاهنا مُكفرًا من جملة ما وقع منهم، فالله جَلَّوَعَلَا ذكر هنا أنهم كفروا بعد إسلامهم؛ يعني: ظاهرًا، فهم كانوا كفارًا حقيقة، مسلمين ظاهرًا، فصاروا كفارًا ظاهرًا وباطنًا، فكفروا بعد إسلامهم الكفرَ الظاهر كما هو باطنٌ في الأصل، فاجتمع في حقهم الكفر الظاهر مع الكفر الباطن، إذًا مناط الحكم بالكفر تعلَّق بكلمة الكفر، فكل مَن قال كلمة الكفرِ كفرَ، سواء كان في الباطن من قبلُ مؤمنًا أو كافرًا، فمَن قال كلمة الكفر كفرَ بعد إسلامه، بغضِّ النظر عن حاله في الباطن[٢].

قال المصنف: (وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، فهؤلاء الذين صرَّح اللهُ فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسولِ الله ﷺ في غزوة تبوكَ، قالوا كلمةً ذكروا أنهم قالوها على وجه المزحِ واللعب).

وهذا جواب سادس: وهو نظير السابق، فكلا الآيتين تدلان على المعنى نفسه، وحاصله ما وقع من المستهزئين من الكلام في غزوة تبوك، وتقدم قريبًا ما قالوا، فأكفرهم الله جَلَّوَعَلَا، وكانوا غزاة مقاتلين مع النبي ﷺ[٣]، فالظاهر

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٨).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٨).

من هؤلاء الإسلام، والدليل على أن الظاهر منهم الإسلام: أنهم كانوا في غزوة تبوك مع النبي ﷺ، فقالوا الكلمة القبيحة، ويقصدون رسول الله ﷺ وأصحابه، والتكفير هنا قد جاء من الله صريحًا؛ ولهذا فهو من أنفس وأقوى الأدلة، فالتكفير هنا صريح، والذي كفَّر ليس فلانًا، بل الذي كفَّر هو الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولهذا يقول المصنف: (فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق)؛ لأنه لم يترك كلمة لنقولها في تكفير فلان أو غيره؛ فهذا تكفير مباشر من رب العالمين جَلَّ وَعَلَا، مع أنهم يعتذرون، ويقولون: نحن مِن أهل لا إله إلا الله يا رسول الله، ونصلي معك، ونحجُّ معك، وها نحن ذاهبون إلى الغزو في سبيل الله! ومع ذلك لم يؤبه لكلامهم، فدلَّ هذا كله على أن مَن قال: لا إله إلا الله، وأتى بما ينقضها، فإنه لا يمكن أن يكون من الموحدين[١].

قال المصنف: (فتأمل هذه الشبهةَ، وهي قولُهُم: تُكَفِرُون المسلمينَ؛ تكفرون أُناسًا يشهدون أَنْ لا إله إلا الله، ويُصلُّون، ويصومون، ويحجُّون، ثم تأمَّل جوابها؛ فإنه من أنفع ما في هذه الأوراقِ)؛ وذلك لأنها شبهة قد تروج على مَن لا يعرف ولا يفهم، فيظن أنَّ ما ذكره المشبه فروقًا مؤثرة، وبما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبين لك أنها فروق غير مؤثرة[٢]؛ فشبهتهم هذه من أقوى الشبه تلبيسًا وأشد تدليسًا؛ فإنَّ مَن شهد أن لا إله إلا الله وصلى وصام؛ عَظُمَ إطلاق الكفر عليه عند الجاهل، ولم يعلم أنه هدَم هذه الأعمال بشركه ودعوته غير الله فلم تنفعه عبادته؛ لأن مَن لم يأتِ بالتوحيد الخالص لم يعبد

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٢).

الله؛ فلهذا صار هذا الجواب من أنفع ما في هذه الرسالة[١]، حيث إنه بيَّن فيه أنَّ الفروق التي ذكروها بين شرك الأولين وشرك المتأخرين غير مؤثرة، بل أبان المصنف أن المتأخرين فاقوا الأولين في غلظ الشرك وفداحته[٢].

قال المصنف: (ومن الدليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللهُ عن بني إسرائيلَ -مع إسلامِهم وعلمِهم وصلاحِهم- أنهم قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨]**، وقولُ أُناسٍ من الصحابة: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط، فحَلَفَ رسولُ الله ﷺ: أنَّ هذا مثلُ قولِ بني إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾).**

وهذا جواب سابع: وهو زيادةٌ على الأجوبة السابقة في كشف شبهته، فمن الأدلة على أنَّ مَن ارتكب ناقضًا من نواقض الإسلام فإنه يكفر، ولو كان ينطق بالشهادتين، ويصلي ويصوم؛ ما قصَّه الله عن بني إسرائيل أنهم طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا، وأنَّ أناسًا من أصحاب النبي ﷺ طلبوا منه أن يجعل لهم ذات أنواط، فجعل النبي ﷺ طلبهم مثل طلب قوم موسى، والمقصود من هذا المثال: أن المسلم قد يطلب ما هو كفر[٣]؛ فهذا فيه تطبيق لهذا الأصل، وهو أن المسلم قد يكفر بعد إسلامه بأشياء[٤]، فهو يدل على أنَّ الإنسان قد يقول أو يفعل ما هو كفر من حيث لا يشعر، وقد شبَّه بعضُ المشركين في هذا الدليل، فقال: إنَّ الصحابة وبني إسرائيل لم يكفروا بذلك[٥]،

---

(١) تعليقات الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع على كتاب كشف الشبهات (٣٣).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٣) انظر: تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (٩٣).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٥٧).
(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٩٠).

فعندما يُحتج عليهم بهذه القصة فإنهم يُثيرون هذه الشبهة[١]، ويقولون: إنَّ بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهًا، فلم يأمرهم بتجديد دينهم، وأنَّ بعض الصحابة طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط كالمشركين، فنهاهم، ولم يأمرهم بتجديد إسلامهم، فمعنى هذا أن مثل هذه الأشياء تقع على مسمع ومرأى من الأنبياء ولم يكفروا بها، فكيف أنتم تُكَفرون بها[٢]؛ ولذا قال المصنف: (**ولكنْ للمشركين شبهةٌ يُدلون بها عند هذه القصةِ، وهي أنهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفُرُوا بذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ أن يجعلَ لهم ذاتَ أنواطٍ؛ لم يكفروا. فالجواب: أن تقولَ: إنَّ بني إسرائيلَ لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف في أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك؛ لكفروا، وكذلك لا خلاف في أنَّ الذين نهاهم النبي ﷺ: لو لم يُطيعوه، واتخذوا ذاتَ أنواطٍ بعد نهيِهِ؛ لكفروا، وهذا هو المطلوبُ**)؛ يعني: أنَّ المسلم يرتدُّ بفعل الشرك[٣]، ومعنى ما ذكره المصنف هنا: أن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، يُشبهون ويمانعون في كون ذلك دليلًا، فيقولون: إنَّ الفريقين لم يكفروا، فلا يصح احتجاجكم بالقصتين على تكفيرنا وهم لم يكفروا بذلك، والجواب أن نقول: إنَّ عدم كفرهم بسبب أنهم لم يفعلوا، فعدم كفرهم ليس من قصور العمل عن أن يصل إلى التكفير[٤]؛ فهم طلبوا شيئًا ولم يفعلوه، فتكفير المشركين حصل بشيئين:

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٥٢).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد الله البسام (٣٩).

(٣) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٤).

بالعكوف على الشجرة، وطلب البركة بنوط الأسلحة بها، فمَن عكف عند شيء يتقرب باعتكافه وعكوفه عند هذا الشيء، فإن هذا شرك أكبر، وكذلك طلب البركة في الدنيا والآخرة جميعًا من أحد بفعلٍ من الأفعال، هذا شرك أكبر، وهذان الفعلان التكفير بهما، والحكم بالشركٍ بهما راجع إلى العمل؛ ولذلك مَن قال هذه الكلمة فإنه لا يكفر؛ لأنه لم يفعل، فكفرَ أولئك بالعمل، وهؤلاء لم يكفروا لأنهم لم يعملوا[1]؛ فارتكبوا فعلًا لم يشفع لهم إيمانهم في دفع الكفر عنهم، لكنهم لم يكفروا؛ لأنهم لما نُهوا انتهوا[2].

وهناك جواب آخر، وهو: أنَّ القوم كانوا حدثاء عهد بكفر كما جاء في الحديث فلا يكفرون لقرب عهدهم بالإسلام، ويعذرون بجهلهم حتى تبلغهم الرسالة وتقوم عليهم الحجة[3].

وظاهر كلام المصنف هنا أنَّ ما وقع من الصحابة في قصة ذات أنواط هو من الشرك الأكبر، وهو خلاف ما صرَّح به في كتاب التوحيد من كونه شركًا أصغر؛ لأنهم لم يسألوه ربًّا يدعونه، وإنما سألوه سببًا يتبركون به تقربًا إلى الرب، ولو قيل: بإمكان هذا وذاك فيهم على اختلاف الأفراد كان ذلك ممكنًا، فيكون منهم مَن أراد التبرك مع اعتقاد السببية فقط، فيكون شركهم شركًا أصغر؛ ويكون منهم مَن أراد التبرك على اعتقاد استقلال الشجرة بالتأثير، فيكون شركهم شركًا أكبر، ويكون إنكاره ﷺ على الطائفتين معًا[4].

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٥٩).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٩).
(٣) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (١٠٢).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٧٩).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[ولكنَّ هذه القصةَ تُفيدُ: أنَّ المسلمَ -بل العَالِمَ- قد يقعُ في أنواعٍ من الشرك [وهو][١] لا يدري عنها، فتفيدُ [لُزومَ][٢] التَّعَلُّم[٣] والتحرُّز، ومعرفة أنَّ قولَ الجاهلِ: (التوحيدُ فهمناهُ)؛ أنَّ هذا من أكبرِ الجهلِ، ومكايدِ[٤] الشيطانِ.**

وتفيدُ أيضًا: أنَّ المسلمَ المجتهدَ [الذي][٥] إذا تكلَّم بكلامٍ كُفْرٍ[٦]، وهو لا يدري؛ فنُبه على ذلك، وتابَ[٧] من ساعته؛ أنه لا يكفُرُ؛ كما فعلَ بنو إسرائيل، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ[٨]. وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكفُر؛ فإنه يُغلَّظُ عليه الكلامُ تغليظًا شديدًا؛ كما فعلَ رسولُ الله ﷺ].

الشَّرح

بيَّن المصنف بعض الفوائد المستخلصة من قصة ذات أنواط، يستفيدها المسلم وينتفع بها[٩]؛ وهذا استطرادٌ من المصنف مهم وعظيم، وهذا

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.
(٣) في نسخة القحطاني: [التعليم].
(٤) في نسخة القاسم؛ ودغش؛ والقحطاني: [ومكائدِ].
(٥) زيادة من نسخة دغش؛ والعصيمي؛ والقحطاني.
(٦) في نسخة دغش؛ والقحطاني: [تكلَّم بكلامِ الكُفرِ].
(٧) في نسخة الشَّحري: [فتابَ].
(٨) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [سألوا النبي ﷺ].
(٩) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٥٤)؛ وأوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٨٧).

الاستطراد مناسب جدًّا[١]، حيث قال: (**ولكنَّ هذه القصةَ**)؛ يعني: قصة بني إسرائيل، وقصة الذين سألوا النبي ﷺ (**تُفيدُ: أنَّ المسلمَ، بل العَالِمَ، قد يقعُ في أنواعٍ من الشرك وهو لا يدري عنها**)؛ وهذا يوجب للمسلم العناية بمعرفة الدين، لا سيما التوحيد، فإن السبب الحامل لبني إسرائيل على قولهم ذلك، وكذلك مَن قال من الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط)، هو: الجهل[٢].

قال المصنف: (**فتفيدُ: لُزومَ التَّعَلُّم والتحرُّز**)؛ أي: التعلم للجاهل، والتحرز للعالم، أما أهمية التعلم، فحتى لا يقع في الشرك بسبب جهله، وأما أهمية التحرز، فلأن الذين هم أفضل منه كادوا أن يقعوا في الشرك ووسائله[٣]، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومعرفة أنَّ قولَ الجاهلِ: (التوحيدُ فهمناهُ)؛ أنَّ هذا من أكبرِ الجهلِ، ومكايدِ الشيطانِ**)؛ لأن التوحيد يُنسى وتتشابه مسائله، وصور الشرك تتجدد مع الأزمنة، فلا بد أن يُتعلم وتُبين مسائله، والشيطان يُنسي الناس أصل التوحيد ومسائله حتى يقعوا في الشرك[٤].

فهذه القصة تفيد: (التعلُّم)؛ يعني: تعلم أسباب النجاة، فإنه لا نجاة إلا بالعلم ومعرفة الضد والشر؛ فيعرف الشرك وأقسامه، ووسائله وذرائعه؛ ليسلم من الوقوع فيه؛ **وتفيد** أيضًا: (التحرُّز)؛ يعني: اتهام العمل أن يكون دَخَلَه شيءٌ من الشرك؛ **وتفيد** كذلك: معرفة أنَّ قول: (التوحيد فهمناه)، من

---

(١) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٦١).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٨١).

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٥٥).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٦٥).

أكبر الجهل ومكايد الشيطان، وما هلك مَن هلك ممَّن يدعي الإسلام إلا بعدم إعطائه حقه، ومعرفته حق المعرفة، حيث ظنوا أنه يكفي الاسم والشهادتان، ولم ينظروا ما ينافيه وما ينافي كماله، هل هو موجود أو مفقود؟ وهذا كله من عدم التحرز ومعرفة ألفاظ التوحيد لفظة لفظة[١]؛ فإذا كان هذا التوحيد الذي هو حق الله على العباد قد خفي على أكابر العلماء في أزمنة سلفت، فكيف لا يكون بيانه أهم الأمور؟ خصوصًا إذا كان الإنسان لا يصح له إسلام ولا إيمان إلا بمعرفة هذا التوحيد، وقبوله ومحبته، والدعوة إليه، وتطلب أدلته واستحضارها ذهنًا وقولًا وطلبًا ورغبة[٢].

قال المصنف: (**وتفيدُ أيضًا: أنَّ المسلمَ المجتهدَ الذي إذا تكلَّم بكلامٍ كُفْرٍ، وهو لا يدري؛ فنُبه على ذلك، وتابَ من ساعته؛ أنه لا يكفُرُ؛ كما فعلَ بنو إسرائيل، والذين سألوا رسولَ الله ﷺ**)، فمَن تكلَّم بكلام وهو كفر؛ جاهلًا بحقيقته وبحكمه، ثم نُهي عن ذلك فتاب؛ لم يضره[٣]؛ لأنه معذور بجهله، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، أما لو استمر على ما علمه من الكفر، فإنه يحكم بما تقتضيه حاله[٤].

قال المصنف: (**وتفيد أيضًا: أنه لو لم يكْفُر؛ فإنه يُغلَّظُ عليه الكلامُ تغليظًا شديدًا؛ كما فعلَ رسولُ الله ﷺ**)، فمن فوائدها أيضًا: أنَّ مَن تكلَّم بكلامٍ هو

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٦، ١٣٧).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٢٢).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٨١).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٩١).

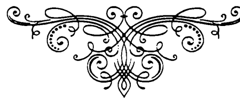
كفر عن جهل وخطأ، فإنه ينكر عليه، وإن لم يكفر، ويغلَّظ عليه؛ ليتبين قبح ما طلب[١].

فذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاث فوائد من قصة ذات أنواط:

أولاها: الحذر من الشرك، فالعبد مأمور أن يخاف من الشرك ويحذره؛ لأن المسلم، بل العالم قد يخفى عليه بعض أنواع الشرك، كما في هذه القصة، وهذا يستوجب التفقه والتعلم في التوحيد، والتحرز من الشرك ووسائله.

وثانيتها: الإعلام بأن العبد إذا وقع منه شيءٌ من أقوال الكفر وأعماله، ثم نُبه وتاب من ساعته؛ فإنه لا يكفر، فقد عفا الله تعالى عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

وثالثتها: أنَّ مَن لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جاهلًا فإنه لا يُتساهَل معه؛ بل يُغلَّظ عليه في الإنكار؛ كما غلَّظ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه، وكما غلَّظ محمد ﷺ على أصحابه، ومنشأُ التغليظ: شدة التغليظ الذي جاءوا به؛ لتعلُّقه بحق الله من التوحيد[٢].



---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٨١).

(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٠). ويُنظر: تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (١٠٣).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [وللمشركينَ[١] شبهةٌ أخرى، [وهي أنهم][٢] يقولون: إن النبي ﷺ أنكرَ على أُسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتْلَ مَن قال: (لا إله إلا الله)، وقال [له][٣]: «أقتلتَهُ بعد ما قال: لا إله إلا الله؟»، وكذلك قولُهُ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»[٤]، و[كذلك][٥] أحاديثُ أُخرى[٦] في الكفِّ عمَّن قالها.

ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ: أنَّ مَن قالها؛ لا يَكفُرُ، ولا يُقتَلُ، ولو فعلَ ما فعلَ.

فيُقالُ لهؤلاء المشركين الجهَّال[٧]: معلومٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قاتلَ اليهودَ وسباهُم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قاتلوا بني حنيفةَ؛ وهم يشهدون أَن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويُصَلُّون ويَدَّعُونَ الإسلامَ، وكذلك الذين حرَّقَهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنار.

وهؤلاء الجهلة مُقرُّون أنَّ مَن أنكرَ البعثَ: كُفِّرَ، وقُتِلَ ولو قال: لا إله إلا الله، وأنَّ مَن جحدَ[٨] شيئًا من أركان الإسلام كَفَر، وقُتِل؛ ولو قالها؛ فكيف لا تنفعُهُ إذا جحَدَ شيئًا[٩] ....

(١) في نسخة دغش: [ولهم].

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، برقم (٣٩٢)؛ ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، برقم (٢٠).

(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقحطاني.

(٦) في نسخة القاسم: [أُخَرُ].

(٧) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [الجهلةِ المشركين].

(٨) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أنكرَ].

(٩) في نسخة الشَّحري: [فرعًا].

من [هذه][١] الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسل ورأسُهُ؟ ولكنَّ أعداءَ اللهِ ما فهموا معنى الأحاديث [ولن يفهموا][٢]:

فأما حديث أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فإنه قتلَ رجلًا ادعى الإسلام؛ بسببِ أنه ظنَّ أنه ما ادَّعاهُ[٣] إلا خوفًا على دمه وماله.

والرجلُ إذا أظهرَ الإسلام وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالفُ ذلك، وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء:٩٤] الآية؛ [أي: تثبَّتوا][٤]، فالآيةُ تدل على أنه يجبُ الكفُّ عنه والتثبُّتُ، فإنْ تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالفُ الإسلامَ قُتِل؛ لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، ولو كان لا يُقْتَلُ إذا قالها: لم يكن للتثبُّتِ معنى.

وكذلك الحديثُ الآخرُ وأمثالُهُ؛ معناهُ: ما ذكرتُ[٥] أنَّ مَن أظهر الإسلامَ والتوحيدَ: وجبَ الكفُّ عنه، إلا أنْ يتبيَّنَ منه ما يُناقضُ ذلكَ.

والدليل على هذا: أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٦] الذي قال: «أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله»، وقال[٧]: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»؛ هو[٨]

---

(١) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.

(٢) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٣) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ما ادَّعى الإسلام].

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ وفي نسخة الشَّحري: [فتثبتوا].

(٥) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [ما ذكرناه]؛ وفي نسخة القاسم: [ما ذكرنا].

(٦) في نسخة الشَّحري زيادة: [هو].

(٧) في نسخة الشَّحري: [وهو الذي قال].

(٨) في نسخة الشَّحري: [وهو].

الذي قالَ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ لئن أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قتلَ عادٍ»(١)؛ مع كونهم من أكثرِ الناس عبادةً [تكبيرًا](٢) وتهليلًا، [وتسبيحًا](٣)، حتى إنَّ الصحابةَ يحقِرون أنفُسَهم عندهم، [وهم](٤) تعلَّموا العلمَ من الصحابة، فلم تَنْفَعهُم لا إله إلا الله، ولا كثرةُ العبادةِ، ولا ادعاءُ الإسلامِ؛ لـمَّا ظهرَ منهم مخالفةُ الشريعةِ.

وكذلك ما ذكرناه(٥) من قتالِ اليهودِ، وقتالِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بني حنيفةَ، وكذلك أرادَ [النبي](٦) ﷺ أن يغزو بني المصطلقِ؛ لـمَّا أخبرَهُ رجلٌ [منهم](٧) أنهم منعوا الزكاةَ؛ حتى أنزلَ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات:٦] الآية، وكان الرجلُ كاذبًا عليهم. فكُلُّ هذا يدلُّ على أنَّ مرادَ النبي ﷺ [في الأحاديث الواردةِ ما ذكرنا](٨).

الشَّرْح

هذه الشبهة **الحادية عشرة**، وهي من أكثر الشبه التي يوردونها في كتبهم،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: أحاديث الأنبياء، برقم: (٣٣٤٤)؛ ومسلم في «صحيحه» كتاب: الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤).

(٢) زيادة من نسخة العصيمي.

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) في نسخة الشَّحري: [والخوارج].

(٥) في نسخة القاسم؛ ودغش؛ والقحطاني: [ما ذكرنا].

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٧) زيادة من نسخة دغش؛ والقحطاني.

(٨) في نسخة الشَّحري: [من الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه]؛ وفي نسخة القاسم؛ ودغش: [في الأحاديث التي احتجوا بها: ما ذكرنا].

وخلاصة هذه الشبهة: أنه ورد أحاديث تدل على الكف عمَّن قال: لا إله إلا الله، ومرادهم: أنَّ مَن ادعى الإسلام، وقال هذه الكلمة فهو مسلم، فلا يكفر ولا يُقتل، ولو فعلَ ما فعل، وأنتم تحكمون بالشرك على مَن قالها وتقاتلونه[1]، والفرق بين هذه الشبهة والشبهة السابقة: أنه لما ذكر المصنف أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين بأمرين، اعترضوا عليه بالشبهة السابقة، وقالوا: نحن نشهد أن لا إله إلا الله، فكيف تجعلوننا مثل أولئك الذين لا يشهدون بذلك؛ فأجابهم المصنف بقوله في جميع الشبه: إنَّ مَن وجد منه مكفر، بأن كان مصدقًا الرسول في شيء ومكذبه في شيء، أو وجد منه مكفر بأن رفع المخلوق في رتبة الخالق، أو وجد منه مكفر بأن غلا في أحد من الصالحين فادعى فيه الألوهية، أو وجد منه مكفر بأي نوع كان من أنواع الردة، أو وجد منه مكفر بأن استهزأ بالله أو آياته؛ فمَن وجد منه مكفر فهو مثلهم، وهو معه الفروق: يشهد أن لا إله إلا الله، إلى آخر ما ذكر؛ وهنا ذكر المصنف لهم شبهة ثانية، وهي أنهم يقولون: إنَّ مَن قال لا إله إلا الله فهو مسلم، حرام الدم والمال، بدليل قصة أسامة، وغيرها، فأجابهم المصنف بأن مَن أظهر الإسلام والتوحيد، وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإن تبين منه ما يخالف ذلك قُوتل ولو قالها، حتى يعمل بما دلت عليه[2].

قال المصنف: (وللمشركينَ شبهةٌ أخرى، وهي أنهم يقولون: إن النبي ﷺ

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٠٠)؛ و(الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٨).

أنكرَ على أُسامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قتْلَ مَن قال: (لا إله إلا الله)، وقال له: «أقتلتَهُ بعد ما قال: لا إله إلا الله؟»، وكذلك قولُهُ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، وكذلك أحاديثُ أُخرى في الكف عمَّن قالها. ومرادُ هؤلاءِ الجهلةِ: أنَّ مَن قالها؛ لا يَكفُرُ، ولا يُقتَلُ، ولو فعلَ ما فعلَ)؛** وهم بهذا الاستدلال يريدون أن مَن قال: لا إله إلا الله؛ لا يكفر، ولا يستوجب القتل، ولو قال ما قال، ولو فعل ما فعل، وعلى هذا فهو ما دام يقول: (لا إله إلا الله)، فإنه يجب الكف عنه[1].

قال المصنف: (فيُقالُ لهؤلاء المشركين الجُهَّال:) في الجواب عن ذلك[2]: **(معلومٌ أنَّ رسولَ الله** ﷺ **قاتلَ اليهودَ وسباهُم وهم يقولون: لا إله إلا الله)؛** فإنهم يقولون: لا إله إلا الله، لكنهم لا يلتزمون هذه الكلمة العظيمة، وقد ذكر الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ في «الأم» أنَّ في اليهود ليس فقط مَن يشهد «أن لا إله إلا الله»، بل ويشهد «أن محمدًا رسول الله» أيضًا، ولكن لا يُكفُّ عنهم؛ لأنهم يقولون: محمد رسول الله، لكنه فقط رسول لبني إسماعيل، ونحن على ديننا، وهو صادق ﷺ، ويرون أن المسلمين ناجون[3]، **(وأنَّ أصحابَ رسولِ الله** ﷺ **قاتلوا بني حنيفةَ؛ وهم يشهدون أَن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله، ويُصَلُّون ويَدَّعُونَ الإسلامَ، وكذلك الذين حرَّقَهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **بالنار)،** فأصحاب النبي ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله،

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٨٤).

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٠).

(٣) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

وأن محمدًا رسول الله، ويصلون ويدَّعون الإسلام؛ وكذلك الذين حرقهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار مع أنهم كانوا من أصحابه، وكانوا يصلون معه، ويشهدون أن لا إله إلا الله، لكن لما وجد فيهم ما ينقض الشهادتين ويبطل الأعمال قتلهم شرَّ قتلة، وذلك عندما غلوا فيه وعظموه تعظيمًا لا يليق بالمخلوق، ورفعوه إلى رتبة الإلهية[١]؛ وكل هذا لبيان أنَّ مَن أظهر «لا إله إلا الله»، إذا عمل ما يستوجب معه العقوبة لكونه ناقضها في قول أو فعل، فإنه لا يُكفُّ عنه[٢]؛ فدلَّ على أن مجرد قول لا إله إلا الله، لا يمنع من التكفير، فلا بد مع النطق بها من أشياء أخر؛ أكبرها معرفة معناها، والعمل به، فإنه ليس المراد اللفظ، بل اللفظَ والإقرارَ والعملَ؛ فإن حصل فهو معه لا إله إلا الله، وإلا فإنه ما جاء إلا بلفظها فقط، وروحها وحقيقتها مفقود[٣]، (و) مما يدل على نقض شبهة هؤلاء أن[٤]: (**هؤلاء الجهلة مُقرُّون أنَّ مَن أنكرَ البعثَ: كُفِّرَ، وقُتِلَ، ولو قال: لا إله إلا الله**)، ولم تنفعه الشهادتان، (و) مقرون أيضًا[٥]: (**أنَّ مَن جحدَ شيئًا من أركان الإسلام كفَر، وقُتِل؛ ولو قالها؛ فكيف لا تنفعُهُ إذا جحَدَ شيئًا من هذه الفروعِ، وتنفعُهُ إذا جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسل ورأسُهُ؟**)، ولا شك أن هذا تناقض، فإذا كان دم العبد المدعي الإسلام يُستباح إذا أنكر وجوب الحج أو الصلاة أو الصيام أو الزكاة، وهي دون التوحيد رتبةً؛ فإنَّ

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٦٤).

(٢) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٠).

(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٦٤).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤١).

حصول كفره ووجوب قتاله إذا جحد التوحيد أولى وأحقُّ، والأمر كما قال المصنِّف[١]: (**ولكنَّ أعداءَ اللهِ ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا:**)، أما كونهم ما فهموا فهذا واضح، وأما كونهم لن يفهموا؛ فلأن الشبهة إذا قامت في القلب فإن صاحبها يصعب عليه الخلاص منها[٢]، فسبب استدلالهم بهذه الأحاديث هو عدم فهمهم لمعناها الصحيح.

والخلاصة: أن هذه الأحاديث تدل على أنَّ مَن ادعى الإسلام وجب الكف عنه ابتداءً لا مطلقًا[٣]؛ فالأحاديث المذكورة في هذا الباب يُراد بها الإمساك عمَّن تثبت له عصمة الحال، فإن العصمة لأحدٍ من الخلق نوعان: أحدهما: عصمة الحال؛ ويكفي فيها قول: لا إله إلا الله، فإذا كان العبد كافرًا ثم قال: لا إله إلا الله؛ أُمسك عنه، وتثبت له العصمة حتى يتبين أمره؛ والآخر: عصمة المآل، والمراد بها: استمرار تلك العصمة وبقاؤها للعبد، ولا يكفي فيها مجرد قول: لا إله إلا الله، بل لا بدَّ من الالتزام بمقتضاها، فإذا وقع من العبد ما يباين الالتزام بمقتضاها ارتفعت تلك العصمة عنه، فثبت له الكفر، ووجب قتله[٤].

وقول المصنف: (**وهؤلاء الجهلة مقرونَ أن مَن أنكرَ البعثَ كفر وقُتلَ**) إلى قوله: (**جحدَ التوحيدَ الذي هو أساسُ دينِ الرسلِ ورأسُهُ**): هذا هو نهاية

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٣).
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٧٦).
(٣) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٠١).
(٤) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٣).

الجواب المجمل لهذه الشبهة الآنفة الذكر، وسيذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الجواب المفصل[1]، **فجواب المصنف عن هذه الشبهة من جهتين:**

الجهة الأولى: ذِكره رَحِمَهُ اللَّهُ للنصوص الدالة على أن مَن قال: لا إله إلا الله وشهد بها، وأتى بما يناقضها يكفر، **والوجه الثاني:** في نقضه رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الشبهة: ببيانه لخطأ هؤلاء في فهمهم لهذا الحديث، ونظائره من الأحاديث الواردة في هذا الباب؛ ففي قول المصنف: (ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث) هنا انتقل رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الوجه الثاني في رد هذه الشبهة، ببيان المعنى الصحيح لهذه الأحاديث التي استدلوا بها، ورد المعنى الباطل الذي فهمه هؤلاء من هذه الأحاديث[2]؛ فالمشبه استدل هنا على شبهته بحديثين، ومراده: أن مَن قالها لا يكفر، ولا يُقتل، ولو فعل ما فعل، وقد أجاب المصنف عن هذه الشبهة بجوابين أحدهما: مجمل، والآخر مفصل، **وهذا الجواب المجمل عن هذه الشبهة، ويتضمن أمرين:**

الأول: أنَّ الرسول ﷺ وأصحابه قاتلوا بعض مَن قال: لا إله إلا الله؛ لكونه أتى بما يناقضها ويضادها، ولم تنفعه هذه الكلمة، وقد ذكر المصنف على ذلك ثلاثة أمثلة، وهي: أنَّ الرسول ﷺ قاتَلَ اليهود، وهم يقولون: لا إله إلا الله؛ وقاتَلَ الصحابةُ بني حنيفة، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون يدعون الإسلام؛ وقاتل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذين غلوا فيه، وهم كذلك.

---

(١) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١٩٩).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٦١، ٢٦٦).

والثاني: أنَّ هؤلاء الجهلة مُقرون أنَّ مَن أنكر فريضةً من الدين كالصلاة أو أمرًا غيبًا كالبعث؛ كفَرَ وقُتل، ولو قال: لا إله إلا الله، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئًا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد، الذي هو أساس دين الرسل ورأسه.

وأما الجواب المفصل على هذه الشبهة، فأجاب فيه المصنف عن كل دليل على حدة[1]، فقال: (**فأما حديث أسامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فإنه قتَلَ رجلًا ادعى الإسلام؛ بسببِ أنه ظنَّ أنه ما ادَّعاهُ إلا خوفًا على دمه وماله. والرجلُ إذا أظهرَ الإسلام وجبَ الكفُّ عنه حتى يتبين منه ما يخالفُ ذلك**)؛ يعني: والحكم الشرعي أنه لا يُقتل، ويجب الكف عنه ما دام في حالة يحتمل أن يكون صادقًا، ويحتمل أن يكون كاذبًا حتى يتبين منه ما يخالف ذلك[2]؛ (**وأنزلَ اللهُ تعالى في ذلك**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ **الآية** [النساء:٩٤]؛ **أي: تثبَّتوا، فالآيةُ تدل على أنه يجبُ الكفُّ عنه والتثبُّتُ، فإنْ تبيَّن منه بعد ذلك ما يخالفُ الإسلامَ قُتِل؛ لقوله**: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾، **ولو كان لا يُقتَلُ إذا قالها: لم يكن للتثبُّتِ معنى**)، فالله جَلَّ وَعَلَا أمر بالتبين والتثبت فيمَن قال: (لا إله إلا الله)، وفائدة ذلك: أنَّ مَن قالها، ثم التزم بها لم يُقتل، فيُكف عنه حتى يتبين أمره، فإن تبين أنه يقولها ولا يعتقد معناها، ولا يلتزم مقتضاها؛ فإنَّ (لا إله إلا الله) لا تنفعه[3]، فليس المراد أنه يكف عنه مطلقًا، وإنما يكف عنه

(١) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (٩٣). ويُنظر: التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (١٩٨).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٣).
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٤).

كف انتظار، (**وكذلك الحديثُ الآخرُ وأمثالُهُ؛ معناهُ: ما ذكرتُ أنَّ مَن أظهر الإسلامَ والتوحيدَ: وجبَ الكفُّ عنه**)، سواء احتمل الحال أنه متعوذٌ حقًّا، أو يحتمل أنه صادق، (**إلا أنْ يتبيَّنَ منه ما يُناقضُ ذلكَ**)، فإن تبين منه ما يناقض ذلك، فإنه يُقاتل شرعًا حتى يدين بالإسلام، فليس مراد النبي ﷺ بقوله: أقتَلته بعد ما قال: لا إله إلا الله، أنَّ كل مَن قالها لا يكفر ولا يُقتل؛ (**والدليل على هذا: أنَّ رسولَ الله ﷺ الذي قال: «أقتلتَه بعد ما قال: لا إله إلا الله»**، (**وقال: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»؛ هو الذي قالَ في الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ لئن أدركتُهم لأقتُلَنَّهم قتلَ عادٍ»؛ مع كونهم من أكثرِ الناس عبادةً تكبيرًا وتهليلًا، وتسبيحًا، حتى إنَّ الصحابةَ يحقِرون أنفُسَهم عندهم، وهم تعلَّموا العلمَ من الصحابة**)، فالخوارج يقولون: لا إله إلا الله، ويزيدون على قول ذلك، ومع ذلك[1]، (**فلم تَنْفَعهُم لا إله إلا الله، ولا كثرةُ العبادةِ، ولا ادعاءُ الإسلامِ؛ لـمَّا ظهرَ منهم مخالفةُ الشريعةِ**)، فإذا ظهرت منهم مخالفة للشريعة فإنهم يُقاتلون، سواء أقلنا بكفرهم أو لم نقل بكفرهم[2]، وظاهر كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول بتكفيرهم، وهو ليس بصريح، لكن يظهر من كلامه أنه اختار القول بتكفيرهم، وهو القول المشهور عند أهل العلم؛ ولهذا قال: (فلم تنفعهم لا إله إلا الله)[3]، وأصح القولين في حال الخوارج أنهم فُسَّاقٌ ليسوا كفارًا؛ لإجماع الصحابة على كونهم ليسوا كفارًا، نقله ابن

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٤، ١٤٥، ١٤٦).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٨٤).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٣٩٠).

تيمية الحفيد، فإذا كانوا يُقاتَلون وهم فساق مع قولهم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فكيف بمَن يقول ذلك، ثم يقع في الكفر، فهو أحقُّ بالقتال، فإذا كان قتال هؤلاء مأمورًا به وهم أهل بدعة وضلالة، فكيف مَن هو من أهل الشرك والخرافة[1]، فالمقصود: أنه على القول بكفرهم، فالأمر واضح أنهم مع كونهم قالوا: (لا إله إلا الله)، فقد أمر النبي ﷺ بقتالهم؛ لكونهم نقضوا لا إله إلا الله؛ وأما على القول بعدم كفرهم وإنما هم مبتدعة ضُلَّال، فالاستدلال أوضح؛ لأنه إذا لم تعصم لا إله إلا الله ضُلَّالًا مبتدعين، بل أمر النبي ﷺ بقتالهم، فلأن لا تعصم ولا تنفع مَن ينقض لا إله إلا الله من باب أولى[2]، وهذا هو الدليل الأول من الأدلة الأربعة التي تدل على صحة فهم الأحاديث وفق ما تقدم تقريره، **والدليل الثاني** ذكره بقوله: **(وكذلك ما ذكرناه من قتالِ اليهودِ)**؛ يعني: وهم يقولون: لا إله إلا الله.

(و) الدليل الثالث ما تقدَّم من **(قتالِ الصحابةِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ **بني حنيفةَ)**، وكانوا يقولون: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لكنهم جعلوا مسيلمة نبيًّا.

(و) الدليل الرابع: (كذلك أرادَ النبي ﷺ **أن يغزو بني المصطلقِ؛ لـمَّا أخبرَهُ رجلٌ منهم أنهم منعوا الزكاةَ؛ حتى أنزلَ اللهُ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ **الآية** [الحجرات:٦]**، وكان الرجلُ كاذبًا عليهم)**، ومقصود المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الإشارة إلى قصة بني المصطلق، وأنَّ الرسول ﷺ عزم على قتالهم لما قيل له: إنهم منعوا الزكاة؛ أن يقرر بطلان شبهة القائلين بأن مَن قال كلمة

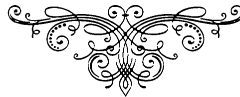
---

(١) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٤، ٨٥).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

التوحيد أنه مسلم ولا يجوز قتله وإن ترك فرائض الإسلام، مع أن الأدلة من نصوص الوحيين والإجماع تدل على أن الطائفة الممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة فإنه يجب قتالها[١]، ووجه الشاهد من هذه القصة: أنَّ النبي ﷺ همَّ بقتالهم لما بلَغه أنهم منعوا الزكاة، فهذا دليلٌ على أنَّ الإقرار بـ (لا إله إلا الله)، وهم كانوا مقرين بها، لا ينفع متى ما صدر ما يُناقض لا إله إلا الله[٢]؛ فالرسول ﷺ همَّ بقتال هؤلاء لمنعهم الزكاة، فكيف إذا منع أحدٌ من الخلق توحيد الله جَلَّ وَعَلَا، ووقع في الشرك، فهو أحق بالقتل[٣].

قال المصنف: (فكُلُّ هذا يدلُّ على أنَّ مرادَ النبي ﷺ في الأحاديث الواردةِ ما ذكرنا)، فتبين مما تقدم أن قول: لا إله إلا الله، لا يكفي في عصمة الدم والمال، بل إذا تبين منه ما يناقض الإسلام قُتل، ولو قال: لا إله إلا الله[٤].



(١) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (١١٢).

(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٦).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ولهم شبهةٌ أخرى: وهي ما ذكرَ النبي ﷺ أنَّ الناس يومَ القيامةِ يستغيثون بآدمَ، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلُّهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ. قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثةَ بغير الله ليست شركًا.

فالجواب(١) أن نقول: سبحانَ من طبعَ على قلوب أعدائِه، فإنَّ الاستغاثةَ بالمخلوق [على ما يقدرُ](٢) عليه لا نُنكرها؛ كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وكما يستغيثُ الإنسان(٣) بأصحابه في الحرب وغيرِه(٤) في أشياءَ يقْدِرُ عليها المخلوقُ، ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادةِ التي يفعلونها عند قبور الأولياءِ [والأنبياء](٥) [وغيرِهم](٦)، أو في غيبتهِم في الأشياء التي لا يقدرُ عليها [المخلوق، ولا يقدرُ عليها](٧) إلا الله تعالى.

إذا ثبت ذلك؛ فالاستغاثةُ(٨) بالأنبياء يومَ القيامةِ يريدون منهم أن يَدْعُوا اللهَ أنْ يحاسبَ الناسَ؛ حتى يستريحَ أهلُ الجنة من كرب الموقفِ، وهذا جائزٌ في

---

(١) في نسخة الشَّحري: [والجواب].

(٢) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [فيما يقدر].

(٣) زيادة من نسخة القحطاني: [إنسانٌ].

(٤) في نسخة الشَّحري: [أو غيرِهِ].

(٥) زيادة من نسخة دغش.

(٦) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش.

(٧) زيادة من نسخة العصيمي.

(٨) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [فاستغاثتهم].

الدنيا والآخرةِ، [وذلك][(١)] أن تأتيَ عند رجلٍ[(٢)] صالحٍ حيٍّ يجالسُكَ، ويَسمَعُ كلامكَ، تقولُ له: ادعُ الله لي[(٣)]، كما كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه في حياتهِ؛ [في الاستسقاء وغيرِهِ][(٤)]، وأما بعد موته: فحاشا وكلا أَنَّهم سألوهُ ذلك عند قبرهِ؛ بل أنكرَ السلفُ على مَن قصدَ دعاءَ الله عند قبرهِ، فكيفَ بدُعائهِ نَفْسه[(٥)]؟].

الشَّرْحُ

هذه **الشبهة الثانية عشرة**؛ ومضمونها: أَنَّ الاستغاثة بغير الله ليست شركًا[(٦)]، فذكرَ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا شبهة من شبه المشبهين في باب توحيد العبادة، وهي: أنهم يستدلون بحديث الشفاعة الطويل الذي يستغيث فيه الناس بالأنبياء[(٧)] على جواز الاستغاثة بالمخلوق[(٨)]، فقال: (**ولهم شبهةٌ أخرى: وهي ما ذكرَ النبي ﷺ أَنَّ الناس يومَ القيامةِ يستغيثون بآدمَ، ثم بنوحٍ، ثم بإبراهيمَ، ثم بموسى، ثم بعيسى**)، فالناس إذا اشتد وطال بهم الموقف، عمدوا إلى الاستغاثة بهؤلاء؛ (**فكلُّهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ**.

---

(١) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٢) في نسخة الشَّحري: [أن تأتي لرجلٍ].

(٣) في نسخة القحطاني: [ادعُ لي].

(٤) زيادة من نسخة العصيمي.

(٥) في نسخة العصيمي: [دُعاؤهُ نفْسه]؛ وفي نسخة دغش: [بدعائه بنفسه]؛ وفي نسخة القحطاني: [دعاؤه بنفسه].

(٦) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٧) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٨).

(٨) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٨٩).

قالوا: فهذا يدلُّ على أن الاستغاثةَ بغير الله ليست شركًا)، وهذا من جهلهم، فما عرفوا الفرق بين الاستغاثتين(١)، وهذا من عجيب حال القوم أنهم يعتمدون فروقًا غير مؤثرة، وينفون فروقًا مؤثرة، فنفوا هنا الفرق المؤثر بين الحي والميت، وحال الحياة وحال الموت(٢)؛ فأولئك كانوا يسألون حيًّا حاضرًا يقدر على ما سُئل فيه، فللأنبياء مقامٌ عند الله، فإذا دعوا الله حينئذ كان هذا مما لهم قدرةٌ فيه(٣).

قال المصنف: (فالجواب أن نقول: سبحانَ مَن طبعَ على قلوب أعدائهِ)؛ فحال بينهم وبين معرفة الفرق بين هذه الاستغاثة وهذه الاستغاثة، فلم يفرقوا بين الشرك والتوحيد(٤)، **(فإنَّ الاستغاثةَ بالمخلوق على ما يقدرُ عليه لا نُنكرها؛ كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾** [القصص:١٥]، **وكما يستغيثُ الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرهِ في أشياءَ يقْدِرُ عليها المخلوقُ، ونحن أنكرنا استغاثةَ العبادةِ التي يفعلونها عند قبور الأولياءِ والأنبياء وغيرِهِم)**، فالذي ننكره هو استغاثة العبادة التي تفعلونها عند القبور، وتطلبون من أصحابها ما لا يُطلب إلا من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهذه هي الاستغاثة التي ننكرها، أما أن يذهب الناس إلى الأنبياء بعد أن بعثهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ويطلبون منهم أن يريحوا الناس من كرب الموقف، وفيهم سيد ولد آدم ﷺ الذي أذن الله عَزَّوَجَلَّ له بالشفاعة، فلا ينكر هذه الشفاعة أحد من أهل الحق، فالذي ننكره

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٩).
(٢) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٨٨).
(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٠).

هو الشفاعة الشركية التي تطلبون فيها من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، أما طلب هذا من الأنبياء فهو طلبٌ في محله؛ لأن الله جعل الشفاعة لسيدهم ﷺ[١]، و(استغاثة العبادة)؛ يعني: طلب الغوث من الغائبين مع اعتقاد أنَّ لهم تدبيرًا في غيبتهم، فهذه استغاثة العبادة، ويكون معها رجاء وخوف، أو رجاء ومحبة، أو خوف ومحبة، أو الثلاثة معًا، فإذًا الاستغاثة منها ما هو عبادة، ومنها ما ليس بعبادة، وما أنكرناه هو استغاثة العبادة، وهو أن يستغيث بغائب إما ميت أو حي غائب فيما لا يقدر عليه إلا الله جَلَّوَعَلَا، كأن يستغيث به في شفاء مرضه، أو في كشف الكربات، أو في مغفرة الذنوب، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن أن ضابط الاستغاثة غير الجائزة: أن يستغيث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقال: (**أو في غيبتهِم في الأشياء التي لا يقدرُ عليها المخلوق، ولا يقدرُ عليها إلا الله تعالى**)؛ يعني: إذا طلب من المخلوق الميت أو الغائب شيئًا لا يقدر عليه إلا الله، فإنه يكون شركًا[٢]، وقول المصنف هنا: (لا يقدر عليها إلا الله)، هذه الجملة ليس لها مفهوم، فلو سأل الإنسانُ ميتًا أو حيًّا غائبًا شيئًا يقدر عليه المخلوقون فإن هذا يكون شركًا، وإنما المراد من كلام المصنف هو حكاية واقع القبوريين، فإنَّ القوم شركُهم مضاعف، فلم يكتفوا أن يسألوا أمواتًا أو غائبين ما يقدر عليه المخلوقون، بل زادوا على هذا أن سألوهم ما لا يقدر عليه إلا الله، فصار شركًا مضاعفًا، هذا هو واقعهم، فأكثر ما يسألون أنهم يسألون ما لا يقدر عليه إلا الله، ومن ذلك سؤال الشفاعة؛ لأن الشفاعة

---

(١) شرح كشف الشبهات، د. عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٣).

ملكٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فالمقصود: أن سؤال الميت مطلقًا أو سؤال الغائب مطلقًا شرك، وسؤالُ ما لا يقدر عليه إلا الله شرك، ولو كان سؤالًا لحي حاضر(١)؛ فالاستغاثة الشركية هي الاستغاثة بالغائب أو الميت أو الحي الحاضر الذي لا يقدر، وأما الجائزة فهي طلب الحي الحاضر فيما يقدر عليه(٢)، فالاستغاثة على قسمين: عبادة وغير عبادة، وتكون الاستغاثة عبادة: إذا تضمنت أمرًا خاصًّا بالله، كالاستغاثة بالميت أو دعاء الغائب، فهنا تضمنت الاستغاثة أمرًا خاصًّا بالله وهو أنَّ سماع الأصوات على اختلاف الأماكن والأوقات واللغات هذا خاصٌّ بالله عَزَّوَجَلَّ، فلا يستطيع أن يسمع الأصوات جميعها على اختلاف أماكنهم واختلاف لغاتهم إلا الله، فمَن اعتقد هذا في مخلوق فقد أشرك بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهؤلاء يقرون أن النبي ﷺ لم يكن يسأله أحد من خارج المدينة، ولكنهم بعد موته جعلوا له هذه الخاصية، فيسأله مَن في مكة ومَن في الشام ومَن في اليمن، وإذا كان وهو حي لا يسمعهم، فكيف يسمعهم وهو ميت، وكذلك لو تكلَّم عشرة من الناس في وقت حياة النبي ﷺ عنده في وقت واحد فإنه لا يستطيع سماعهم؛ لأنه تختلط عليه الأصوات، والذي لا تختلط عليه الأصوات هو الله سبحانه، فإذا كان في حياته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يسمعهم، فكيف تكون له هذه الخاصية بعد موته، وهؤلاء يطلبونه في وقت واحد هذا في المشرق وهذا في المغرب، وكلهم يتكلم في نفس الوقت بعدة طلبات وعدة لغات، ويعتقدون أن النبي ﷺ يسمع كلامهم ويفهم كلامهم

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٤٩).

ويغيثهم، وهذا هو الشرك الأكبر، أما الاستغاثة التي لا تكون عبادة، فهي التي لا تتضمن أمرًا خاصًّا بالله عَزَّوَجَلَّ، وهي الاستغاثة بالحي الحاضر القادر، ومن هذا الباب حديث الشفاعة(١).

قال المصنف: (**إذا ثبت ذلك**)، وهو الفرق بين الاستغاثتين(٢): الاستغاثة بالحي والميت(٣)، (**فالاستغاثةُ بالأنبياء يومَ القيامةِ يريدون منهم أن يَدْعُوا اللهَ أنْ يحاسبَ الناسَ؛ حتى يستريحَ أهلُ الجنة من كرب الموقفِ**)، فاستغاثتهم بالأنبياء من باب طلب دعائهم إلى الله جَلَّوَعَلَا أن يريح الخلق من هذا الموقف العظيم، وليس دعاءً لهم، فالناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء الكرام ليزيلوا عنهم الشدة، ولكنهم يستشفعون بهم عند الله جَلَّوَعَلَا ليزيل هذه الشدة، فهذا طلب دعاء من رسول الله ﷺ لله جَلَّوَعَلَا، وليس دعاء لرسول الله ﷺ، ولا استغاثة به، وهناك فرق بين مَن يستغيث بالمخلوق ليكشف عنه الضرر، ومَن يستشفع بالمخلوق إلى الله ليزيل الله عنه ذلك، فهذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه(٤)، (**وهذا جائزٌ في الدنيا والآخرةِ، وذلك أن تأتيَ عند رجلٍ صالحٍ حيٍّ يجالسُكَ، ويَسمَعُ كلامكَ، تقولُ له: ادعُ الله لي، كما كان أصحابُ رسول الله ﷺ يسألونه في حياتِهِ؛ في الاستسقاء وغيرِهِ**)، فإذا ثبت أنَّ الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه جائزة؛ تبين أن الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة من هذا النوع(٥)؛

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٢).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩١).
(٤) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (٩٧).
(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩١).

(وأما بعد موته: فحاشا وكلا أَنَّهم سألوهُ ذلك عند قبرِهِ؛ بل أنكرَ السلفُ على مَن قصدَ دعاءَ الله عند قبرِهِ، فكيفَ بدُعائِهِ نَفْسه؟)، فالسلف أنكروا على مَن قصد دعاء الله وحده لا شريك له عند قبر النبي ﷺ، فكيف لو وجدوه يدعو النبي ﷺ نفسه، فإنهم يكونون أشد إنكارًا، فإن الأول بدعة ولا يجوز، وأما الثاني فهو الشرك الأكبر؛ لأنه صدر منه مخ العبادة وهو دعاء غير الله، فما ظنك لو سمعوا مَن يقول: انصرني أو ارزقني، والعياذ بالله[1]، فالسلف أنكروا على مَن قصد القبر لدعاء الله جَلَّوَعَلَا، فكيف لا يُنكرون على مَن قصد القبر لدعاء المقبور نفسه، فلا شك أن هذا أولى بالإنكار[2].

وخلاصة هذه الشبهة: جواز الاستغاثة بالصالحين؛ لثبوت ذلك في حديث الشفاعة، وخلاصة الجواب عليها: أنَّ هذه الاستغاثة وطلب الشفاعة من جنس الاستغاثة الجائزة؛ لأن الجميع في ذلك الموقف أحياء حاضرون، والطلب مقدور عليه، فهو استدلال في غير محل النزاع[3]؛ فإن هؤلاء في الموقف إنما استغاثوا بأحياء حاضرين يسمعون كلامهم وفي أمر يقدر عليه المخلوق، وهؤلاء قد قاسوا الأموات على الأحياء، وهذا من أفسد القياس، وما يستوي الأحياء ولا الأموات، فهم قد قاسوا الأموات الذين قد انقطع تكليفهم وطويت صحفهم وانقلبوا إلى دار أخرى على الأحياء، فمثلهم كالذي يسأل حجرًا أو شجرًا، وليس في الشرع ولا في القدر أن الأموات يُسألون

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٣).

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٦).

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٥٩).

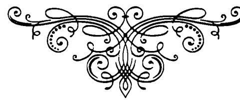
فيَسألون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ويرفعون حاجة السائل إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهؤلاء قد جعلوا ذلك سببًا وهو ليس بسبب، لا في شرع الله ولا في قدره(١).

فالخصوم احتجوا على تجويز الاستغاثة بغير الله بحديث الشفاعة وأن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، وبأولي العزم من الرسل عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ، **وأجاب المصنف** رَحِمَهُٱللَّهُ **عن هذه الشبهة بجوابين:**

الأول: أنَّ هذه الاستغاثة بمخلوق حي حاضر فيما يقدر عليه، وهي جائزة.

والثاني: أن الناس لم يستغيثوا بهؤلاء الأنبياء عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ ليزيلوا عنهم كرب الموقف وشدته، لكنهم يستشفعون بهم عند الله عَزَّوَجَلَّ ليزيل هذه الشدة، فالناس يستغيثون بالأنبياء يوم القيامة ليشفعوا لهم إلى الله تعالى، فهم يتوسلون إلى الله بشفاعتهم، وهذا التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين جائز(٢).

فالذي حصل من الناس في الموقف هو من باب سؤال الحي الحاضر والتوسل إلى الله بدعائِه وليس هذا دعاءً لهم بذواتهم(٣).



---

(١) شرح كشف الشبهات، حمد بن عبد الله الحمد (١٣٣).

(٢) تعليقات على كشف الشبهات، عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف (١١٣).

(٣) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات، محمد بن عبد الله الهبدان (٢٠٩).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **[ولهم شبهةٌ أخرى، وهي: قصةُ إبراهيمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لما أُلقيَ في النار اعترضَ له[١] جبريلُ في الهواء، فقال: ألك حاجةٌ؟ فقال إبراهيمُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **أما إليك فلا.**

قالوا: فلو كانت الاستغاثةُ بجبرائيلَ[٢] شركًا، لم يعرضها [جبريل][٣] على إبراهيم؟

فالجواب: أنَّ[٤] هذا من جنسِ الشبهةِ الأولى؛ فإن جبرائيل[٥] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمرٍ يقدرُ عليهِ، فإنه كما قال الله فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥]، فلو أذنَ اللهُ له أن يأخذ نارَ إبراهيمَ[٦] وما حولها من الأرض والجبالِ، ويلقيها في المشرق أو المغربِ؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ[٧] إبراهيمَ عنهم في مكان بعيدٍ[٨]؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماء؛ لفعلَ. وهذا كرجلٍ غني له مالٌ كثيرٌ، يرى رجلًا محتاجًا؛ فيَعرِضُ عليه أن يُقرِضَهُ، أو [أن][٩] يهبَهُ شيئًا يقضي به حاجتَهُ، فيأبى ذلك [الرجُلُ][١٠] المحتاجُ أن يأخُذَ، ويصبرُ ....**

---

(١) في نسخة العصيمي: [فاعترضَ له].

(٢) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [بجبريل].

(٣) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٤) في نسخة القاسم: [إنَّ].

(٥) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [جبريل].

(٦) في نسخة دغش: [نارهم].

(٧) في نسخة الشَّحري: [يُغيّبَ].

(٨) في نسخة القاسم؛ والشَّحري: [إبراهيم في مكان بعيدٍ عنهم].

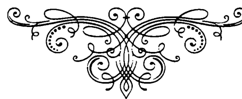
(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.

(١٠) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ ودغش؛ والقحطاني.

[حتى][(١)] يأتيَهُ اللهُ برزقٍ [مِنْه][(٢)]، لا مِنَّةَ فيه لأحدٍ. فأين هذا من استغاثةِ العبادةِ والشركِ لو كانوا يفقهون؟].

الشَّرْحُ

هذه **الشبهة الثالثة عشرة**؛ وهي آخر الشبهات التي ذكرها المصنف في هذه الرسالة العظيمة[(٣)]، وخلاصتها: جواز الاستغاثة بغير الله؛ لأن جبريل عرَضها على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولأن إبراهيم لم يُنكر ذلك عليه[(٤)]، ومرادهم: أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا؛ لأنها لو كانت شركًا لما عرضها جبريل على إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[(٥)]؛ فإنَّ الملائكة معصومون من الشرك ومن أن يعرضوا الشرك، وهذه الشبهة قريبةٌ من الشبهة الماضية[(٦)]، وهي أضعف من الشبهة الأولى، ولكن المشرك يتشبث بخيط العنكبوت للإبقاء على ما هو عليه، وقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه ذكرها بعض المفسرين[(٧)]، فهذه القصة من الإسرائيليات، وتُذكر في كتب التفسير[(٨)].



(١) في نسخة الشَّحري؛ ودغش: [إلى أن].
(٢) زيادة من نسخة العصيمي.
(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١١٤).
(٤) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٦١).
(٥) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١٠٦).
(٦) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.
(٧) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٨).
(٨) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٢).

قال المصنف: (**ولهم شبهةٌ أخرى**)، يجوزون بها الاستغاثة بغير الله[١]، (**وهي: قصةُ إبراهيمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لما أُلقيَ في النار اعترضَ له جبريلُ في الهواء، فقال: ألك حاجةٌ؟**) في هذه الضيقة والشدة أنفعك بها، (**فقال إبراهيمُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: **أما إليك فلا**)؛ فصبرَ في شدة هذه الحاجة، وهؤلاء المشركون شبَّهوا بهذه القصة[٢] (**قالوا: فلو كانت الاستغاثةُ بجبرائيلَ شركًا، لم يعرضها جبريل على إبراهيم؟**)؛ أي: لو كان طلب الاستغاثة من غير الله شركًا لما عرضها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٣]؛ (**فالجواب: أنَّ هذا من جنسِ الشبهةِ الأولى**)؛ فإن الشبهة الأولى فيها سؤال المخلوق ما يقدر عليه، وهذا أيضًا فيه عرضُ المخلوق ما يقدر عليه[٤]، فالجواب على هذه الشبهة كالجواب على الشبهة السابقة وهو أن استغاثة الناس بالأنبياء يوم القيامة استغاثة بحيٍّ قادر[٥]، فأصل ضلالهم في هذه الشبهة عدم التفريق بين الجائز والحرام، فإن هذا من جنس الاستغاثة بالحي الحاضر القادر[٦]؛ والكلام في الاستغاثة بالأموات والغائبين؛ فالاستدلال في هذه القصة ليس في محل الدعوى، والدليل ليس في محل الدعوى[٧]؛ (**فإن جبرائيل** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **عرضَ عليه أن ينفعَهُ بأمرٍ يقدرُ**

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (١٢١).
(٢) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٤).
(٣) أوجز العبارات على كشف الشبهات، خالد بن محمود الجهني (١٠١).
(٤) شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد الله المصلح (٨٣).
(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٢).
(٦) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٤).
(٧) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٩).

عليهِ)، وهو حي حاضر قادر[١]، فاجتمعت الأمور الثلاثة، فجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان حاضرًا، وعرض الإغاثة لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه يخلصه من النار، وهذا سهل ميسور عليه؛ لأن جبريل قوي، بل شديد القوى[٢]؛ **(فإنه كما قال الله فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥]، فلو أذنَ اللهُ له أن يأخذ نارَ إبراهيمَ وما حولها من الأرض والجبالِ، ويلقيها في المشرق أو المغربِ؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ الله أن يضعَ إبراهيمَ عنهم في مكان بعيدٍ؛ لفعلَ، ولو أمرَهُ أن يرفعَهُ إلى السماء؛ لفعلَ)**.

ثم مثَّل المصنف بحالة إبراهيم وجبريل[٣]، فقال من حيث التمثيل[٤]: **(وهذا كرجلٍ غني له مالٌ كثيرٌ، يرى رجلًا محتاجًا؛ فيَعرِضُ عليه أن يُقرضَهُ، أو أن يهبَهُ شيئًا يقضي به حاجتَهُ)**، وهذا مِثْل جبريل؛ **(فيأبى ذلك الرجُلُ المحتاجُ أن يأخُذَ، ويصبرُ حتى يأتيَهُ اللهُ برزقٍ مِنْه، لا مِنَّةَ فيه لأحدٍ)**، وهذا مِثْل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فكما أن الفقير لو قبل من الغني لم يكن مشركًا فكذلك هذه، فهذا من باب التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا، وتفويض الأمر إليه، وهذه صفة أكمل الخلق إيمانًا، حيث إن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رفض مساعدة المخلوق وقبل مساعدة الخالق؛ لأن مساعدة المخلوق فيها منة وحاجة إلى المخلوق، ومساعدة الخالق جَلَّ وَعَلَا لا منة فيها لغير الله، وهي فضلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٥]؛ **(فأين هذا من استغاثةِ العبادةِ والشركِ)** التي يفعلونها مع الأموات والغائبين، وهي عين

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٥).
(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٩).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٥).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٣٩٩).
(٥) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١١٥).

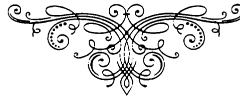
شرك الأولين، من هذه الاستغاثة المذكورة في قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[١]؛ أي: أين الاستغاثة بالحي القادر من الاستغاثة بالأموات والغائبين، وهي الاستغاثة البدعية الشركية[٢] (**لو كانوا يفقهون؟**)، فهذا جنس وهذا جنس، فمَن سوَّى بينهما فقد سوى بين المتباينين من كل وجه[٣].

وهذا الجواب واضح الدلالة واضح القوة، ولكن المشركون طبعَ الله على قلوبهم[٤].

والخلاصة أن هذه الشبهة مندفعة من وجهين:

أحدهما: من جهة الرواية، وهي بطلان تلك القصة، فهي لا تروى من وجه صحيح.

والثاني: من جهة الدراية، وهي أنَّ قول جبريل لإبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ليس من قبيل الاستغاثة الشركية[٥].



---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٦).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٣).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٦).
(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٠٠).
(٥) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٩٠).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [ولنختِمِ الكلام[(١)] [إن شاء الله تعالى][(٢)] بمسألةٍ[(٣)] عظيمةٍ مهمةٍ [جدًّا][(٤)] تُفهَمُ مما[(٥)] تقدَّمَ، ولكن[(٦)] نُفْرِدُ لها الكلام؛ لعِظَمِ شأنها، ولكثرة الغلطِ فيها؛ فنقول: لا خلاف أنَّ التوحيد لا بُدَّ أن يكونَ بالقلب واللسانِ والعملِ، فإن اختلَّ شيءٌ من هذا؛ لم يكن الرجلُ مسلمًا.

فإن عرفَ التوحيدَ ولم يعمل به؛ فهو كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما.

وهذا يغلطُ فيه كثيرٌ من الناس؛ يقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهمُ هذا، ونشهد أنه الحقُّ، ولكنْ[(٧)] لا نقدرُ أن نفعلَهُ، ولا يجوزُ عند أهلِ بلدنا إلا مَن وافقهم[(٨)]، أو غيرَ[(٩)] ذلك من الأعذارِ.

ولم يَدْرِ[(١٠)] المسكينُ أنَّ غالبَ أئمةِ الكفرِ يعرفون الحقَّ، ولم يتركُوهُ إلا لشيءٍ من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٩]، وغير ذلك من الآيات، كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

---

(١) في نسخة العصيمي، والقحطاني: [ولنختم الكتابَ].

(٢) زيادة من نسخة دغش، والشَّحري.

(٣) في نسخة العصيمي: [بذكرِ مسألةٍ]؛ وفي نسخة القحطاني: [بذكر آية].

(٤) زيادة من نسخة الشَّحري.

(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [بما].

(٦) في نسخة القاسم؛ ودغش: [لكن].

(٧) في نسخة الشَّحري: [ولكنَّا].

(٨) في نسخة الشَّحري: [ولا يجوز عند أهل بلدنا، إلا أن نوافقهم].

(٩) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وغيرَ].

(١٠) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [ولم يعرفِ].

فإنْ عمِلَ بالتوحيد عملًا ظاهرًا، وهو لا يفهمُهُ ولا يعتقدُهُ بقلبه[١]، فهو منافقٌ [في الدَّركِ الأسفلِ من النار][٢]، وهو شرٌّ من الكافر الخالصِ؛ [كما قال تعالى][٣]: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

وهذه [المسألةُ][٤] مسألةٌ [كبيرةٌ][٥] طويلةٌ، تَبِينُ[٦] لكَ إذا تأمَّلْتَها في[٧] ألسنةِ الناسِ.

ترى مَن يعرفُ الحقَّ ويتركُ العملَ [به][٨]؛ لخوفِ نقصِ دنيا[٩]، أو جاه[١٠]، أو مُدَاراةً [لأحدٍ][١١].

وترى مَن يعملُ به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَهُ عمَّا يعتقدُهُ[١٢] بقلبه، إذا[١٣] هو لا يعرفُهُ.

---

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهو لا يفهمُ، ولا يعتقدُ بقلبه].
(٢) زيادة من نسخة دغش.
(٣) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.
(٤) زيادة من نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ ودغش.
(٥) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري.
(٦) في نسخة الشَّحري: [تَتَبيَّنُ].
(٧) في نسخة الشَّحري: [على].
(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.
(٩) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [دُنياه].
(١٠) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [أو جاهه أو مُلكِهِ].
(١١) زيادة من نسخة الشَّحري.
(١٢) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم: [يعتقِدُ].
(١٣) في نسخة دغش: [فإذا].

ولكن عليكَ بفهم آيتين من كتاب الله تعالى:

أُولاهما: ما تقدَّم، من[١] قولِهِ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦].

فإذا تحقَّقتَ أنَّ بعضَ الصحابةِ الذين غزوا الرومَ مع رسول الله ﷺ[٢]، كفروا بسببِ كلمةٍ قالوها [في غزوة تبوكٍ][٣] على وجه المَزْحِ [واللَّعِبِ][٤]؛ تَبيَّن لك أنَّ الذي يتكلَّمُ بالكفر، أو يعملُ به[٥]؛ خوفًا من نقصِ مالٍ، أو جاهٍ، أو مُداراةً لأحدٍ؛ أعظمُ ممن يتكلَّمُ[٦] بكلمةٍ يمزَحُ بها.

والآيةُ الثانيةُ: قولُهُ تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [النحل: ١٠٦].

فلم يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هؤلاءِ؛ إلا مَن أُكرِهَ، مع كونِ قلبِهِ مطمئنًّا بالإيمان، وأما غيرُ هذا فقد كفَرَ بعد إيمانهِ، سواءٌ فعَلَهُ خوفًا، [أو طمعًا][٧]، أو مداراةً [لأحدٍ][٨]، أو مشحَّةً بوطنه أو أهلِهِ أو عشيرتهِ أو مالِهِ، أو فعَلَهُ على وجه المزحِ، أو لغيرِ ذلكَ من الأغراضِ؛ إلا المُكرَهُ [فقد استثناهُ اللهُ][٩]. والآيةُ[١٠] تدلُّ على هذا

---

(١) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [وهي].

(٢) في نسخة الشَّحري: [مع الرسول].

(٣) زيادة من نسخة العصيمي.

(٤) زيادة من نسخة العصيمي؛ والقاسم؛ والشَّحري؛ ودغش.

(٥) في نسخة القحطاني: [ويعملُ به].

(٦) في نسخة القاسم: [تكَلَّمَ].

(٧) زيادة من نسخة العصيمي؛ والشَّحري؛ والقحطاني.

(٨) زيادة من نسخة العصيمي؛ ودغش؛ والقحطاني.

(٩) زيادة من نسخة الشَّحري.

(١٠) في نسخة القحطاني؛ والشَّحري: [فالآية].

من جهتين[(١)]:

الأولى: قولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل:١٠٦]؛ فلم يستثنِ اللهُ إلا الـمُكرَهَ، ومعلومٌ أن الإنسانَ لا يُكْرَهُ إلا على العملِ أو الكلامِ[(٢)]، وأما عقيدةُ القلبِ فلا يُكرَهُ أحدٌ عليها[(٣)].

والثانيةُ: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧]؛ فصرَّحَ أنَّ هذا الكفرَ والعذابَ[(٤)] لم يكن بسببِ الاعتقادِ، أو الجهلِ[(٥)]، أو البغضِ[(٦)] للدين، أو محبَّةِ الكفرِ؛ وإنما سببُهُ أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظِ الدنيا؛ فآثَرَهُ على الدين.

والله أعلمُ].

الشَّرْح

هذا القسم الثالث من الكتاب، وهو عبارةٌ عن خاتمة مهمة ختم بها المصنف هذا الكتاب[(٧)]، فبعد أن بيَّن علم التوحيد؛ أراد أن يُنبه إلى أنه قد حان وقت العمل بالتوحيد، وأن يُحْذَرَ من ترك ذلك، فكم من الناس قد

(١) في نسخة الشَّحري: [من وجهين].
(٢) في نسخة الشَّحري؛ والقاسم؛ والقحطاني: [لا يكره إلا على الكلام أو الفعل]؛ وفي نسخة دغش: [لا يكره إلا على الكلام والعمل].
(٣) في نسخة الشَّحري؛ والقحطاني: [عليها أحدٌ].
(٤) في نسخة القحطاني: [فصرَّح أن العذابَ].
(٥) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والجهل].
(٦) في نسخة العصيمي؛ والقحطاني: [والبُغضِ].
(٧) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٦٣).

علموا حقيقة التوحيد، ولكنهم خُذلوا فما انقادوا لهذا الحق، فأراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ينبه لشيء من الصوارف التي قد تصرف عن اتباع الحق والتوحيد[١].

وقد تضمَّنت هذه الخاتمة ما يأتي:

أولًا: أنَّ التوحيد يتعلق بالقلب واللسان والعمل، فلا يكون المرء موحدًا إلا إذا عقدَ هذه الثلاثة على توحيد ربه، فمَن أخلَّ بتحقيق التوحيد بلسانه وجوارحه لم يكن موحدًا، ولو كان قلبه يعتقد التوحيد الصحيح، وهذا حال إبليس وفرعون وغيرهما من أهل الكفر؛ ومَن حقق التوحيد بظاهر جوارحه، لكنه لم يعقد عليه قلبَه لم ينفعه ذلك، كحال المنافقين.

ثانيًا: إذا حققت التوحيد بالقلب واللسان والعمل، فاحرص على أن تحافظ على هذه الجوهرة الثمينة[٢].

ثالثًا: أن معرفة الدين لا تكفي، بل لا بد من العمل به، فمَن عرف الدين وعلمه ولكنه لم يعمل به كان كافرًا، مثل: فرعون وإبليس ونحوهما من أئمة الكفر.

رابعًا: أن كثيرًا من الناس لا يعملون بالتوحيد بحجة الخوف من نقص الدنيا أو الجاه أو الرئاسة أو المداراة لقومهم، وكل هذه أعذار واهية.

خامسًا: أن مَن عمل بالدين ظاهرًا، ولكنه لم يعتقده بقلبه، فهو منافق.

سادسًا: ذكرُ آيتين من كتاب الله تدلان دلالة صريحة على أن مَن ترك

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) المشكاة في شرح كشف الشبهات، د. خالد بن عبد العزيز الباتلي (١٦٥).

العمل بالتوحيد فإنه لا يُعذر، إلا بما دلت الأدلة على أنه عذر كالإكراه، فإذا فعلَ الموحد الشرك مكرهًا، فإنه يُعذر بشرط أن يكون قلبه مطمئنًّا بالإيمان[١].

فختم المصنِّف هذه الرسالة بمسألة مهمة يجب تفهمها وتعقّلها، وهي: أن التوحيد يكون بالقول والعمل والاعتقاد، ولا بدَّ من هذه الأمور الثلاثة، فإذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة صار الإنسان موحدًا مؤمنًا، وإذا اختلَّ واحدٌ منها لم يكن مؤمنًا ولا موحدًا[٢]، فالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ختم كتابه بمسألة أشار إليها بالتعظيم، فقال[٣]: (**ولنختِمِ الكلام بمسألة عظيمةٍ مهمةٍ جدًّا تُفهَمُ مما تقدَّمَ**)؛ يعني: أنها لم تتقدم بنصها، ولكن بمفهومها[٤]؛ أي: تفهم من أجوبة الشبهات السابقة، لكنه متفرق فيها، فمجموع جواب الشبهات السابقة يكفي[٥]؛ لأنه مما سبق كنا ننكر على المشركين الفعل الظاهر، فلو كان التوحيد يكون تامًّا بفعل القلب دون الجوارح ما أنكرنا عليهم من أصلها، فهذه المسألة سبق ذكرها بالمفهوم في المسائل السابقة، فهي تقدَّمت بمفهومها لا بنصها.

قال المصنف: (ولكن نُفْرِدُ لها الكلام؛ لعِظَمِ شأنها، ولكثرة الغلطِ فيها)؛ فإفرادها يكون أوعى لها وأحفظ، فهي ذُكرت في الأجوبة عمومًا وهنا خصوصًا؛ وما كان كذلك كان حقيقًا أن يحفظه طالب العلم، وأن يَثني عليه الخناصر[٦].

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، د. ماهر بن عبد الرحيم خوجة.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح بن فوزان الفوزان (١١٧).

(٣) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٩٣).

(٤) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٠٤).

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٧).

(٦) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٨٧).

وهذه الشبهة التي سيعقد لها المصنف هذه الخاتمة تتعلق بحكم ترك العمل بالتوحيد مع القدرة عليه، وهذه شبهة متعلقة بالعمل، وكل ما سبق متعلقٌ بالعلم؛ يعني: ما يتعلق بالقلب، وهو يتضمن العمل؛ لأن العلم الذي يتعلق بالقلب لا يكون علمًا صحيحًا إلا إذا ظهر أثره على الجوارح، فإن لم يظهر له أثر على الجوارح فحينئذٍ هذا العلم وجوده وعدمه سواء، فالتوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل.

قال المصنف: (**فنقول: لا خلاف أنَّ التوحيد لا بُدَّ أن يكونَ بالقلب واللسانِ والعملِ**)، وقد وضَّح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المسألة في إحدى رسائله بقوله: «اعلم رحمك الله أن دين الله يكون على القلب بالاعتقاد وبالحب والبغض، ويكون على اللسان بالنطق وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفِّر، فإذا اختلت واحدة من هذه الثلاث كفر وارتد»(١)، فالتوحيد لا بد أن يكون بهذه الثلاث، فالقلب يوحد، واللسان يوحد، والجوارح توحد(٢)، فلا بد أن يؤمن بالله وأنه مستحق للعبادة، ولا بد أن ينطق بهذا، ولا بد أن يعمل بهذا(٣)، فلا بد أن يكون هو المعتَقَد في قلبه، ولا بد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه؛ (**فإن اختلَّ شيءٌ من هذا؛ لم يكن الرجلُ مسلمًا**)، فلو وحَّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحَّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٨٧).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٦١، ٢٦٦).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٦).

وحَّد بأركانه دون الباقي ما نفعه ذلك، ثم ذكر المصنف أمثلة اختلال واحد من الثلاثة، فقال: (**فإن عرفَ التوحيدَ ولم يعمل به**)؛ يعني: إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانه[١]، (**فهو كافرٌ معاندٌ، كفرعونَ وإبليسَ وأمثالِهما**)، فكثير من أمم الكفر يعرفون الحق، ولكنهم يعاندون ويجحدون؛ ولهذا قدَّم المصنف لهذه المسألة بالقول: إن التوحيد لا بد أن يكون ظاهرًا وباطنًا بالقلب واللسان والجوارح، فمَن عرفه بقلبه ولم يقر به ظاهرًا، فإنه كافر معاند كفرعون وإبليس[٢]، فكفرهما كفر عناد، فإنهما يعرفان الحق في الجملة، وقد ينطقون به، فالتوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل[٣]، وقوله: (**فإن اختلَّ**)؛ يعني: فإن فُقد واحد من هذه الثلاثة، فعُدم عنده قول اللسان أو اعتقاد القلب أو عملُ الجوارح بالكلية، أو أنه عمِل بجوارحه لكنه أشرك مع الله، فتركُ العمل بالتوحيد يتجلَّى في صورتين: الأولى: أن يستكبر ويدع العمل بالكلية، أو أن يعمل ولكنَّه يشرك في شيء من العمل الشرك الأكبر[٤].

قال المصنف: (وهذا يغلطُ فيه كثيرٌ من الناس؛ يقولون: هذا حقٌّ، ونحن نفهمُ هذا، ونشهد أنه الحقُّ، ولكنْ لا نقدرُ أن نفعلَهُ، ولا يجوزُ عند أهلِ بلدنا إلا مَن وافقهم، أو غيرَ ذلك من الأعذارِ) التي اعتذر بها؛ يعني: ليس عن جهل بها، فما جحدوها، لكن آثروا العاجل والحطام على الآجل[٥]، (**ولم**

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٧٥، ١٥٨).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٥).

(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٨).

(٤) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٥) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٩).

يَدْرِ المسكينُ أنَّ غالبَ أئمةِ الكفرِ يعرفون الحقَّ، ولم يتركُوهُ إلا لشيءٍ من الأعذار)؛ يعني: التي يدعونها، فالغالب على أعداء الرسل أن يكون كفرهم كفر إباء واستكبار، ويتعذرون بأعذار ولا تُغني عنهم من الله شيئًا[1]، فهذه حال كثير من أهل الكفر، يعرفون الحق ولكنهم لا يعملون به، ولا ينقادون له لعذر من الأعذار؛ إما تعصبًا للآباء، أو خوف المذمة عند قومهم وعشيرتهم، أو لأمر مادي، فهم يقرون بالحق في قلوبهم، ويقرون به بألسنتهم؛ لكنهم يقولون: إننا لا نقدر أن نعمل به من أجل قومنا وأهلينا وعشيرتنا[2]، (**كما قال تعالى**: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:٩]، **وغير ذلك من الآيات، كقوله**: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦])، ففي هذه الآيات أنهم عرفوا الحق، وإنما آفتهم شهوتهم، وإيثار عاجلهم على آجلهم، ثم قال المصنف: (**فإنْ عمِلَ بالتوحيد عملًا ظاهرًا**)؛ أي: جرى على لسانه وعملت به أركانه[3] (**وهو لا يفهمُهُ ولا يعتقدُهُ بقلبه، فهو منافقٌ في الدَّركِ الأسفلِ من النار، وهو شرٌّ من الكافر الخالصِ؛ كما قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥])، فبعد أن بيَّن المصنف حال مَن عرف التوحيد ولكنه لم يعمل به، ذكرَ هنا صنفًا آخر، وهو: الذي يعمل بالتوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه، ومَن لا يعتقد التوحيد بقلبه: قد يكون ممَّن يفهم التوحيد، وقد يكون ممَّن لا يفهم التوحيد، وعامة المنافقين يعرفون التوحيد، ولكن غلبت عليهم شقوتهم، فاتبعوا في باطنهم خلاف الإسلام، وهناك مَن لا

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٨، ١٥٩).
(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٦).
(٣) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٦، ١٦٠).

يعتقد بالتوحيد لأنه لا يفهمه، فالاعتقاد فرعٌ عن المعرفة، وعدم الفهم راجعٌ إلى الإعراض عن معرفة الحق، والجهل الناشئ عن الإعراض عن تعلم الحق ليس عُذرًا عند الله، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤]، **فالناس ثلاثة:**

أولهم: الذي هو مؤمنٌ ظاهرًا وباطنًا، وهذا هو الذي ينجو عند الله، **والثاني:** كافرٌ ظاهرًا، وقد يكون في الباطن كافرًا، وقد يكون مُصدقًا، ولا فرق بينهما، فالنتيجة واحدة؛ **والثالث:** أن يكون مؤمنًا ظاهرًا كافرًا باطنًا، وهذه حال المنافقين، وذكرَ الله هذه الأصناف الثلاثة في أوائل سورة البقرة[١].

والخلاصة: أنَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيَّن أنَّ التوحيد متعلقٌ بثلاثة أجزاء، هي: القلب، واللسان، والعمل، وهذه المسألة مبنية على ما يعتقده أهل السنة من أنَّ الإيمان دائرٌ على هذه الأشياء الثلاثة؛ القلب واللسان والجوارح، **فالناس مع التوحيد ثلاثة أقسام:**

أولها: أن يكون العبد مقرًّا بالتوحيد ظاهرًا وباطنًا، وهذه حال الموحد.

وثانيها: أن يكون العبد مقرًّا بالتوحيد باطنًا، ولكنه لا يلتزم بظاهره، وهذه حال الكافر، فهو يعرف التوحيد ويؤمن به باطنًا، ويجحده ظاهرًا وينكره.

وثالثها: مَن يكون قلبه منطويًا على الكفر، وأمَّا ظاهره فإنه ينطق بالتوحيد، وربما عمل به، وهذه حال المنافق[٢].

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، صالح الفوزان (١١٩)؛ وشرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح العصيمي (٩٣).

ثم قال المصنف: **(وهذه المسألةُ)**؛ أي: مسألة تعلق العمل بالاعتقاد، وأنَّ التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل[١]؛ ومسألة: ما تقع به الردة عن الإسلام، وأنها تقع بالشرك بالله، وإن كان الشخص يقول: لا إله إلا الله[٢] **(مسألةٌ كبيرةٌ طويلةٌ، تَبِينُ لكَ إذا تأَمَّلْتَها في ألسنةِ الناسِ: ترى مَن يعرفُ الحقَّ ويتركُ العملَ به؛ لخوفِ نقصِ دنيا، أو جاه، أو مُدَاراةً لأحدٍ)**، فهذا قسمٌ، فذكرَ المصنف أقسام الناس باعتبار التوحيد، وأن منهم مَن عرف التوحيد، ولم يعمل به، فهذا كافر، إلا في المكره بشرط أن يكون قلبه مطمئنًّا بالإيمان؛ والقسم الثاني: مَن عمل بالتَّوحيد ظاهرًا، ولم يعتقده بقلبه[٣]، وذكرَه المصنِّف بقوله: **(وترى مَن يعملُ به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألتَهُ عمَّا يعتقدُهُ بقلبه، إذا هو لا يعرفُهُ)**، وإذا لم يعرفه لم يعتقده، فما حصَلَ منه التوحيد[٤]، فإذا تأمل الإنسان أحوال الناس وأقوالهم، فإنه يدرك أنَّ منهم مَن يعمل بالحق ظاهرًا لا باطنًا؛ أي: يوافق على الحق مداهنة، وهو بالباطن خلاف ذلك؛ ومنهم مَن يترك الحق، فيكون كفره ظاهرًا، فالأمر يتردَّد إما بين الكفر الظاهر أو النفاق، والنجاة تكون بمعرفة الحق واتباعه ظاهرًا وباطنًا، أما مَن ترك الحق إيثارًا لدنيا أو لأغراض مختلفة؛ فإنه لا يُعذر، وممَّا يوضح هذا الأمر النظر في آيتين[٥]، كما قال المصنف: **(ولكن عليكَ بفهم آيتين من**

---

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٦٢).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٧).

(٣) التنبيهات في شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد الجهني (٦٤).

(٤) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٥٨، ١٥٩).

(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٧).

كتاب الله تعالى)، فإنَّه بفهمهما يتبين لك ما قرَّره المصنِّف من أن التوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل[(١)]؛ فالمصنف حرَّض على فهم الآيتين؛ ليحذر العبد الوقوع فيما يخالف هذا المقتضى، فإنهما تدلان على أن العبد قد يكفر بسبب كلمة يقولها على وجه اللعب والمزح، وإذا كان يكفر بكلمة يقولها على هذا الوجه، فإنه يكفر مَن تكلَّم بالكفر أو عمل به؛ خوفًا لنقص ماله أو جاهه أو مداراة لأحد، وأنَّ حاله أعظمُ ممَّن تكلَّم بكلمة يمزح بها، وأنه لا يُخرجه من تبعة تلك الحال إلا الإكراه[(٢)]، فكل مَن ترك العمل بالتوحيد والإيمان فأعذاره مردودة، وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة[(٣)]؛ **ولذا حثَّ المصنف على تدبر آيتين:**

(أُولاهما: ما تقدَّم، من قولِهِ: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦]؛ **فإذا تحقَّقتَ أنَّ بعضَ الصحابةِ الذين غزوا الرومَ مع رسول الله ﷺ، كفروا بسببِ كلمةٍ قالوها في غزوة تبوكٍ على وجه الـمَزْحِ واللَّعِبِ؛ تَبَيَّن لك أنَّ الذي يتكلَّمُ بالكفر، أو يعملُ به؛ خوفًا من نقصِ مالٍ، أو جاهٍ، أو مُداراةً لأحدٍ؛ أعظمُ ممن يتكلَّمُ بكلمةٍ يمزَحُ بها)**، فإذا كان هؤلاء قد كفروا بعد إيمانهم؛ لأنهم تكلموا بكلام على وجه المزاح لا على سبيل الجد، فكيف بمَن يكفر كفرًا جديًّا يريده بقلبه، ويظهر الكفر من أجل غرض من أغراض الدنيا، وخوفًا على فوات مصلحة من المصالح؛ فإنه يكون أعظم وأعظم[(٤)]؛

(١) شرح كتاب كشف الشبهات، من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٦٣).
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٩٣).
(٣) شرح كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٤٠١).
(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٨)؛ وشرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٠٣).

فإذا تكلَّم الإنسان بكلمة كفر على وجه المزح واللعب فإنه يكون كافرًا، ولا يُعذر، فكيف بالذي يتكلم بكلمة الكفر خوفًا من نقص مال أو جاه أو مداراة أو مداهنة؟ فهذا من باب أولى، ويكون كفره أعظم(١).

(**والآيةُ الثانيةُ:**) التي حثَّ المصنف على تدبرها: (**قولُهُ تعالى:** ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ [النحل:١٠٦]؛ **فلم يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هؤلاءِ؛ إلا مَن أُكرِهَ، مع كونِ قلبِهِ مطمئنًّا بالإيمان، وأما غيرُ هذا فقد كفَرَ بعد إيمانِهِ**)، والمعنى: أنَّ مَن كفر فإنه لا يُعذر في الكفر إلا في حالة واحدة، وهي الإكراه، بشرط أن يكون قلبه مطمئنًّا بالإيمان(٢)؛ يعني: غير المكره إذا وافق الكفار على الكلام الكفري فقاله، ووافق الكفار على العمل الكفري فعَمِله، فهذا كافر(٣) (**سواءٌ فعَلَهُ خوفًا، أو طمعًا، أو مداراةً لأحدٍ، أو مشحَّةً بوطنه أو أهلِهِ أو عشيرتِهِ أو مالِهِ، أو فعَلَهُ على وجه المزحِ، أو لغيرِ ذلكَ من الأغراضِ؛ إلا الـمُكرَهُ فقد استثناهُ اللهُ**)، فهذه الآية تدل على أنه لا يُعذر أحدٌ كفَرَ بعد إيمانه إلا مَن كان مكرهًا، وأما مَن كفر على سبيل الاختيار لأي غرض من الأغراض، فإنه يكون كافرًا(٤)، فكُلُّ مَن أظهر الكفر لأيِّ غرض من الأغراض، فإنه كافر؛ إلا مَن أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان، فلم يستثن إلا المكره(٥)؛ فمَن قال كلمة الكفر أو فعل الكفر

---

(١) شرح كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٤٠٤).

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٤٠٦).

(٣) شرح كشف الشبهات، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (٤٢٢).

(٤) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٠٤).

(٥) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٨).

فهو كافر ولا يُعْذَر باستهزاء أو بمزح أو بحب الدنيا أو بمكاره مفارقة الأهل أو بالمداراة أو بالخوف، والذي يعذرهم من ذلك الإكراه فقط[١]؛ **(والآيةُ تدُلُّ على هذا من جهتين: الأولى: قولُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾** [النحل:١٠٦]**؛ فلم يستثنِ اللهُ إلا الـمُكرَهَ، ومعلومٌ أن الإنسانَ لا يُكْرَهُ إلا على العملِ أو الكلامِ، وأما عقيدةُ القلبِ فلا يُكرَهُ أحدٌ عليها)**، وهذه قاعدة عظيمة، فالـمُكْرَه عليه له موردان: أحدهما: أن يكون في الأقوال والأعمال، وهذه يُقبل الإكراه فيها؛ والآخر: أن يكون الإكراه في عقيدة القلب، ومدعيها كاذبًا؛ لأن العقائد الباطنة لا يمكن الإكراه عليها؛ إذ لا يُطَّلع عليها[٢]، فعقيدة القلب لا يطلع عليها إلا الله، ولا يتصور فيها الإكراه، وإنما الإكراه على ما ظهر فقط بالقول أو الفعل[٣]، فوجه دلالة الآية على أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، وأنه لا يكفي في التوحيد مجرد ما يكون في القلب فقط؛ أنه لو كان يكفي في التوحيد مجرد الشيء الذي يكون في القلب من المعرفة القلبية أو الإقرار الذي يكون في القلب؛ فما معنى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾؛ لأن الذي في القلب لا أحد يكره عليه، فالإكراه إنما يكون على القول والعمل[٤].

قال المصنف: (والثانيةُ: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٧]**)**؛ والآية فيها تفسيران: أحدهما: أن معناها: ذلك

(١) الشرح الصوتي لكتاب كشف الشبهات، فيصل بن قزار الجاسم.
(٢) شرح كشف الشبهات، أملاه الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي (٩٤).
(٣) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٠٤).
(٤) شرح كشف الشبهات، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (٢٩٨).

العذاب والغضب المذكور في الآية بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكفروا فتوعدهم الله بالعذاب والغضب، أو معناها: ذلك الكفر (مَن كفر بالله بعد إيمانه) بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، والمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ جمع الأمرين[١]، فقال: (**فصرَّحَ أنَّ هذا الكفرَ والعذابَ لم يكن بسببِ الاعتقادِ، أو الجهلِ، أو البغضِ للدين، أو محبَّةِ الكفرِ؛ وإنما سببُهُ أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظِ الدنيا؛ فآثَرَهُ على الدين**)، فهذا تصريحٌ على أنَّ الذي حملهم على الكفر هو إيثار الدنيا؛ فعُلم بذلك أن الكفر لا يتوقف على اعتقاد القلب، ولا يتوقف على بُغض الحق، فمَن تكلَّم بالكفر هازلًا مازحًا، أو تكلَّم بالكفر مداراة ومداهنة ليتوصل بذلك إلى مصلحة دنيوية، فإنه كافر؛ لأنه غير مكره، والله لم يستثنِ إلا المكره[٢]، فمَن تكلم بكلمة الكفر أو عمل بعمل يقتضي الكفر، فهو مرتدٌّ كافر[٣]، فالكفر له أغراض، فبعض الناس يكفر لأنه يحب الكفر ويعجبه، وبعض الناس يكفر لمال أو جاه أو رياسة أو غير ذلك، وكفره من أجل إيثار الدنيا، فإنه يكون كافرًا وإن لم يكن مستحبًّا للكفر، ولكنه مستحب للحياة الدنيا؛ وبعض الناس يكفر لينال بذلك شيئًا من السلطان، وما أشبه ذلك، فالأغراض كثيرة[٤].

والخلاصة: أنَّ المصنف ذكر تمهيدًا قصَدَ به إظهار أهمية هذه المسألة، وذكر فيه أمورًا:

الأول: أنَّ التوحيد لا بدَّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل.

---

(١) (الشرح الصوتي) شرح كشف الشبهات، أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي.

(٢) شرح كشف الشبهات، عبد الرحمن بن ناصر البراك (٩٩).

(٣) شرح كشف الشبهات، عبد الله بن محمد بن حميد (١٢٩).

(٤) شرح كشف الشبهات، محمد بن صالح العثيمين (١٠٥).

والثاني: أنَّ مَن أخل بشيء من هذه الثلاثة فليس بمسلم، فمَن عرف التوحيد وأخلَّ بالعمل به؛ أي: صدر منه ما يناقض التوحيد، فهو كافر، حاله كحال فرعون وإبليس وأمثالهما من الذين يعرفون التوحيد ولم يعملوا به.

والثالث: أن كثيرًا من الناس في هذا الزمان على صنفين: صنفٌ يعرفون التوحيد، ولا يعملون به لعذر من الأعذار كإرادة الدنيا، وهم بذلك يماثلون أئمة الكفر الذين يعرفون الحق ولم يعملوا به لمثل هذه الأعذار؛ وصنفٌ يعملون بالتوحيد، ولكن لا يفهمونه أو لا يعتقدونه، وهم بذلك يماثلون المنافقين الذين يعملون بالتوحيد ظاهرًا لا باطنًا.

ولما انتهى المصنف من التمهيد؛ ذكر بعد ذلك المسألة العظيمة؛ وهي: أن الذي يُعذر بفعل الشرك بعد إقامة الحجة عليه هو المكره إذا كان قلبه مطمئنًّا بالإيمان، وبناء عليه فإن الذي يدَّعي الإسلام إذا أظهر كفرًا، وقد أُقيمت الحجة عليه؛ فإنه في الدنيا يحكم عليه بأنه كافر، وفي الآخرة يُبعث ويدخل النار مخلدًا فيها والعياذ بالله، إلا المكره فقط[1].

قال المصنف: (والله أعلمُ)، فختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة الجليلة كغيره، برد العلم إلى مَن هو بكل شيء محيط علمًا، وبهذا تكون قد تمت هذه الرسالة المباركة، للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء وأوفاه.

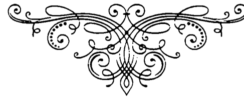
وإلى هنا انتهى ما يسَّر الله وأعان على جمعه من شرحٍ على هذه الرسالة

---

(١) تعليقات على كتاب كشف الشبهات، كتبه: خالد بن عبد الله الأنصاري (١١٠، ١١٤).

المهمة، فالحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وأسأله تعالى أن يكتب الأجر لمؤلِّفها، ومَنْ شرحها، كما أسأله: أن يحيينا ويميتنا على شهادة التوحيد الخالصة، ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وإخواننا المسلمين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.




فهرس الموضوعات

